



رواية

# آل الزهربر

أبابيل لا تحكم بالعدل، بل تحكم بالحديد والدم.

أحمد آل حمدان





ملحمة الطين والنار  
(٤)

الزمهر

الطبعة الأولى

٢٠٢٦ - ١٤٤٧

إنها لعنة التقدم في العُمر؛ فكلما كَبِرَ المرء صار يتخذ قراراته  
الْكُبُرِي لا من أجل نفسه بل من أجل من يحبهم.

أعدك بآلاً أموت.

ولكن قبل الدخول، يجب على كل واحدٍ منا أن يخلع  
أحقاده خلف الباب، ليسير الاجتماع كما ينبغي له أن يسير.

- تارا -



## مملكة أبابيل ليلة الزفاف

في تلك الليلة ..

وما إن أزاح الملك طاغين الغطاء عن وجه العروس وشاهد الجميع من  
نكون حتى انفجرت لحظة دهشة خرمساء إنها: " جومانا ابنة جبار الأباطرة "  
عم الصمت أرجاء القاعة إلا من خفقات قلب عاصف التي تصاعدت داخل  
صدره كأنها خبول تتسابق في سهل فسيح، وطللت عيناه تحدقان إلى وجه  
تلك المرأة الجميلة ذات العينين البنقيتين، وجه أمه الحنون الذي لطالما طارد  
أحلامه وكان قيلة لفؤاده وملاداً لقلبه.

كانت جومانا تلك الليلة طاغية في الجمال، تخطف الأنظار إليها دون تكلف، كأنها نجمة هبطت من السماء لتلمع داخل تلك القاعة، وكانت سعيدة وهي توزع أنظارها بين الحضور، بينما وجهها يكشف عن ابتسامة أنيقة كأنها جزء من الناج المرصع الذي تضعه فوق رأسها، رفع الملك طاغين يده بإشارة محددة سرعان ما التقاطها الخدم فبدأوا يطوفون لخدمة الضيوف، بينما فرقة أخرى من الساحرات عند نهاية القاعة بدأن عزف لحن شجي لمقاطعة سحرية قديمة يقال بأنها لا تُعزف إلا في حضرة الملوك والأمراء وقد تمازجت أنغامها ما بين القيثارة وألحان الناي.

كانت القاعة الملكية - لقصر ملكة أبابيل - مضاءة بواسطة شمع طويلة تتدلى من السقف المرتفع؛ فتبعد كما لو أنها قطرات نار معلقة في الهواء .. وكانت مضاءة أيضاً بفوانيس ثحاسية مثبتة على الحوائط لا ينبعث منها الضوء فقط بل ينبعث معها رواحة العطور الملكية، وعلى الجانبين اصطف الجنود الضيخام بدروعهم الفولاذية السوداء يقفون متراصفين جنباً إلى جنب من عند نهاية القاعة وصولاً إلى أقدام المنصة التي ينتصب فوقها العرش حيث يجلس الملك وزوجته وخلفهما يمتد حائطٌ عظيم نقش عليه بخط محفور شعار مملكة أبابيل.



مملكة أبابيل  
ليلة الزفاف  
(عاصف، الحكيم، الشمالي)

منذ أن انطلقت رحلتهم سوياً قبل أعوام، تعلم الشمالي أن يتوقع الأسوأ  
دائماً ورغم ذلك إلا أنه لم يتوقع حتى في أشد لحظاته تشاوئاً أن يختبر  
حدثاً خطيراً كهذا؛ إنه لا يفهم هذا العبث الذي يحدث؛ هل هذه جوماناً  
ابنة جبار الأباطرة بالفعل؟! .. أم أنها امرأة شبّيه لها؟!

إنه لا يعلم،

ولا أحد في القاعة يستطيع أن يؤكد أو ينفي هذا الأمر !!

التفت الشمالي نحو صديقه عاصف .. ومن خلال نظرة واسعة  
أرسلها إليه استطاع أن يفهم كم هو غاضب وثائر؛ فمال برأسه تجاه  
وهمس قائلاً:

- تذكر أنا في هذه مع طاغين<sup>١</sup>، وعليك أن لا تتهور.  
وبينما عاصف لا يزال واقعاً لا يظهر أي ردة فعل على الرغم من  
الحرائق التي تشتعل بداخله، تسلق الحكيم جسده مقترباً من أذنه وهمس  
 قائلاً:

- أما أنا فلا بأس عندي في كسر الهُدنة، وإحراق القاعة بمن فيها  
ولكنني أفضل أن نوجل الأمر إلى ما بعد أن نتناول وجبة العشاء؛ فأننا لم أكل  
 شيئاً منذ أمس استعداداً للوليمة المنتظرة !!

لم يتلفت عاصف إلى صديقه أبداً، وكان حواسه جميعها انصبت عند  
العرش الذي تجلس فوقه تلك المرأة ذات العيون البنية ..  
هل هذه أمه !! ..

قلبه يؤكد: نعم إنها هي بلا شك !!

وعقله يشده للخلف بقوة: لا، لا يمكن أن تكون هي !!

---

١ في رواية التجليل كان عاصف بحاجة إلى حليف من أجل استعادة سرابي التي كان يعتقد أنها محبوسة في الأرض السفلية وتحديداً في (ملكة الجن والبن)، فلم يجد أمامه خيار غير الاستعانة بطاغين الذي وافق على مساعدته بشرطين، الأول أن يتنازل عاصف له عن شرعية مملك مملكة أبابيل، والشرط الثاني أن يعهد مملكتها مدتها أربعين ليلة.

كانت القاعة قد امتلأت بطاولات دائيرية أنيقة يجلس كل ملكٍ من الملوك المدعويين وحاشيته عليها .. وقد اقتربت بعض الطاولات من منصة العرش أكثر من غيرها بينما ابتعدت طاولات أخرى إلى الأطراف في ترتيب سياسي مقصود حيث كل طاولة تقرب أو تبعد حسب أهمية من عليها في ميزان المملكة.

ورغم اختلاف الضيوف إلا أنهم تلك الليلة جميعهم اتفقوا على شيء واحد وهو "الفضول" ذلك الشعور الذي لا يليق بمقامهم أن يُعلن؛ فالتفت كل ملك إلى حاشيته، وراح يسأل بهم سخاف حتى لا يُضيّط متبصّراً بتهمة الفضول .. في البدء كانت الأسئلة والتعليقات جميعها تنحصر حول هذه المحاور فقط:

أهذه نفسها جومانا ابنة جبار الأباطرة ١١٩  
مستحيل !! .. لقد ماتت منذ سنوات طويلة ١١١  
وإذا كانت هي فكيف عادت إلى الحياة بعد موتها !؟  
وكيف تتزوج من خالها طاغين ١١٩

كان الموقف يقتضي الحِكْمَة والتصرُّف وفقاً لما يقتضيه الظرف، لكن  
منذ متى كان عاصف يخضع للمنطق؟! .. منذ متى كان يسمع لصوت  
عقله إذا ما تعارض مع صوت قلبه؟! .. إنه لا يهتم بكونه في قصر  
طاغين، لا يهتم بكم الحرس الذي يحيط به من كل اتجاه، ولا بالهدنة  
التي ما زالت مستمرة !!

ارتجمفت يده أولاً ثم اشتد لحم ساعده كأن عروقاً سوداء بدأت  
تحرك تحت جلده، ثم في لحظة ما: انشق طرف إصبعه السبابية ليخرج  
 منه مخلب أسود، تلاه مخلب ثانٍ فثالث حتى أكملت خمسة مخالب  
 فولاذية في كل يد وكأنها خرجمت لتوها من الجحيم، انتبه الشمالي لما  
 يحدث فقال متدخلاً:

- أرجوك يا عاصف تمالك نفسك؛ إنك بتهرُوك تقتلنا وتقتل  
نفسك.

تدخل الحكيم:

- أرجوكم تمهل؛ إنك بذلك تمتنعنا من العشاء يا رجل !!

لقد استيقظ الوحش الكامن بداخله وفات أوان هذا الكلام،  
اكتست عينه اليسرى باللون الأحمر وكان شعلة من النار فذر  
هناك ..

لاحظ بعض الحُرَّاس ذلك التحول فبدأوا يتحركون في القاعة في اللحظة  
نفسها التي انطلق فيها عاصف بكل سرعته مشحوناً بمخزون الغضب،  
بينما الحكيم فوق كفه يتثبت بيديه وأسنانه حتى لا يسقط من قوة  
الاندفاع .. شقّ عاصف طريقه نحو العرش متتجاوزاً بقوة النار الجنود  
الذين أخلوا مواقعهم واصطفوا أمامه فيما يشبه الحائط الأمني حتى وصل  
إلى طاغين، فأمسكه من رداءه بيد بينما استعد يسدّد له ضربة بمخالب  
يده الأخرى ..

في تلك اللحظة الحساسة: وقفت القاعة على أقدامها؛ مزيج من الخوف  
والرهبة ارتسم على وجوه الحاضرين، بينما رمّق بعض الملوك حرسهم الخاص  
كمن يستعد لهرب محتمل من هذا المكان الذي لا شك بأنه سوف  
يتتحول بعد قليل إلى بحر من الدماء.

اندفع بعض الجنود لحماية الملك ولكنهم ما إن اقتربوا من عاصف حتى تبخرت أجسادهم وتحولت إلى رماد، وكان ذلك الهجين كان يُحيط نفسه بجدار من هواء ناري يمنع أي أحدٍ من الاقتراب من محيطه الخاص !!

\*\*

### المواجهة

هبطت المخالفات - مخالفات عاصف - الحادة نحو هدفها بسرعة وقوه، ولكنها قبل أن تصلك إلى هدفها اصطدمت بمعدن من الفولاذ كان عبارة عن سيفٍ حلوبيل حاد يُشبه سيف الساموراي .. لم يكن عاصف بحاجة لأن يلتفت إلى السيف الذي أوقفه؛ فلا أحد يعرفه الليلة في قاعة الزفاف كان قادرًا على اكتشاف نقطة ضعف جدار النار واحتراقه بتلك السرعة إلا شخص واحد فقط: صاحبه الشمالي.



الشمالي  
.. الحقيقة الدفينة ..

لحظة الذهول التي سيطرت عليه - على عاصف - لحظة معرفة أن  
الشمالي هو من أوقفه عن تسديد ضربته تلك، كانت كفيلة لأن تكيل  
أطرافه عن الحركة وتمنع عقله عن التفكير؛ ما منح الجنود فرصة ذهبية  
ليندفعوا نحوه كامواح مدججة بالدروع والسيوف ويطبقوا عليه الخصار من  
كل صوب وجانب ..

وما هي إلا لحظات حتى كانوا قد أطاحوا به وقيلوا قدميه ويديه بقيود خاصة ثم ساقوه معهم دون مقاومة .. كانت اللحظة أقوى حتى من لسان الحكيم الطويل الذي لم يفتح فمه وهو يُساق مع عاصف وعيناه معلقتان على وجه الشمالي الأكثر بروادة من الجليد.

لم يكتفي الشمالي بتلك الخيانة فقط بل إنه التفت نحو العرش، حيث تجلس الملكة جومانا والتي كانت نظراتها المضطربة ويداها المُنقبضتان فوق ركبتيها تُشير بوضوح إلى خوفها على زوجها الذي كاد ذلك المتتوحش أن يؤذيه قبل قليل وقال يطمئنها:

- لا داعي للقلق؛ فقد زال الخطر يا مولاي الملكة.

استطاع بصوته ذاك أن يطمئنها، فرفعت رأسها نحوه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ممتنة، نهضت بعدها من فوق العرش وخطت إليه حتى وقفت أمامه ثم قالت له بصوتٍ رقيق:

- ما اسمك أيها الشاب؟

- جسّار، ولكنكِ تستطيعين أن تُناديبي بالشمالي.

ربتت على كتفه وكأنها تمنحه وساماً تشريفياً وهي تقول:

- لن أنسى لك ما حييت ما قدمته اليوم من الحماية لزوجي أيها الشمالي.

صكث يتأملها قليلاً: عيناهما البُلْدَقِيتان اللتان تحملان بداخلهما أسراراً مُسْتَسِيّة، جبات النمش التي تنتشر على وجهها، ورائحة الياسمين المبعثة مُسَهَّما؛ كل ذلك كان يُربِّكه ويجعله يعتقد بأنه يقف أمام امرأة لا تنتهي إلى الأرض؛ أحنى رأسه لها وكأنه يحترم تقديرها له، تراجعت الملكة جومانا لتجلس فوق عرشهما، بينما التفت الشمالي نحو الجالس فوق العرش الآخر وقال بصوته رصين:

- مولاي ..

أومأ له الملك طاغين برأسه كإشارة للسماح بالكلام؛ فقال الشمالي كلمات جعلت كل من في القاعة يتبدل النظارات غير مصدق ما تسمعه أذناه:

- حان الوقت لأعلن لك ما كنتُ أكتمه؛ خدمتك أيها الملك طاغين شرف لي إن قبلت بها ..

ارتسمت على ملامح طاغين ابتسامة المنتصر الذي ربح أكثر مما كان يطمح وهو يهمس "نعم، أقبل بها" ثم رفع يده في إشارة التقاطها خدم القصر؛ فعادت إلى القاعة مظاهر الفرحة والاحتفال وكأن لا شيء حدث قبل قليل ..



فوق سماء، مملكة أبابيل  
طائر العنقاء،

في خلقة الليل البهيم،  
ومن ارتفاع شاهق يكاد يلامس الغيوم الطافية،  
كان يُحلق طائر أحمر كأنه ملك السماء، جناحاه الطويلان  
يَشقان الهواء بقوّة وَكُل خفةٍ منهما تُحدث رجفة في الرياح،  
إنه طائر العنقاء إكليل الذي كان طوال الوقت يستقر فوق غصن  
شجرة موارة للقصر الملكي يشاهد بعينيه الحادتين كل ما يحدث  
في الداخل ..

وما إن بلغ إكليل تخوم قرية الجيّاسة حتى راح يخفف من سريري  
ويبدأ الهبوط في الوقت الذي بدأ يميل بجناحيه ناحية الشرق - نعم  
الغاية المظلمة - ليخترق أجواءها ويواصل الطيران فيها مناوراً جنوبياً  
أشجارها الكثيرة والتي تبدو وكأنها أنواعٌ ضخمة متتشابكة ..

وأصل إكليل تحليقه حتى إذا بلغ قلعة الأباطرة والتي كانت تنهض  
شامخة في قلب الغابة المظلمة راح يخفف من سرعته شيئاً فشيئاً وهو  
يبدأ بالهبوط نحو السور الخارجي، وفي اللحظة التي هم فيها بالاستقرار  
على حافته لمح في الأسفل حصاناً أبيض اللون ذا جناحين مطويين على  
جانبيه؛ إنه "سابع" حصان عاصف.

رفع الحصان رأسه فجأة وأدار عنقه حين سمع خفقة الأجنحة التي  
قطعت الهواء، ليشاهد إكليل وهو يهبط في صمت مشوب بالقلق، فقال

بصوت متواتر:

- هل عدت من القصر وحدك؟

أرسل إكليل إليه نظرة منكسرة؛ فأدرك سابع أن أمراً خطيراً قد حدث،  
وأن سيده عاصف والبقاء في خطر .. بينما رفع إكليل رأسه وراح ينادي  
الحارسة:

- أين أنت يا تارا؟

وفي الحقيقة هو لم يكن بحاجة لأن ينادي، فقد تم رصده منذ اللحظة  
التي وُلِّج فيها حدود الغابة ..

وما هي إلا لحظات حتى ظهرت له العينان الحادتان من وسط الظلام  
تلمعان كأنهما معدن مصفول، وصوت الفحيح الذي خرج من فم الأفعى  
يتسلل إلى عظامه وعظام الحصان سابع محدثاً قشعريرة في جسد كل  
واحدٍ منهم:

- أي كارثة جئت تحملها لنا اليوم يا إكليل؟



في مكان بعيد  
الزمن

سور كبير ..

يمتد إلى الأفق كما لو أنه نهاية العالم ..

مكون من جليد لا يذوب ولا تعبره الرياح، وراءه تمتد مدينة تُعرف  
باسم "الأرض البيضاء" حيث لا ظُرُفٍ فيها، ولا خلق، ولا حياة، ولا نطعوماً  
قدم كائنٍ من كان إلا بعد إذن أصحاب المكان ..

لا شعر، في تلك المدينة غير قصر وحيد شاهق الارتفاع، ثقيم به  
عازلة يحرّك حوالها الكثير من الحكايات الغامضة والأسرار .. عالله  
يُعرف باسم يخشى الكثير من نطقه، أو سمعه، أو حتى مجرد التفكير  
فيه، إنها:  
عاللة الزهرير.

٠٠

داخل القصر كانت هنالك قاعة تتدلى من سقفها ثريات من ثلج أزلية،  
وتنهض على جنباتها أعمدة من بلور متجمد، تلمع كما لو أنها نجوم  
متلاصنة في ليل أبدى ..

في متصف القاعة، توزّعت خمسة عروش جلست عليها كائنات تشبه  
الإنس وما هم من الإنس، ذورو بشراتٍ تميل إلى الزرقة وعيونٍ كانها قدّت  
من الماس نقى، تحرك أكبّرهم، رجلٌ يضع على رأسه التابع، يُطلقون  
عليه اسم: "السرمد" فتح فمه ونطق بصوتٍ لا يكاد يُسمع:  
- مِندان.

وما إن لفظ الاسم حتى تكون في القاعة دخان كثيف تشكل وسطه  
رجل يتلقع بثوب من الحرير الأسود اسمه سيندان، قال وهو ينظر إلى  
موطئ قدم الشخص الذي استدعاه:

- رهن إشارتك أيها السرمد.
- اذهب إلى هناك - قال السرمد - وافعل كما أمرناك أن تفعل.  
أو ما سيندان برأسه: " أمرك " ثم اختفى وسط حالة من الدخان.



عاصف، الحكيم ..  
السجن

داخل زنزانة شيدت أسفل القصر - قصر ملكة أبابيل - بعمق سحيق  
حيث لا ضوء يصل والهواء بالكاد يتسلل، رائحة العفن الثقيلة تفوح في  
المكان مختلطة برائحة دماء الفصاوة وجثث المتمردين الذين أرسلهم  
الملك طاغين إلى حتفهم خلال السنوات الماضية ..

البرطان . . . حوطان الززانة . . . تأنها ما نزال تحتفظ بصر ذات النعاء، بـ،  
إنها بصر ذات لا يُعرف، إن كانت من المعاشر أم أنها فادمة من أفواه من  
همذبون في هذه اللحظة من زنازين مجاورة، قال الحكيم ساخراً وهو يتأمل  
السجن الذي وُضعا فيه:

- المكان جميل ولكن هل تظن أنّ لدיהם خدمة توصيل العشاء ؟

ظل عاصف صامتاً أصابع يديه ترتجف ..

لا ترتجف بسبب البرد بل من شيء أعمق، شيء لا اسم له ولكنه  
يحرقه بيطره.

انفرجت شفتاه عن سؤال مكتوم:

- لقد ماتت، رأيتهم يدفنونها في مقابر قرية الجئاسة، رأيتهم بنفسهم  
وهم يضعونها في قبرها، فكيف عادت من الموت ؟

الحكيم متهدداً:

- لا أحد يذهب إلى الموت ويعود منه با عاصف.

- وكيف تفسر ما رأيناه بالأعلى ؟

- حسناً .. انظر .. انظر .. أنا لا أذكر أنها نشأة أهداها إلهي مثلك ..  
محبف .. ولكن هل سببت فعل سنوات عملها حبيبي لله طلاقك ..  
منزلي نتطلب مني النعاب معك لفحص والدتك<sup>٤</sup> هل سببت أبني  
جئتُ معك وفحصتها وأعلنتُ موتها بنفسى<sup>١٩</sup>

ما حدث تلك الليلة لن ينساه الحكيم أبداً، فبعد أن أعلن موتي  
جوماناً، غادر عاصف الحجرة وعاد بعد قليل وهو يحمل بين يديه نقوذاً  
معدنية:

- خذ - قال وهو يمدها إلى الحكيم - هذه كل أموالنا.  
لم يفهم الحكيم آنذاك السبب الذي دفع ذلك الصبي الغريب ذو العشرة  
أعوام إلى أن يجلب كل هذه الأموال ويقدمها إليه؛ فتساءل بلهجة  
المتعجب:

- وما الذي تريده مني أن أفعل بكل هذا المال ؟  
كان الرد الذي جاءه هو ما لن ينساه أبداً:  
- اشفها من الموت.

---

٤ هنا المثلث مذكور برواية أبيهيل، كان الحكيم جنبها في هياكل البشرية قبل أن تسخنه  
تاج وتحوله إلى فار، عندما جاءه عاصف فور العشر سنوات وطلب منه أن يرافقه لفحص أمها.

التفت الحكيم نحو زاوية السجن التي يجلس فيها عاصف:

- كان قلبها صامتاً تلك الليلة، ووجهها شاحباً، وقد لمعت جسدها  
وكان بارداً .. وهذا لا يعني إلا شيئاً واحداً فقط وهو أن المرأة التي رأيناها  
في ليلة الزفاف هذه ليست إلا امرأة تُشبه والدتك، أما جومانا فقد ماتت،  
وهذا أمر لا يمكن أن أخطئ فيه !!

مررت لحظات قبل أن يفتح عاصف فمه هامساً بانكسار:

- أنت تملك الأدلة أيها الحكيم، بينما أنا لا أملك شيئاً، لكنني  
أعرف أمي، وأعرف أن تلك التي رأيناها في الأعلى لا يمكن أن تكون  
غير جومانا ابنة جبار الأباطرة، وهذا أمر لا يمكن أن أخطئ فيه.

الحكيم:

- كان لدى والدي حمار اسمه "مسمار" أتعرف سبب تسميته بهذا  
الاسم ؟ .. لأنه كان يتسرع مكانه ويرفض التحرك مهما تجلده أو تشتمه،  
إنه يذكرني بذلك.

- لا تحاول إقناعي، إنها أمي.

- حسناً .. اسمع يا مسمار .. دعنا نفترض جدلاً أن والدتك عادت  
من الموت بطريقة خيالية .. هل نسبت من يكون طاغين بالنسبة إليهما،  
إنه حالها !!

وامض الحكم بقول:

إننا نعرف كم هو خسيس هذا الطاغين، ولكنه مهما بلغ من  
الجسدة والمخارة فإننا نعلم أنه لن ينحدر إلى هذا القاع؛ فلباخذك قلنك  
إلى حيث بناء يا عاصف، ولكن لا تطلب مني أن أنتزعك؛ لأنني ما زلت  
أملك عقلي.

كم كان عاصف يتمنى أن يكون الحكم محظياً في تحبله، ولكن  
رائحة الياسمين و شيئاً ما بداخله يُشبه اليقين يُخبره بأن تلك المرأة التي  
رأها في الأعلى ليست سوى أمه.

مذ عاصف قبضته في الهواء وكأنه يخنق شيئاً غائباً وهو يقول بصوت

مبخوح:

- كان طاغين يجلس أمامي، كان يمكنني أن أسد إليه طعنة أَنْفَدَ  
بها إلى جوفه وأنهي كل شيء لو أن الشمالي الخائن لم يقف بوجهي !!  
الحكيم بنبرة تخلو من السخرية:

- حتى أنا كنت في البداية أتمنى لو أنني أصل إلى مقبض سيفه الطويل  
وأدخله في فتحة أنفه .. ولكنني الآن وبعد أن هدأت قليلاً أستطيع أن  
أقول بأن الشمالي ليس خائناً.

- أتدافع عنه بعد أن فعل ما فعل !! .. ألسنا هنا الآن بسببه !!

- أولاً نحن هنا بسبب تهورك أيها الأبله، ثانياً أنا لا أدفع عن الشمالي بل أستخدم ما تبقى لي من عقل لأحاول فهم الأمور بطرقها الصحيحة.

- عن أي طريقة صحيحة تتحدث !؟

- أظن بأن الشمالي أوقفك لأنه كان يعلم بأن طعنتك لم تكن لقتل طاغين بل كانت ستقتلك أنت.

- لم أفهم ..

- وما الجديد بالله عليك !؟ .. أنت دائمًا لا تفهم، وتندفع وراء عواطفك بغباء .. أتعلم !؟ .. كان على جدتك تاج أن تُسميك عواطف بدلاً من عاصف !!

لولا الوضع الذي هُما فيه لكان عاصف يضحك الآن من أعماق قلبه، ليس على ما قاله الحكيم فقط بل على نبرة صوته وهو يتضخم بتلك الطريقة ..

- طاغين كائنُ قوي وأنت تعرف ذلك - قال الحكيم - وطعنتك له اليوم لم تكن لقتله، كانت سوف تجرحه فقط وكان هو هادئًا لا يُظهر أي ردة فعل وكأنه كان يتنتظر هذا الجرح .. دماءه السائلة كانت ستكون هي ما يبحث عنه ليكسر الهدنة ويقتلك وأنت في قصره أمام الملوك والأمراء دون أن يلومه أحد على ذلك .. لست متأكداً ولكن قليبي يحدبني أن هذا هو السبب الذي جعل الشمالي يتحرك في تلك اللحظة معترضاً هجومك .. لا يُنقذ طاغين بل لأجل أن يُنذك.

لقد قدم الحكيم تحليلاً منطقياً أقرب للصواب، ولكن ..  
هل هذا ما حدث بالفعل ؟ .. هل تحرك الشمالي تلك اللحظة  
ليُنقذ الموقف ؟ .. أم أنه خانهما واختار الجهة الأقوى في اللحظة التي  
لم تعد فيها الموازين متساوية ؟

- شخص واحد - قال الحكيم - هو من يجب أن تفكّر بـ ملاحقة  
 ومعاقبته.

- من هو ؟

- إنه طائرك الأحق !!

- وما دخل إكليل بما يحدث لنا الآن ؟!

- أتستطيع أن تخبرني لماذا لم يتدخل وينقذنا تلك اللحظة ؟

- أظن أنه ذهب ليأتي بالنجدة

- إنك تعلق أمالاً كبيرة على تلك الدجاجة المُحرمة.

مكث عاصف يفكّر قليلاً قبل أن يقول:

- أتعلم ؟ ..

- ماذا ؟

- البقاء في هذا السجن لن يمنحك الإجابات.

الحكيم مؤيداً:

- يا سلااام، لا أصدق أنك بدأت تشغل عقلك !!

- علينا أن نفك بطريقة للهرب من السجن هذه الليلة.

الحكيم وهو يصف بيديه القصرين:

- يا سلام !! .. ما تقوله يتتجاوز حدود الابداع !! ..

- يجب أن نهرب من هنا ..

- عاصف إنك تعيد نفس الكلام ..

- سنهرب الليلة ..

- وهذه أيضاً مكررة !!!

كان من الواضح أن عاصف مشتت النهن وهذا ما يجعله يُكرر  
كلامه دون وعي منه، وكأن عقله منشغل بالتفكير بينما لسانه يتحدث  
من تلقاء نفسه:

- البقاء في السجن لن يمنحك ..

- أعرف أعرف .. لن يمنحك الإجابات، ويجب أن نهرب الليلة،  
انتقل للجملة التي بعدها وخلصني !! .. هل لديك خطة ؟

- نعم

- قلها وريحني !!

- سوف نهرب من السجن ونصل إلى القصر ..

- ثم يلقى علينا القبض ونُعاد إلى السجن، فكرة رائعة !!

- لن نفader جزيرة الأرباب دون أن تكون أمري معنا.

أطلق الحكيم صوًّا جعل عاصف يسأله:

- هل تضحك؟

- بل أبكي على ما سوف يوصلنا إليه تهورك.

- أعلم أنني أطلب منك الكثير، ولذلك إذا هربنا من السجن تستطيع أن تُكمل طريقك إلى خارج القصر ثم تفكك بطريقة توصلك إلى بر الأمان، أما أنا فسوف أكمل الطريق وحدي.

- لا يا عاصف، لن أدعك وحدك وأنت تعلم ذلك جيدًا - ثم أضاف وهو يحرك ذيله ويُحدق في العتمة:

- والآن أخبرني بالخطة التي تدور برأسك للخروج من هنا ..

- الخطة هي ألا نفعل شيئاً

- خطة رائعة كيف توصلت إليها؟

- ليس أمامنا إلا هذا الحل.

- وهي ألا نفعل شيئاً؟

- نعم ألا نفعل شيئاً ..

- إن حدثت معجزة كبيرة وهرتنا من هذا المكان، أريد منك شيئاً واحداً.

- ما هو؟

- ألا تفكك طيلة حياتك.

- ييدو أنك لم تفهمني أيها الحكيم

- معك حق؛ فأنا غبي لا أفهم .. ولا ما كنت اخترت صديقاً من بين

مئاتآلاف البشر الذين يسكنون عالمنا هذا ..

- اسمع خطتي ..



- قصر مملکة أبابيل -

.. اليوم التالي، قاعٌ التخطيط الحربي ..

قاعة واسعة ذات سقف عالٍ،

يتدلّى منه عدد من السلالس المعدنية الغليظة والتي كانت في زمن مضى  
تُستخدم لتعليق جُثث الخونة كتحذير بصري لكل من تسول له نفسه التآمر  
على الملك طاغين، أما الآن فقد استبدلت الجثث برايات سوداء كتب  
عليها شعارات لتمجيد الملك ..

كانت القاعة مضاءة بواسطة فوانيس ضخمة مُثبتة على الجدران الصخرية، بالإضافة إلى موقد دائري يتوسط طاولة الاجتماعات المربعة المتصلة وسط القاعة ينبعث منه - من الموقد - وهج نار يجعل ظلال المجتمعين حول الطاولة تتحرك وراءهم وكأنها أشباح تراقبهم.

جلس الملك طاغين على رأس الطاولة فوق كرسي خشبي طويل الظهر بينما جلس الشمالي إلى يمينه بمسافة محسوبة فوق كرسي أبسط؛ كانت مسافة محسوبة بدقة: إنه بعيد بما يكفي حتى لا يُشكل اقترابه تهديداً مباشراً للملك، وفي الوقت ذاته قريب بما يكفي ليدو كما لو أن الملك كان يمنحه الثقة ..

جلس القادة الآخرون على جانبي الطاولة وكل واحدٍ منهم يعتلي كرسيّاً يحمل ختم الكيبة التي يقودها .. التفت الملك طاغين نحو الشمالي وقد رصد بعض القلق على وجهه؛ فقال يساله:

- أنت قلقٌ مما سيحدث لصديقيك، عاصف والحكيم ١٩

- بل مما سوف يفعلانه.

- ماذا تقصد؟

توقف الشمالي للحظة قبل أن يتكلّم، مُهلة من الصمت باحدها دعاده،  
لبعيس كلامه قبل أن ينطق بها، بينما راح جميع من بجلس حوله فوق  
الطاولة يباهبون لأي ردة فعلٍ مفاجئة قد تصدر منه حتى انفرجت شفتيه  
بصوته الهدئ الذي لا يُخطئه من يعرفه:

- المدة الطويلة التي قضيتها بصحبتهما يجعلني متاكداً من أنها  
الآن يضعان الخيط للهروب من السجن .. ويُوسفي أن أقول بأنه مهما  
كتم تعقلون بأن سجونكم حصينة إلا أنها سوف يجدان طريقة للفرار  
منها والصعود إلى القصر من أجل جومانا والانتقام من الملك.

سرت هممة بسيطة بين القادة، بينما ظل طاغين يحدق في دون  
أن يعلق .. في الحقيقة لقد كان هنالك ما فات الشمالي أن يقوله تلك  
اللحظة، ثُرى هل خانه لسانه وكشف ما يخفيه قلبه !؟ .. أم أنها عشرة  
غير مقصودة !؟ ..

تكلّم أحد القادة بسرعة صياد لمح فريسة ساهية:  
- ماذا عنك ؟ .. ألن يسعى عاصف لقطع رأسك مقابل خيانتك،  
أم أنت افترضت في نفسك بأنه يعلم عن حقيقة ولائك له، وأن وقوفك  
ضده البارحة لم يكن سوى خطة أردت أن تُراوغنا بها.

ابتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيه وهو ينظر نحو القائد الذي ظنَّ أنه فريسة سهلة، إنها ابتسامة الواثق من موضع قدميه وسط بحر من الشكوك المتلاطمة.

قال يُبرر موقفه:

- الحكيم يثق بي، ولا بد أنه قد أقنع عاصف بأنني لم أنقلب عليه، وبأن ما قمتُ بفعله البارحة لم يكن إلا من أجل حمايتي له؛ لذلك أنا متأكد بأنني لن أكون ضمن قائمة حساباته إذا ما استطاع الفرار من السجن والصعود إلى القصر.

طاغين يطأء وهو ينفر بإصبعه على ذراع الكرسي:

- وما الذي تقتربه في هذه الحالة؟

دون تردد،

دون أن ترمش عيناه قال الشمالي بصوت قاطع:

- يجب ألا يُمنحا وقتاً أكثر، يجب أن يقتلوا الآن وفوراً.

لقد كانت الجملة التي قالها الشمالي مُربكة لكل القادة الذين كانوا يشككون بمصداقيته؛ فقد أوصى بقتلهما صراحة .. ولم يذهب إلى المعاطلة أو محاولة شراء الوقت كما كان يراهن البعض منهم بأنه سوف يفعل .. أما طاغين الذي كان لا يثق بالولاءات المفاجئة؛ فقد كان يدرك أن الشمالي خطير .. إلا أنه خطر يمكن استخدامه بشرط واحد وهو أن يتم اختباره:

- لماذا اخترتنا ونبذت صديقيك ؟

- إنها سنوات عديدة تفصلني عن اللقاء الأول بعاصف والحكيم. في ذلك اليوم وقفت إلى جانبهما ضد القبيلة التي نشأت وكبرت فيها؛ الأمر الذي جعلهما يُلقيان علي نفس السؤال الذي ألقيته بنفسك الآن يا جلاله الملك وهو "لماذا اخترت الانحياز إلى صفنا ضد قبيلتك" فقلت لهم بأني أتبع الحق، ولا شيء غير الحق.

هنا باعنه طاغين بسؤال محدد:

- وهل ترى أنني الأحق بالعرش ؟

- أما العروش فإنها لا تعترف بصلة القرابة، إنها لا تعترف إلا بالقوة، وقد أخذت العرش بقوتك؛ ولذلك أنت ملك مملكة أبابيل، أما الشرعية فشأنها مختلف.

نكلم أحد القادة بنبرة متوعدة:

- اتبه لما تقوله أيها السيف؛ فكلماتك القادمة ستحدد مصيرك
- لم يعر الشمالي انتباها بشأن ذلك التهديد، وواصل كلامه:
  - الأباطرة هم العائلة الملكية الشرعية، وقد تنازل جبار الأباطرة بالملك قبل موته لحفيده عاصف، وهذا الحفيد بدوره تنازل بالشرعية إليك؛ ولذلك أنت الآن هو الملك الشرعي لهذه المملكة.<sup>٢</sup>

شيء ما ابتسم داخل طاغين وهو يسمع ذلك الاعتراف الذي صدر من الشمالي، قال وهو يحرك رأسه في إيماءة تدل برغبته في الاستماع إلى المزيد:

- واصل ..

---

### ٣      تسلسل ملوك مملكة أبيايل وفق الأجزاء السابقة وحتى هنا الجزء:

جبار:

ورث الملك عن سلالة الأباطرة، وحكم المملكة حكمًا شرعياً.

طاغين:

استولى على عرش جبار بالمسكر والخدعية

الحفيد عاصف: استرد العرش لاحقًا من طاغين، وقام برد العرش لجده جبار الذي أوصى قبل أن يموت بأن يكون حفيده عاصف هو الوريث الشرعي لمملكة أبيايل من بعده.

طاغين:

عاد مرة أخرى ليستولي على العرش عبر انقلاب قام به ضد عاصف.

أنا لم أكن أتمنى الوقوف مع أحد، مند، أحد، أو الانجذاب اصحابي ملوك  
صد آخر؛ فقد كنت حتى اللحظة الأخيرة مساميًّا مخالعها مساميًّا لعاصفة،  
ولكنه ارتكب خطأ فادحًا حين فر مهاجتك .. فكان علىي أن أنحرك  
سرعه لأمنع ذلك .. ليس من أجل الوقوف معك أباها الملك بل من أجل  
الوقوف مع الحق؛ فأنت في نهاية المطاف هو الملك الشرعي للمملكة  
وما حدث ضدي هو اعتداء لا أقبل به.

ولما حانت لحظة اختبار الولاء قال طاغين يُلقى بسؤاله:  
- وما ستفعل لو أني طلبت منك قتل عاصف والحكيم بنفسك ؟

أمسك الشمالي سيفه ووضعه فوق الطاولة دون أن يخرجه من غمده؛  
 فعل ذلك يبطئ معقول حتى لا يثير بتصرفه ذاك حفيظة القادة ويجعل  
 أحدهم يظن خطئاً أنه ينوي مهاجمة الملك:

- هذا السيف، وصاحبها طوع أمرك يا سيد الملك.



فجراً،

- قصر مملكة أبابيل -

غرفة المشاورات باللغة المسرية

غرفة صغيرة نسبياً، الضوء فيها خافت يتبعث من شمعدانات معلقة .. سقفها - سقف الغرفة - منخفض ويغلب عليها الطابع الحجري المنشق الذي يعكس قدم المكان .. في الصدر جلس طاغين وأمامه مستشاره "آشور" وهو رجل بدین أصلع، وإلى جانب الجدار المقابل كان يقف أمين السر منحنيا على دفاتر من أوراق البردي يُسجل عليها كل ما يقال.

كُن في الغرفة ثلاثة أشخاص - طاغين، آشور، أمين العسر -  
بإضافة إلى ضلٍ رابع لا يتحرك، لا يتكلم، لا أحد يلتفت إليه أو يشير  
نحوه، كما لو أنه ليس معهم، ولكنه كان يجلس صامتاً يُراقب بهدوء  
ما يُقال ..

- لا حاجة للتفكير أكثر يا آشور - قال طاغين - أفضل ما يمكن  
فعله الآن هو قتله فوراً.

- يجب ألا ننسى من هو جد ذلك الفتى يا سيدى.

صرخ عليه بنبرة متشنجه تضخم معها عروق رقبته:

- عليه وعلى جده اللعنة !!

وأصل آشور وكأنما لم يسمع شيئاً:

- رغم أن جبار الأباطرة مات منذ سنوات إلا أنها يجب أن نعرف  
بأن أثره لم يتم .. هنالك ملوك وأمراء في العالم لا يزالون يحملون له  
الولاء، وقتلنا لحفيله قد يثير تحفظهم .. والأسوأ من ذلك أن بعض  
الثُرى والقطاعات والقبائل داخل المملكة ما زالت تواли سُلالة الأباطرة  
رغم الشرعية التي تنازل عاصف لك بها.

بنيرة ساخرة قال طاغين:

- ما رأيك أن نعرض عليه المُلك أيها البدن الأصلع لكي يرضي  
عني الآخرون؟!

هنا تدخل أمين السر الذي لم تكن عادته أن يتدخل، ولكنه رأى في  
ذلك الاقتراح فرصة سانحة لتحقيق الغاية التي تخدم المصلحة:

- لم يعن ذلك يا جلالة الملك، وإنما قصد آشور أن نقتله بطريقة  
مشروعة.

التفت طاغين نحو الأمين وسأله:

- طريقة مشروعة؟!

- أجل يا سيدي، نحاكمه أولاً لكي نُظهره ببلس المجرم الذي  
كسر الهدنة وحاول قتله. فنكون بذلك قد حجمنا أثر الفضب الذي  
قد يعود إلينا من لا يزالون يحتفظون بالولاء لعائلة الأباطرة. ونُظهر  
حملك وعلبك لعامة الشعب.

هنا بدا أن الملك طاغين قد أعجب بالفكرة؛ مما شجع آشور على  
التقدم خطوة أخرى نحو التأثير عليه ودفعه إلى الموافقة:

- إننا بهذه الطريقة لا نقتله بطريقة شرعية فقط، بل نكسره أمام أناس  
يعرفونه .. وفي وسط مكان يشعر فيه بالهزيمة قبل موته؛ عاصف يجب  
أن يسقط رأسه في قرية الجئاسة يا سيدي.

بدت الفكرة بهذه الطريقة أكثر جاذبية لدى طاغين الذي تراجع  
متكتئاً على ظهر المقعد كائناً عن ابتسامة خبيثة وهو يُعمّم كمن يتذوق  
بنفه حلوي لذيذة:

- فليكن موته هناك: حيث مسقط رأسه، نُسقط رأسه.

ثوانٍ مشدودة مرت قبل أن يتحرك الظل الرابع في الغرفة، ويخرج من  
العتمة صوتٌ مشبع بالجدية يقول:

- قبل كل شيء، هنالك ما يجب أن نحسب حسابه ..

استدار الجميع نحو مصدر الصوت الأنثوي الذي خطط صاحبته  
خارج العتمة وهي تقول:

- لماذا نكتفي بقتل حشرة واحدة في الوقت الذي نستطيع فيه بذات  
الماء أن نقتل كل الحشرات المختبئة في جحورها.

لم يفهم أحد منهم إلى ماذا كانت ترمي صاحبة الصوت، فقال طاغين  
يسألها:

- اشرحـي لنا أكثر ما تفكرين به يا عزيزتي جومانا



السجن

الخطة

في أعلى الززانة كانوا معلقين، عاصف يمسك أعمدة السفن الحربية،  
يقاوم اهتزاز عضلاته بصمت بينما الحكم يجلس على كتفه ويقول بصوت  
متشكك:

- هل أنت متأكد من نجاح الخطبة المسмарية؟

- مسмарية؟

- نعم؛ نسبة إلى حمار العائلة "مسمار"

العاصف متزعجاً:

- لماذا لم تقترح غيرها إن كنت غير راضٍ عنها؟

- أخبرتك بالحقيقة ولم تقنع أيها الأحمق !!

- لقد شرحت لك الأمر أكثر من مرة أيها الحكيم: هذه الزنزانة

مشيدة من صخور عليها تعاويد تمنع الأشخاص الذي يمتلكون قوى

غير طبيعية من استخدامها

- ليس هذا ما أتحدث عنه، بل الحقيقة الأخرى ..

- أخبرتك بأن تخرج فكرة الرشوة من رأسك !!

- اتفعني

- لأسباب كثيرة، أحدها بأننا لا نملك المال !!

- المال ليس كل شيء، هنالك ما هو أكثر قيمة من المال -

- وكيف ستقنع الحراس بهذه الحكمة أيها العبقري؟

مكث الحكيم يفكّر للحظات قبل أن يقول:

- آخ لـو أنهم حراسات وليسوا حراساً.

- وما الذي كان سيفرق حينها؟

إني متى سأشرح لك يا عواطف !!؟ .. أنت تملك مجالـاً فقط  
عندما نغصب، الشمالي يتتحول إلى سمكة كعـد<sup>١</sup> حين يلامس حمـدـه  
إنـاءـ، أما أنا فقوتي المخـاصـة تـكـمـنـ في جاذـبـيـنـيـ التي لا تستطـيعـ أيـ اـمـرـاءـ  
على وجه الأرض مقاومـتهاـ.

عاـصـفـ وهو يـضـفـطـ علىـ أنـفـاسـهـ:

- أيـهاـ الحـكـيمـ .. أـلـاـ تـلـاحـظـ أـنـاـ فيـ وـضـعـ لاـ يـحـتـمـلـ مـثـلـ هـذـهـ  
الـحـوـارـاتـ ؟

- لـاحـظـتـ ..

- إـذـاـ اـحـتـفـظـ بـلـسانـكـ دـاخـلـ فـمـكـ .. وـدـعـنـيـ أـحـاـوـلـ اـحـتـمـالـ هـذـاـ  
الأـلـمـ الفـطـيـعـ الـذـيـ يـكـادـ يـقـتـتـ ظـهـرـيـ وـأـنـاـ أـحـاـوـلـ التـمـسـكـ بـالـجـدـرـانـ وـعـدـمـ  
الـسـقـوطـ ..

في تلك اللحظة بدأت تعالي أصوات تحركات غريبة لحراس السجن  
وكأنهم يستعدون لفعل شيء ما؛ الأمر الذي دفع بالحكيم لينظر ناحية  
عاـصـفـ وهو يـقـولـ:

- إنـهاـ فـرـصـتـنـاـ الأـخـيـرـةـ، أـنـتـ مـتـأـكـدـ منـ الـخـطـةـ ؟

- نـعـمـ؛ فـطـاغـيـنـ لـنـ يـفـوتـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـرـصـةـ أـنـ يـحـطـمـنـيـ أـمـامـ الجـمـيعـ،  
وـهـذـهـ الأـقـدـامـ الـتـيـ نـسـمـعـهـاـ الآـنـ تـشـيرـ إـلـيـ أـنـهـمـ يـقـرـبـونـ مـنـ إـخـرـاجـنـاـ منـ  
الـسـجـنـ وـنـقـلـنـاـ إـلـىـ الـعـرـبـةـ الـتـيـ سـوـفـ تـنـقـلـنـاـ إـلـىـ سـاحـةـ الإـعدـامـ.

---

٤ الكعـدـ: هو نوع من السمك ينحدر من سلالة التونة.

- إذا سوف نعدم إن فشلت الخطة صبح ؟

.. لا

- كنت أعلم أنك قد جهزت خطة أخرى ..

- ليست خطة إنما أمل

- وهل هي جبالة ؟

- من هي !؟

- أمل هذه التي تتحدث عنها !

عاصف وقد فاض صبره: ييلو أن هذه الحيطان المسحورة لديها القدرة أيضاً على منع الفتنان من استخدام عقولها .. الأمل الذي أقصده هو إكليل والتجدة التي سيأتي بها.

- أنت جاد في قتلك بطائر الدجاجة المحمرة الذي هرب وتركنا معلقين هنا مثل أسياخ الشواء ؟

- أكثر من نفسي

- أتعلم شيئاً !؟ ..

- ماذا !؟

- أصبحت الآن أتمنى أن تفشل هذه الخطة.

- لماذا ؟

- لأنظر في عينيك قبل أن يعلموك وأسألك عن أمل.

- ألن يعلموك أنت أيضاً معي ؟

- بلـى، ولكن المهم أن أثبت لك قبل أن نموت بأنـي كنت محقـاً في كلامـي !!

وهنا تعلالت أصوات الأقدام أكثر وهي تقترب من الزنزانة، فحكم الاتنان  
أنفاسهما بينما كانوا يتعلقان أسفل السقف مثل عنكبوتين ليس لديهما إلا أمنية  
وحيدة وهي ألا يتبعه عليهما أحد، وقبل أن يدخل المحرس سمعا قائد الكيبة  
وهو يعطي التعليمات لمن معه:

- احذروا من الهجين .. أما الفار فأمره هنّ !!

في موقف آخر كان الحكيم بالتأكيد سوف يقذف ذلك القائد  
بسلاسلة من الشتائم التي يصل مداها إلى جده الأخير، ولكن لخطورة  
الموقف اختار أن يصمت.

- استعدوا - قال القائد ثم أضاف: والآن افتحوا الزنزانة !!

في الأعلى: كان عاصف والحكيم يكمان أنفاسهما ويُعلقان  
أعينهما بحركة لا شعورية وكأنهما يعتقدان بأن إغلاق أعينهما سوف  
يساعدهما على الاختباء حتى وإن رفع أحد الجنود رأسه ونظر إلى  
الأعلى.



## فتح الزدانة

- المدوب -

لحسن الحظ كانت الربكة التي عليها الجنود في الأسفل من اعتقادهم أن السجينين هربا هي ما جعلتهم يغفلون عن رفع رؤوسهم والنظر إلى السقف؛ فعادوا الزدانة بأقصى سرعة وصوت قائلهم يتعدد في الممرات وهي يركضون مبتعدين:

- فتشوا المكان بعناية، لا تتركوا حجرا إلا ونظرتم تحته !!

وما إن تُدرك عاصف من ابعادهم بالقدر الكافي، حتى انزلق بخفة  
من السفف:

- ألم أقل لك بأنها متاجع؟

الحكيم وقد بدا أنه غاضب لنجاح الخطوة:

- نجحت لأنهم أغبياء وليس لأنك عفري زمانك.

كان عاصف يُدرك السبب الذي يجعل الحكيم غاضباً إلى هذا الحد؛  
فالحكيم لا يحب أن يكون مخططاً، وهذا ما يجعله يفضل أن تفشل  
الخطوة حتى يتسمى له النظر إلى عينيه شامناً ويقول شيئاً من قبيل

"رأيت إلى أين أوصلتنا أفكارك الغبية؟"

أو ربما شيئاً مثل: "هل رأيت عاقبة من لا يستشير الحكيم أيها  
المنهور؟!"

وهذا السبب هو ما جعل عاصف على الرغم من أنه يعرف الخطوة  
أنتالية جيداً، إلا أنه ينفت لبسال الحكيم حتى يُشركه في التخطيط؛  
فيخفف بذلك من غضبه:

- ماذَا تفتح أن نفعل الآن أيها الحكيم؟

ابتسامة عريضة ترسم على وجه الحكيم وهو يقول:

- أرأيت يا عواطف !؟ .. إنك لا تعرف كيف تصنع شيئاً بدون  
مشوري .. .. ماذا ستفعل !؟ .. .. سنهرب بالطبع قبل أن يكتشفوا  
أمر خدعتك التافهة !!

\*\*

شق الاثنين طريقهما عبر ممر جانبي حتى انتهى بهما المطاف إلى  
مفترق طرق مظلم يؤدي إلى جهتين: إحداهما ينحدر جهة اليمين والآخر  
إلى اليسار، توقف عاصف وقد أدرك الحيلة:

- أحد الطريقين سيؤدي إلى النجاة، والآخر إلى فخ محكم.

قال الحكيم بصوت جاد يخلو من نبرته الساخرة:

- افعل ما تجيده دوماً يا عاصف.

- ما أجيده دوماً ؟

- نعم؛ اتبع إحساسك؛ إنه أملنا الوحيد هنا.

- إنها ثقة كبيرة

- وأنت تستحقها بجدارة.

نهد عاصف بصيق؛ بعد أن وجد نفسه أمام مفترق طرق صعب وقد ألقى الحكيم على عاتقه تلك المسؤولية الصعبة، عليه الأذ أن يحسن الاختيار لكي لا يقع الانسان في مأزق آخر:

- يخبرني احساسي أن الطريق الصحيح هو النفق الأيسر ..

- راائع - قال الحكيم - إذاً سوف نسلك النفق الآخر !!

- ماذا ؟! .. ولماذا سألتني إذاً؟!

- لأنني منذ عرفتك وأحسستك لا تجلب لنا غير المصائب، وقد كنت بحاجة لأن أعرف الطريق الذي سوف يختاره احساسك حتى نسلك الطريق المخالف له.

- إنها المرة الأولى التي تقول فيها شيئاً حقيقياً.

\*\*

واصل عاصف ركضه في النفق الطويل حتى بدا له ضوء خافت يسطع عند النهاية؛ ما جعل الحكيم المتثبت فوق كتفه يقول:

- إنه طريق الخروج، كنت أعلم أن مخالفة إحساسك هو الخيار الذكي.

العاصف لم يرد، كان يواصل ركضه نحو بقعة الضوء التي تُبشر بنهاية النفق، يريد الخروج من هنا والصعود إلى القصر من أجل جومانا ..

لكن ما إن افترها من نهاية النفق حق حدث ما لم يتوقع حدوثه، صوت احتكاك خافت، خطير، سريع، وقاتل .. لم يكن سهلاً بل كان جسداً بشرياً انطلق بسرعة البرق نحو عاصف الذي انتبه عليه وحاول أن يتفاداه ولكن الجدران التي شيد منها السجن والمطالية بطبقة من تعاوين ماروت<sup>\*</sup> هي ما كانت تمنعه من استخدام قوة النار الكامنة بجسمه مما أبطأ سرعته في المناورة وجعله يسقط متائراً بضربة الجسد المهاجم والحكيم يتدرج من فوق كتفه ..

وفي اللحظة التالية انقض الجنود عليه كما تنقض الضياع على الطريدة، أطبقوا عليه الحصار، وشلوا حول معصيه أصفاداً مسحورة بتعاون ماروت .. ثم قبضوا على الحكيم وسط ركلاته العشوائية وهو يتلفظ بشيء غريب، إذ كان يُصدر هذه الأصوات الغير مفهومة:

- فُرررر .. فُرلَلَلَ .. فُرررر !!

---

\* تعاون قادر على منع أي شخص لديه قدرة خارقة من استخدام قوته.

نُظُرَاتِ صَامِتَةٍ أَرْسَلُهَا كُلُّ مِنْ عَاصِفٍ وَالْحَكِيمِ نَحْوَ ذَلِكَ الْجَنْدِيِّ  
الَّذِي أَفْشَلَ خَطْبَتَهُمَا، بَيْنَمَا كَانَتْ أَيْادِي الْحَرَاسِ تَقْوِدُهُمَا نَحْوَ عَرْبَةِ النَّفْلِ  
إِلَى سَاحَةِ الْإِعْدَامِ ..

٤٤

### الْجَنْدِيُّ الَّذِي أَوْقَفَهُمَا

بَعْدَ رَحِيلِهِمَا ظَلَّ ذَلِكَ الْجَنْدِيُّ واقِفًا هُنَاكَ وَكَانَ مُقْبَدٌ بِعِنَاثَاتِ الْأَسْنَلَةِ  
الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنِ الْحَرْكَةِ .. ظَلَّ واقِفًا مَكَانَهُ حَتَّى أَتَاهُ صَوْتُ مِنْ الْخَلْفِ  
يَقُولُ:

- مَا الَّذِي حَدَثَ هُنَاءِ؟

الْجَنْدِيُّ وَهُوَ يَلْتَفِتُ نَحْوَ الْقَائِدِ "جَلْمُود" الَّذِي نَزَلَ مِنِ الْقُصْرِ  
بِسَبِيلِ الْجَلْبَةِ:

- لَقِدْ حَاوَلَ الْحَكِيمُ وَعَاصِفُ الْهَرْبِ، وَلَكِنَّا سَيَطَرْنَا عَلَى الْأَمْرِ.

رَمَقَهُ الْقَائِدُ جَلْمُودُ بِنَظَرَةٍ فَاحِصَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ:

- وَهُلْ أَوْقَفْتَهُمَا بِنَفْسِكِ؟

- نَعَمْ.

ابتسامة صغيرة ارتسمت على ملامحه وهو يقول:

- أحسنت - ثم أضاف جلود يقول وهو يبتعد عن الملك: هذه هي  
الملك يستعد للتحرك، وعلبك أن تكون هناك لتنهى حلم الإله. أنت بحق  
عاصف والحكيم وثبت للملك ولجميع من مسوك بهم حافظاً لـ فرايه  
الجئنة ولاءك أيها الشمالي.



### الجِسَامَةُ

كانت الشمس قد بلغت كبد السماء وتنقى بأشعتها النهبية فوق أرض القرية حيث انشغل أهالي الجِسَامَة ببنط حياتهم المعتاد: بعضهم في الحقول، وأخرون في الحوانيت، والنساء يملأن الحرار من الآبار أو يَعْنِي السلال في الطرقات .. كل شيء بدا طبيعياً ذلك النهار حتى أنت تلك اللحظة التي خَبِيَّ فيها الصمت ..

صمت غريب ..

لم يعند أهل قرية الجِسَامَة عليه ..

في البدء لم يفهم أحد ما الذي يحدث، ثم فجأة ..

جاء الصوت: دقة طبل

ثانية ..

ثم ثلاثة ..

لقد كانت ثلاثة دقات متباينة،

قبلة، قوية، واضحة، كما لو أن أحدهم كان يطرق باباً في السماء.

\*\*

## الموكب

تحركت الرؤوس ناحية الجنوب الغربي حيث الطريق الطويل القادم من جزيرة الأرباب - عاصمة مملكة أبييل - فشاهدوا شيئاً مهيناً يقترب، مما حدا بأحد سكان القرية لأن يقول بنيرة داهشة:

- إنه هو أليس كذلك !

نعم صوت آخر: نعم؛ إنه موكب الملك.

وقالت امرأة: هذا يفسر قلوم أولئك العمال يوم البارحة !!

كان الموكب الملكي يتقدم ببطء، وقوة مثل السبيل، ماجعاً بالخيل  
والدروع وصريح العجلات والتحالس المتلائمة أسفل أضواء الشمس، خرج  
الناس من البيوت، من الأسواق والحوانين ومن الأزقة الضيقة، ووقفوا  
على جنبات الطريق في ذهول صامت يُحدقون: خيول مُفتعلة، وجندوٌ  
ضخام بمدرعات لامعة يضربون الأرض بخطواتٍ ثقيلة فيحدثون بذلك  
على الأرض هزة قوية .. كانت هنالك عربة ملكية تتوسط الموكب،  
محاطة بدروع بشرية من جنود النخبة .. تجرها أربعة خيول سوداء من  
سلالة الحرب .. قمرة العربة الداخلية مُغطاة بسقف مقوس ومزخرف  
بنقوش ذهبية، يفصل بينها وبين الخارج ستائر داكنة لا يظهر من وراءها  
شيء غير ظلٍّ يجلس فوق رأسه تاجٌ يلمع بين تذبذبات الضوء؛  
فادرك كل من في القرية أن الملك جاء بنفسه !!

في نهاية الموكب كان هنالك قفص حديدي يتم سحبه فوق عجلات  
صلبة.

داخل القفص: وقف عاصف وهو مقيد اليدين وقد استخدموه سابقاً  
ليربوطاً فيها الحكيم الذي كان بين الحين والأخر يكرر ذات الصوت  
الغريب:

- فُرررر .. فُرررر ..

الأمر الذي جعل عاصف يسأله وقد استفزه الأمر:

- ما هذه الأصوات بحق الرب أيها الحكم؟

- أحاول أن أقنعهم بأنني فار.

- ومن أخبرك بأن هذا صوت الفار؟

- اسمه فار، كيف سيكون صوته غير فرار، فرار !!

- يا إلهي الرحمة !!

- لا تتحدث؛ أخرج مخالفتك وقل مياو !!

في تلك اللحظة التفت إليهما أحد الجنود وهو يضرب قضبان القفص

برمحه:

- التزما الصمت أنتما الاثنان !!!

الحكم وهو يهز رأسه بالموافقة ويتمم: فرار، فرار.

وما إن تقدم القفص الحديدى ودخل منطقة الرؤية الواضحة حتى تبين للناس وجه الأسبر: ( إنه عاصف ابن قريتهم !! ) الفنى الذى نصب قبل اعوام ملگا على مملكة أبابيل بأسراها .. ذلك الخبر الذى غمر الجئاسة حينها بفخر لم تعرف له مثيلاً من قبل بعد أن أحس أهلها أن واحداً منهم ارتفى فوق الجميع ورفع مكانتهم فوق سائر بقية القرى المجاورة ..

لكنها الأقدار تقلب، فيتهي زمن الفخر ويدأ الزمن الذي يُنكِّس  
فيه أهالي القرية رؤوسهم وهم يشاهدون ابنهم كخائن يُساق إلى ساحة  
إعدامه.

٦٦

## ساحة الإعدام

كانت الساحة الجانبية للقرية عبارة عن ساحة ترابية واسعة، تُستخدم  
عادة لجتماع الأهالي في الاحتفالات الموسمية والمناسبات العامة،  
لكنها اليوم كانت على موعد مع مشهد مختلف تماماً .. فقبل يوم  
واحد فقط وصل إلى الجِئَسَة مجموعة من عمال رسميين، يحملون  
أخناماً ملκية ويأترون بتوجيهات غامضة. بدأ حينها العمال على الفور  
- وقد كانوا من الجن - بتشييد منصة خشبية مرتفعة في قلب الساحة،  
وعلى الرغم من قصر الوقت إلا أنها كانت متقدمة البناء متينة القوام رُبِطت  
أطرافها بالحبار الغليظة وثبتت إلى الأوتاد ياحكم وقد أثار هذا العمل  
المفاجئ تساؤلات الناس في القرية، لكن العمال لم يجيبوا على أسئلتهم  
المتكررة إلا بجواب واحد:  
- إنها أوامر عُلياً.

عند حافة منصة الاعدام:

توقفت العربة التي تجر القفص الحديدي،  
تقدُّم أحد الحراس لفتح الباب ويشير لمن فيها بالخروج.

ورغم أن عاشرف كان يُساق إلى موضع الإعدام إلا أن رأسه كانت  
مرفوعة، يصعد الدرجات بخطوات واتقة غير مبالغة بشيء، ما دفع  
الحاكم ليسأله:

- ما بالك تسير وكأنك تصعد إلى عروستك؟
- لا يوجد سبب يجعلني أخاف، أنا واثق من أن إكليل سبصل  
بالنجدية في الوقت المناسب.

- سنموم أيها الأبله، سنموم وأنت لا تفكّر إلا في طائر الدجاجة

|| المحمّرة ||

- إحساسي يُخبرني أن شيئاً جيّلاً سيحدث بعد قليل.

- طالما دخل إحساسك في الموضوع فقد قضى علينا ||

- احساس لا يخيب.

- وهل أوصلنا شيء إلى هنا غير إحساسك؟

على الزاوية البعيدة من الساحة كانت العربة الملكية قد استقرت وقد  
فتحت ستائرها الداكنة الثقيلة ليظهر من ورائها وجه طاغين وهو يتنقل  
بعينيه ما بين الساحة، والناس، والمنصة كأنه يشاهد مسرحية يعرف  
سلفاً كيف ستكون نهايتها.

إلى جانب العربية بمسافة قصيرة وقف الشمالي ممعنطباً حصانه،  
صامتاً كعادته يتبع المشهد بصمت بارد كالثلج .. اقترب منه القائد  
جلبمود ليسأله:

- سُيُطلب منك التنفيذ بعد قليل، فهل أنت جاهز؟

الشمالي وهو يلقي نظرة إلى عربة الملك ويؤدي تحية بسيطة برأسه  
وكانه يؤكد ولاءه:  
- دائمًا جاهز.

\*\*

في متنصف المنصة - وكما خطط له من قبل القصر - وقف رجل  
وقور، هو أحد رجال الملك طاغين مسّكاً بيده البيان الذي سوف  
يتلوه على الحشود:

- يا أهل قرية الجسّاسة، اصغوا إليَّ !!

وحين صمت الناس وتعلقت أبصارهم به، قال:

- لقد ارتكب المدّعو عاصف مع صاحبه الفار ج ..

توقف الرجل الوقور عن الكلام بسبب صوت معترض انبعث من  
ورائه:  
- أنت أيها الرجل الأبله، أنت يا وجه العنز !!

التفت الرجل الوقور الى مصدر الصوت وهو متعجب من ان يكلمه أحد بكل تلك الصفافة؟ فقال كما لبناً كذا:

- هذا الحديث موجةٌ اليك!

- هل ترى وجهًا كالعنز هنا غيرك؟

- ماذا تريد؟

- لا نقل فأرًا .. انطق اسمي .. قل الحكيم !!

التفت الرجل الوقور نحو أحد الجنود وقال له:

- اغلق فم هذا الفار !!

- فأر يدخل في .. ..

كاد الحكيم أن يُكمل جملته لو لم يتدخل الجندي ويُغلق فمه في اللحظة الأخيرة، بينما عاد الرجل الوقور يُكمل تلاوة الخطاب إلى الحشود:

- لقد ارتكب المدعي عاصف ومعه صاحبه الفار جرمًا لا يُغفر،  
إذ تجرأ على نقض الهدنة ليلة الزفاف، وباهروا الخيانة في قلب القصر؛  
بعد أن سعيا لاغتيال جلاله الملك طاغين !!

نهبـة طـيلة ثم نـطة جـادة أـنـها الرـاحـلـة الـفـقـرـة سـهـ المـنـدـ وـهـ

二

- وبناء على ما ثبت وناء العدالة الملاحية فقد حُلّم عليهم  
بالعدام

2

كان ينبغي الآن - ووقفاً لما هو مخطط له من الفصر - أن يتقدم الشمالي لتنفيذ الاعدام، لكن في تلك اللحظة خيّم صمت مفاجئ على الأجواء، صمت من النوع الذي يُمهّد لقادم الكارثة ..

في عاصف رأسه إلى السماء ..

إِنْ تَكُنْ هُنَاكَ سُوَى بَعْضِ سَحَابَاتِ مُتَنَاثِرَةٍ هُنَا وَهُنَاكَ،

وَإِنْعَمْ ذَلِكَ ابْتَسَمَ وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الْحَكِيمِ وَيَقُولُ:

- الْمَأْقُولُ لِكَ بِأَنِّي أَثْقَ بِهِ

في الحقيقة: لم يفهم الحكيم شيئاً مما يحدث، لم يفهم السبب الذي جعل عاصف يقول تلك العبارة، ولكن طاغين داخل عربته بدا كمن شهد سراً، يله انكمشت فوق مسند المقعد وعيناه صارتَا تبحثان في الأفق، جنود النخبة حول العربية أيضاً استعدوا وقد أدركوا ما يحدث؛ فذلك صمت لا يدرك معناه إلا أهل الحرب.

AP

ووجأة بدأ الصوت يعلو شيئاً فشيئاً ..

لم يكن قرع الطبول هذه المرة بل رفرفة أجنبية، أنت فادعة من الجهة  
الغربيّة، ثم جاء صوت الصهيل، صهيلٌ أدرك كل من سمعه أنه ليس صهيل  
خيول عاديّة

\*\*

### الأشاؤون

كان أهالي قرية الجسّاسة قد سمعوا بالقناطير .. سمعوا عنها في  
الحكايات والقصص، ولكن القليل منهم فقط من استطاع أن يشاهد كائنًا  
منها على أرض الواقع ..

في ذلك النهار رفع أهالي القرية رؤوسهم وشاهدوا منظرًا لن يتزحزح  
من ذاكرتهم أبدًا، المنظر الذي سيظلّون يقصّونه لأبنائهم وللأجيال من  
بعدهم: إنها ظلال ضخمة تعبّر السماء لمخلوقات ذات جذوع بشرية من  
الأعلى، وأجساد خيول مجنة من الأسفل، تحمل سيفًا طويلاً ورمادًا  
ودروعًا ثقيلة ولديها ملامح أكثر حدة من رؤوس السهام المعيبة.

قال جَلْمود قائد الحرس وهو يأمر الجنود:

- استعدوا، إنهم قبيلة الأشاؤون.

\*\*

كانت الأميرة آشاس أميرة قبائل الأشاوس - تقدم كنال الفيلة  
وهي نليس درعاً فضيّاً، وتقدّم الجميع خلفها بينما تشق الهواء بجناحيها  
الطويلين، وعلى متنها تجلس امرأة محاربة، عينها توهجان بقوة غربية  
وكان المعارك لعبة بالنسبة لها .. ورغم هيئتها البشرية إلا أن منظرها كان  
يثير في النفوس شعوراً غامضاً لا يُشبه الشعور الذي يثيره النظر تجاه أي  
إنسى آخر: ببرواعها مشقوقان بالطول كعيون الأفاعي، يلمعان كحد سكينة  
مصفولة، ولديها ثلاثة خطوط طولية تنحدر من تحت عينيها كأنها قشور  
خفية، وكان لون جلدها يتبدل أحياناً أسفل ضوء الشمس ليكشف عن  
ت波جات حرشفية ..

فوق رؤوس الكثائب مباشرة طائر أحمر يحلق فارداً جناحيه ويرأر،  
كان صوته المرعب القوي بالإضافة لمنظر الأشاوس هو ما جعل سكان  
القرية ينكحشون إلى الوراء ويفرّون إلى بيوتهم .. رفعت الأميرة آشاس  
رمحها الطويل وأشارت به نحو منصة الاعدام وصاحت بعلو صوتها  
الذى تردد في الأفق:

- لا تتركوا لهم متسعًا لالتقاط أنفاسهم !!!!

أوشك الاشتباك أن يقع،

غير أن هنالك شيئاً ما كان يستعد للظهور من باطن الأرض، شيء  
لم تحسب الأميرة آشاس، ولا المحاربة السوداء التي تمنطي ظهورها  
حساباً لها ..

إنه شيء خطير،

سوف يُغير كل شيء حين يظهر ..



## أبواب الجحيم

تحت السماء التي بدأت تتشلّد بالغيوم الثقيلة أشارت الأميرة آشاس  
بيدها، فأطلقت قبائل الأشاؤس رماحها التي سقطت على أطراف ساحة  
الإعدام وكأنما السماء تمطر حديداً .. ومعها دوى صوت رهيب انبعث  
من فم المرأة السوداء المحاربة التي تدرككم تحتـمـنـ قـبـائـلـ الأـشـاؤـسـ  
اسم "بحر وأيوب" وتعلم أن كل مقاتل فيهم يحمل في قلبه لهذا الاسم  
قداسة عظيمة:

- من أجل عاصف ابن بحر وصديق أيوب !!!

تجمد الجالس داخل العربية مكانه وقد عرف صاحبة تلك الصرخة،  
كما عرفه كل من حوله من جنود النخبة الملكية، إنه بلا شك صوت  
كويرا أفعى الجن تارا التي جاءت إلى الساحة متمثلة ب الهيئة البشرية !!

\*\*

### الشيء الذي سوف يظهر

هجمت قبائل الأشواوس من الأعلى بأجنحتها القوية يتبعهم إكليل  
في انقضاضه واحدة فاصلة .. ولكن قبل أن يحدث الاشتباك: اهتزت  
الأرض وانشققت، وخرج من جوفها كائن أول ضخم الجثة رأسه مليء  
بالقرون ووجهه كأنه صلب من لحم يغلي .. أعقبه ثانٍ وثالث ثم جيش  
من الشياطين المعروفة باسم "الغيلان المتردة" جعلت تصعد من أسفل  
الأرض تباعاً وراحتهم تملأ الساحة كبريتاً ودخان !!

هنا أدركت كويرا أفعى الجن وهي تشاهد الخصم الجديد بأن ما كانت  
تلحظه غارة سريعة لإنقاذ عاصف والحكيم سوف يستحيل إلى حرب غير  
محمودة العاقب ..

\*\*

## الاشتباك

بدأ صوت الحرب يعلو، صوت الحوافر، قرع السيوف، شهقات أرواح تُزهق، كان كل شيء يحوم في فلك معركة محظونة، ولا أحد حتى اللحظة يعرف كيف وصل ذلك الفصيل المربع - الغيلان المردة - ولا من جاء بهم إلى هنا لقتال قبيلة الأشواوس .. وفي وسط هذه الغوضى العبيبية، جاءت اللحظة التي اختار فيها الشمالي أن ينزع عن وجهه قناع الخيانة ويتحرك؛ فأخرى يده اليمنى عن لجام حصانه، أغمض عينيه لجزء من الثانية كأنما يستدعي كلاماً داخلياً وسط العاصفة ثم همس لنفسه وهو يفتح عينيه:

- الآن !!!

ثم انقض بكل قوته ..

حيث قفز من على حصانه كذئب يهاجم وكر العدو،  
تسلل عبر جنود النخبة الملكية الذين تشتتوا بسبب الهجوم الجوي،  
وانطلق كالضوء الساطع يركض نحو العربة التي يجلس بداخلها طاغين،  
انطلق بخطوات محسوبة دون أن يُظهر أي تردد وكأنه ينفذ أمراً طال  
انتظاره.

حين اقترب من هدفه زاد من سرعته حتى كاد أن يختفي لعمرط ..  
ثم قفز نحو العربة بسيفه الطويل الأثيل بسيوف الساموراي مخترقاً إيه  
في لمع البصر، وصوت الطعنة يخترق الهنافات والصراخ ليخرج النساء  
من الجهة الأخرى للعربة وجسده متواضع بالدم وعلى طرف سيفه رأة  
مقطوعة مكبلة بالناج ..

إنه رأس طاغين ..



## وداعاً

ولكن ..

لم يصرخ أحد،

لم يركض خلفه أحد،

لم يُرفع ضده رمح ولم يُوجه نحوه سهم،

الجميع - جميع جنود النخبة الملكية - كانوا مشغولين باتجاه آخر،  
باتجاه منصة الاعدام؛ الأمر الذي جعله يتساءل عن السبب الذي  
جعلهم غير مهتمين لمقتل الملك في حين أن حدثاً كهذا يفترض  
أن يقضي على أرواحهم القتالية .. ولكن هم - غير مكترثين بما  
حدث - يندفعون نحو عاصف والحكيم وكأنهم ينفذون خطة مدروسة،  
فأخفض الشعالي بصره نحو الرأس المقطوع وأدرك الحقيقة: هذه الرأس  
المقطوعة ليست لطاغين بل هو شبيه له ١١

وهنا أدرك الشمالي الفخ الذي أعده طاغين بذكاء ليصطاد ثلار طرائد في وقت واحد: فهو لم يأت بعاصف إلى الجيزة من أجل أن يعلمه أمام أهل قريته كما كان قد أدعى .. بل جاء به إلى هنا ليستخدما طعمًا يستدرج به قبائل الأشواوس ويتغريم بالقدوم - إنه يعلم بأنهم دومًا لإنقاذه بسبب وفائهم لوالده بحر وصديقه أيب - ثم يقاجحهم بجيش من الغيلان المردة - والذي غالبًا كان قد استدعاهم بعد أن دفع لهم أمولاً طائلة ليشاركون في المعركة - وبذلك يستطيع بواسطتهم أن يقضي على قبائل الأشواوس وينهي تمردهم ثم يقتل عاصف والحكيم، ويكشف حقيقة ولاء الشمالي الذي لم يخن صديقه بل كان يحاول طبلة المدة الماضية شراء الوقت في انتظار اللحظة المناسبة لتنفيذها: لقد كان طاغين أذكي منهم جيًعا !!

رفع الشمالي عينيه باتجاه المتنفسة، رأى عاصف والحكيم وما محاطان بجنود النخبة والسيوف مشرعة نحوهما .. لقد فات أوان التدخل ورغم ذلك إلا أنه حين نظر إليهما وجدهما ينتظران إليه بحب وها يتذكران تلك اللحظة التي اعترض فيها طريقهما في النفق وأسقطهما أرضًا قبل بلوغهما النهاية .. حينها استغل الشمالي انفراده بهما وهس إليهما في لحظة سريعة ودون أن يتبهه إليه أحدٌ من الحرس:

- كل شيء مخطط له، تقابي !!

لقد خططت ثلاثة - عاصف والحكيم والشمالي - لأن يعيشوا لمدة  
المول، ولكن الموت كان إلى بعضهم أقرب، صالح الشمالي وهو يبكي  
لأنه لم يكن على قدر الثقة:

- داعاً

## الباب الثاني



مماليك التلين

الطريق إلى القصر

.. غياث، نورس، ريحانة فرخ التلين رعد ..

داخل إحدى العربات المكسوة أرائكها بالجلد الأسود الفاخر،  
استندت نورس رأسها على ذراع والدها "غياث" وجلست تُحدق  
من خلال نافذتها نحو الأشجار التي تسرع بالخلف بينما كان التلين  
الصغير "رعد" ملتفاً عند قدميهما، قالت ريحانة - الجالسة على الأريكة  
 أمامها - في محاولة للتخفيف عنها:

- كل ما في الأمر هو أننا ذاهبون إلى القصر الملكي في زيارة  
تشريفية ولا يوجد داعٍ لكل هذا القلق الذي تشعرين به يا نورس

تحدثت نورس أخيراً بعد صمت طويل تخبرها بما يُقلقها:

- في المرة الماضية التي طلب الملك يمان فيها والدي واستدعاه إلى القصر .. كان يستدعيه لأجل إرساله في حرب كبيرة ضد اللعين عاصف، فما الذي يضمن لنا اليوم بأنه لا يطلب من أجل تكليفه بعهدة

جديدة<sup>٦</sup>

- ما كان الملك يمان سوف يسمح له بإحضارنا معه لو أنه كان يريد تكليفه بعهدة جديدة، أليس كذلك؟

- ربما تكونين محقة، ولكن لماذا يستدعيه اليوم؟

- لا تنسى أن والدك أحسن تنفيذ المهمة الماضية، وربما يدعوه الملك اليوم لأجله تكريمه.

نورس وهي تلتفت وتنظر إلى غياث وتناديه:

- أبي ..

ما إن نظر إليها غياث حتى أدرك بأنها تريد أن تستاذنه في أمر متھور، فقال بنيرة حادة وكأنه يريد أن يقطع عليها الطريق:

- ماذا تريدين؟!

---

<sup>٦</sup> في رواية التسجيل: قام الملك يمان باستدعاء غياث إلى القصر من أجل تكليفه بعهدة قيادة الجيش إلى المعركة، وقتل عاصف وخلفه.

ترددت قليلاً قبل أن تكشف له عن رغبتها:

- أتسمح لي أن أصفع الملك يمان في حال تبين لنا أنه يخطط  
لشيء سئ؟

يعرف غياث أنها تعني ما تقول؛ لذلك لم يتهاون وقال يحذرها:

- لو صدر منك أمام الملك ما يُسيء، فسأغضب منك !!

وهي ترفع إصبعيها السبابية والإبهام وتومي له:

- صفعة صغيرة بهذا الحجم فقط.

- سأغضب منك !!

- تغضب كثيراً أم قليلاً؟

- كثيراً

- كثيراً كثيراً، أم كثيراً قليلاً؟

- كثيراً كثيراً.

- حسناً لن أفعل - ثم همست - ولكن لا أضمن كيف ستصرف  
رعد حين يرانى غاضبة.

- أما هذه السحلية فسوف أشويها إن صدر منها ما يُسيء !!

نورس وهي تلتقط تبنينها من عند قدميها وتحتضنه:

- هذا فرع ثنين وليس سحلية !!

قال وقد عرف من أين عليه أن يضغط:

- إن كان أمر هذا الكائن يهمك فاللتزمي الأدب يا نورس !!

- حسناً، أعدك بأنني سألتزم أمامهم بالأدب.

- أحسنت يا ابنتي

- ولكن ما ذا عن الشتم؟ ..

- الشتم؟

- نعم، أستطيع أن أشتمه بدلاً من أن أصفعه !!

- نورس !!!

- سوف أشتمه في قلبي فقط !!

وهو يرفع إصبعيه السبابية والإبهام ويومئ لها:

- شتيمة صغيرة بهذا الحجم فقط !!

وهي ترفع إصبعيها:

- نعم بهذا الحجم فقط !!

- حسناً، لا بأس.

\*\*

مضى وقت عليهم داخل القُمرة، بينما العربية تواصل شق طريقها نحو القصر، واثناء ذلك الوقت غفت نورس على ذراع والدها، بينما استغلت ريحانة ذلك وهمست:

- ما الذي يشغل بالك يا سيدى غيَّاث<sup>٧</sup> ؟

- كم مرة طلبت منك بأن تزععي الألقاب بيتنا يا ريحانة ؟

- آسفة - قالت - لقد جرت الكلمة على لسانِي.

- لا حاجة للتتكلف، تستطيعين أن تناديني " سيدى " فقط.

ضحكَت ريحانة، كانت تعلم أن هنالك ما يشغل باله ولكنه يُجيد قمع الفلق وتحجيمه حتى لا ينتقل لمن هم معه، وكانت تحب هذه الصفة فيه.

- ما الذي يشغل بالك يا غيَّاث ؟

- لقد خدمت في البلاط الملكي طويلا .. وأعلم جيداً أن الملك يمان لا يتحرك دون غاية؛ وهذه الدعوة المفاجئة ترك أثراً مباشراً داخلي لا يجعلني أشعر بالطمأنينة.

---

<sup>٧</sup> تنادي سيدى؛ لأنَّه كان المسؤول عن تدريهما عندما كانت فارسة في فرقه حرابة الملك. المصدر: رواية التسجيل.

- ربما يرغب الملك في تدميرك بعده، أن  
فاطعها غياث مبتسمًا قبل أن تتم جملتها فالله:  
- حتى سحلية نورس لا تصدق هذه الحججة يا ريحانة.

٤٤

توقفت العربية أخيراً، وفتح الباب لتدفع إلى داخل القمرة نسمة هوا،  
محملة برائحة حدائق قصر مالك التنين المترعة بالأشجار والأزهار،  
وأصوات بلا بل الطيور .. ومع اهتزاز العربية الخفيفة أثناء التوقف استيقظت  
نورس من نومها، رممت بعينيها مرتبين كأنها تحاول استيعاب المكان  
الذي وجدت نفسها فيه ثم اعتدلت بيضاء وهي ترى خادم القصر يرحب  
بوالدها:

- أهلا بك سيدى غياث، وأهلا بضيوفك.  
قالت ريحانة توصي نورس قبل أن يترجلوا من قمرة العربية:  
- لا تحدقي كثيراً إلى أحد، لا تتكلمي إن لم يطلب منك، وتذكري  
أن أي تصرف غير محسوب في الداخل سوف يدفع والدك ثمنه.  
نورس وهي تنزل من العربية خلف والدها:  
- لا تقلقي، سوف أبهرك.

ريحانة تنهد بقلق وهي تحمل بين يديها فرج التنين رعد، وتستعد  
لمغادرة القمرة:

- ليكن الرب معنا.

\*\*

### داخل القصر

كانت قاعة القصر الملكي في مالك التنين واسعة، جدرانها مكسوة  
بأحجار براكيٍّ حمراء غامقة تحمل شمعداناتٍ نحاسية عتيقة تُرسل  
ضوءاً ناعماً على أرضية الرخام المصقول

دخل غياث أولاً،

هيبة جسده كانت تسقه، كتفاه مشدودتان، وخطاه محسوبة،  
عيناه تتحركان في هدوء بين الزوايا، يقرأ المكان حوله كما يقرأ ساحة  
المعركة، فلقد علمته الحياة أن السلام قد يُخفي بين ثنياه نصلاً غادراً  
يتتظر اللحظة المناسبة .. إلى جواره دخلت نورس بخطوات رصينة  
وخلفها ريحانة بشوبٍ رماديٍّ بسيط وعلى كتفيها فرج التنين الصغير  
يلتف كوشاح حي وعيناه تتفازان في كل اتجاه.

على العرش الملكي المذهب والمصنوع من حجارة البراكين ذي الظهر  
المرتفع والمتصل بسقف القاعة، جلس الأمير - أركان - والذي كان فتاً  
في بداية العشرينات من عمره، وسيم، يلف كفيه بعباءة ملكية ثقيلة تنسدل  
بأناقة، وللإيساره امرأة ذات وقار، شعرها الأبيض مصفف بعناية، يعلو  
رأسها تاج صغير منقوش عليه رمز التنين إنها الملكة "أنورا" زوجة الملك  
يَمان ووالدة الأمير .. وخلفهما مباشرة كان يقف رجل طويل القامة مفتول  
العضلات اسمه "سحاب"

ما إن أصبح غياث بالقرب من العرش حتى أدى برأسه انحناء بسيطة  
وهو يقول:

- السلام على الملكة أنورا، والأمير أركان.

رددت الملكة عليه التحية من مكانها، وفي حين اقتضت مراسم البلاط  
أن يرد الأمير عليه بالتحية من مكانه، إلا أنه خالف العرف، فنهض من  
مجلسه وهو يقول:

- غياث .. الظل القديم لوالدي - ثم وهو يقترب منه فاتحًا ذراعيه  
ويُضيف:

- مرحبًا بك في قصرنا من جديد.<sup>٨</sup>

---

<sup>٨</sup> الظل هو الاسم الرسمي لحارس الملك في مملكة التنين. المصدر: "رواية التجيل"

على العرش الملكي المذهب والمصنوع من حجارة البراكين ذي الظهر  
المرتفع والمتصل بسقف القاعة، جلس الأمير - أركان - والذي كان فتاً  
في بداية العشرينات من عمره، وسيم، يلف كفيه بعباءة ملكية ثقيلة تنسدل  
بأناقة، وللإيساره امرأة ذات وقار، شعرها الأبيض مصفف بعناية، يعلو  
رأسها تاج صغير منقوش عليه رمز التنين إنها الملكة "أنورا" زوجة الملك  
يَمان ووالدة الأمير .. وخلفهما مباشرة كان يقف رجل طويل القامة مفتول  
العضلات اسمه "سحاب"

ما إن أصبح غياث بالقرب من العرش حتى أدى برأسه انحناء بسيطة  
وهو يقول:

- السلام على الملكة أنورا، والأمير أركان.

رددت الملكة عليه التحية من مكانها، وفي حين اقتضت مراسم البلاط  
أن يرد الأمير عليه بالتحية من مكانه، إلا أنه خالف العرف، فنهض من  
مجلسه وهو يقول:

- غياث .. الظل القديم لوالدي - ثم وهو يقترب منه فاتحًا ذراعيه  
ويُضيف:

- مرحبًا بك في قصرنا من جديد.<sup>٨</sup>

---

<sup>٨</sup> الظل هو الاسم الرسمي لحارس الملك في مملكة التنين. المصدر: "رواية التجيل"

مَدْ غَيَّاثٌ ذِرَاعِيهِ وَحِيَا الْأَمِيرُ بِنْفُسِ حَمِيمِيَّةِ التَّرْحِيبِ:

- شَكَّرًا عَلَى حِفَاوَةِ الْاسْتِقْبَالِ أَيْهَا الْأَمِيرُ.

تَبَادَلَ الْاثْنَانِ نَظَرَاتِ الْمُودَّةِ، قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْأَمِيرُ أَرْكَانَ بَصَرِهِ نَحْوِ

مَرْاقِبِهِ وَيَقُولُ:

- أَنْ تَعْرَفَنَا بِمَنْ جَاءَ بِرْفَقْتِكَ يَا غَيَّاثَ؟

قَالَ غَيَّاثٌ وَقَدْ أَنْسَاهُ حَسْنَةِ الْأَمْنِيِّ وَاجْبَ اللَّبَاقَةِ:

- هَذِهِ رِيحَانَةُ، كُنْتَ أَشْرَفَ عَلَى تَدْرِيَبِهَا قَدِيمًا فِي فِرْقَةِ حَمَّامَةِ الْمَلِكِ،

وَقَدْ انْفَصَلَتْ عَنِ الْفِرْقَةِ مُؤْخِرًا وَأَصْبَحَتْ صَدِيقَةً مَقْرَبَةً لَنَا - ثُمَّ وَهُوَ

يُشَيرُ نَاحِيَةَ ابْنِتِهِ وَيَقُولُ: وَهَذِهِ ابْنَتِي نُورُسُ.

تَنْهَجَتْ نُورُسُ وَهِيَ تُشَيرُ بِعِينِيهِا نَحْوَ فَرَخِ التَّنَيْنِ، مَا جَعَلَ غَيَّاثَ

يَكْمِلُ وَقَدْ فَهَمَ قَصْدَهَا:

- وَهَذَا فَرَخٌ تَنَيِّنَهَا الْخَاصُّ وَاسْمُهُ رَعْدٌ.

كَانَ لَدِي أَفْرَادٌ شَعْبٌ مَالِكُ التَّنَيْنِ - وَلَا سِيمَا الْعَائِلَةُ الْمَالَكَةُ -

جَبًا خَاصًا لِلتَّنَانِيْنِ؛ وَلَذِلِكَ فَقَدْ انْدَعَ الْأَمِيرُ بِطَرِيقَةٍ لَا شَعُورِيَّةٍ نَحْوِ

الْفَرَخِ لِيَتَفَحَّصَهُ، لَكِنَّ مَا إِنْ مَدَ يَدَهُ نَحْوَهُ حَتَّى فَتَحَ رَعْدٌ فِمَهُ فَجَأَهُ

مَحَاوِلًا عَضُّهُ، فَمَا كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ إِلَّا أَنْ يَتَرَاجَعَ بِحَرْكَةٍ لَا إِرَادِيَّةٍ وَهُوَ

يَقُولُ فِي حَدَّةٍ:

- مَا بَالَ هَذَا الشَّيْءُ الْأَحْقَقُ؟!

حاولت نورس أن تغض الطرف عن تلك الإهانة ولكن لسانها انفلت  
رغماً عنها:

- انتبه لما تقول أيها الأمير الأحق !!

رمقها أركان بنظرة غضب قبل أن يقول: المثلي يقال أحق !!  
 هنا أدرك غياث أن عليه التدخل فوراً، قبل أن يخرج الأمر عن  
السيطرة:

- نعتذر لك أيها الأمير؛ فهي ما تزال صغيرة ولا تعني ما تقول.

مكث الأمير يتحقق بنورس لبعض الوقت قبل أن يقول:

- لولا والدك، لجعلتك تدفعين ثمن قلة أدبك.

حاولت مجدداً أن تصمت ولكن التهور الذي بداخلها، والذي بدا  
وكانه أشبه بجينات موروثة لا تستطيع التحكم بها، هو ما جعلها تفشل  
في ضبط أعصابها وترد:

- ولولا والدي واحترامي له لأعطيتك درساً في الرجولة، لتعرف كيف  
تخاطب ضيوفك بالمرة القادمة.

عند تلك الكلمات تحرك الظل "سحاب" ليعاقب تلك الفتاة على طولة لسانها، فاستعد غياث للتصدي له .. ولكن قبل أن يتتطور الأمر أكثر وتحدث مجزرة فوق بلاط القاعة، تدخلت الملكة على الفور:

- إن للضيف حق الخطأ، ولنا واجب الحِلْم، مرجحاً بكم هذا النهار  
في ضيافتنا.  
بهيئتها وحدها أغلق الموقف.

ثم قالت وهي تشير بيدها ناحية جماعة من أهل القصر:  
- سوف يأخذكم الخدم إلى جناح الضيافة لستريحوا فيه من عناء الطريق.

- شكرًا لكم يا جلالة الملكة، ولكن .. لا يفترض أن نلتقي بجلالة الملك قبل أن نذهب للراحة ؟
- الملك يمان يعني من وعكة صحية، ولن يكون في وضع يسمح له باستقبال أحد، أبني الأمير أركان هو المفوض عنه بواجب ضيافتكم، واستقبالكم في قاعة المأدبة ..

ما إن سمع غواص ذلك حتى نهاده الشوك بداخله، وأدخله إلى الظن بأن أمراً ما يُدبر في المقام داخل الفرس، وما غواص العايمان - الذي جاءتهم الدعوة الملكية باسمه - إلا دليل آخر على ذلك.

لكنه لم يتكلم ولم يقل شيئاً يفضح فلاته .. هل استدار بصمت وسار نحو جماعة الخدم تبعه ريحانة التي انحنىت على نورس معانبة:

- وهذا ما اتفقنا عليه في العربية

نورس وهي تسير بمحاذاتها وتقول بصوت نادم:

- آنلاین -



## القصر الملكي لممالك التلدين قاعة المأدبة

كانت قاعة المأدبة فاخرة التفاصيل، سقفها العالي تنحدر منه ثريات نحاسية تراقص أنوارها فوق الجدران المزينة بنقوش لتنانين تصارع داخل حلقة النار .. تمتد وسط القاعة طاولة من الخشب الداكن محفوفة بمقاعد حجرية مفروضة بالمخمل .. فوق الطاولة تتوزع كؤوس من الكريستال إلى جانب أطباق دائيرية مغطاة بأغطية ذهبية تفوح منها رائحة الأكل الشهي، كل شيء يبدو طبيعياً هناك إلا شيء واحد وهو عدد الجنود الذين يصطفون على جانبي القاعة ..

دخل غياثاً أولاً وهو يسير بثبات ..

نظاراته الحادة تلتفت التفاصيل وتقدر المسافات بين المداخل والتوافذ،  
وتقيس عدد الجنود غير المألف في المكان: صfan من الحرس المدرع  
يقغان على جانبي القاعة، لا يتباذلون النظارات وكل واحد منهم يضع يده  
على مقبض سيفه في إشارة أيقظت بداخله القلق ..

دخلت من بعده نورس ثم ريحانة تتبعهما في صمت بينما يستقر فرخ  
التنين بين كفبها، يراقب المكان بنظرات تشـي بأنه هو الآخر غير مرتاح  
لهذه الأجواء .. سارت ريحانة ونورس خلف غياث وهما لا تزالان تذكران  
وصيته لهما قبل أن يغادروا جناح الضيافة:  
- لا تأكلـا إلا حين أشير إليـكما بذلك.

- لماذا - قالت نورس حينها - أتظن بأنـهم سوف ..  
- لست متأكـداً، ولكن إن كان هنالك سـم فسوف استطـعـمه.  
قالـت ريحانة تحـذرـه:  
- لا تخـشـي أن يـفـتكـ بكـ قبلـ أنـ تـكـشـفـهـ ؟

قال غياث:

- ليس هنالك حل آخر .. يجب أن يُضحي أحدنا ليعيش البقية؛  
اما إن امتنع جميعنا عن الأكل بدون دليل فسوف يُعتبر إهانة لن تغفرها  
لنا الملكة ولا القصر - وأردف قائلاً كما ليقطع دابر الجدل حول هذه

النقطة:

- سأكل أنا أولاً ثم أشير إليكما بالأكل !!

\*\*

اختار الخدم لهم المقاعد الثلاثة المقابلة للأمير أركان ووالدته الملكة،  
وما إن جلسوا في المقاعد المخصصة حتى مدد الخدم أيديهم ليحرکوا  
الأغطية من الأطباق في حركة موحدة، انبعث معها بخار دافئ تفوح منه  
روائح اللحم العتيل، والعسل الناثب، والخبز المحمس تسماح في تناغم  
واحد مع رائحة مشروب التفاح النهي الطازج المسكون في كؤوس  
الكريستال ..

مدد غياث بده أولاً، وبذا يأكل  
دون أن يعلم ما الذي كان يتنتظره في الطعام ..

\*\*

وبعد ثالث لقمة توقف غياث عن المضغ، ويدأن ملامحه تعم  
تدرجياً بعد أن استطاع في الأكل مرارة شادة، لم تكن تلك العادة  
بسبب السم الذي ميز طعنه، بل بسبب مرارة الحقيقة التي اكتشفها  
متاخرًا؛ فعندما أهانت ابنته نورس الأمير بقولها (لو لا والدي لأنطبيتني  
درساً في الرجلة) تدخلت الملكة فوراً وأنهت الخلاف مما جعل غياث  
يشكرها حينها لاحتواها الأزمة، ولكنه الآن اكتشف بأنها لم تفعل  
ذلك احتراماً للضيوف؛ إنما لإتمام خطة كانت قد أعدتها لهم في قاعة  
المأدبة وهي: دس السم في الطعام.



الشّم

رفع رأسه وقال وهو يُحدق نحو الملكة وقد بدا على صوته الاختناق والقهر:

- لقد دسست السم في الطعام، وفي شراب التفاح !!  
حاول النهوض لكن ركبتيه خانتاه، ترُّأَح ثم سقط على الطاولة، صدره  
يعلو ويهدب، ويداه تمتدان إلى عنقه كمن يصارع الموت، ثم أغلقت  
عيهانه وسكت فجأة ..

هنا صرخت نورس بأعلى صوتها وهي تنهض:  
- !!!!!!!

لكن ريحانة أمسكت بها لمنعها من إبداء أي حرفة منها، بينما ابتسمت الملكة أنورا حينها وهي ترفع يدها فجأة وتأمّل الحرس المتأهبين:

- هذه فرصتكم، اقتلوه الآن !!

كان ظل التنين "سحاب" هو أول من تحرك لتنفيذ أمر الملكة تلاه بعد ذلك الجنود المتأهبون، ولكن في اللحظة التي رفعوا فيها أقدامهم ليتقlimوا نحوه تجمدوا في أماكنهم وكأن لعنة ما قد أصابتهم بالشلل دفعة واحدة .. مرت لحظة صامتة ثم بدأت بعد ذلك ضحكة شيطانية خافتة تصاعد من فم غياث الذي رفع رأسه وهو ينظر نحو ابنته ويسأّلها قائلاً:

- ما رأيك بهذا الأداء يا نورس؟

- جيد نوعاً ما، ولكن كان ينقصك أن تخرج لسانك !! ثم نظرت تجاه الملكة والأمير وهي تمد يديها إلى عنقها وتؤدي نفس الدور التمثيلي الذي أداء والدها قبل لحظات، ولكن بالطريقة التي ترى بأنها أكثر احترافية؛ فقالت وهي تسقط على الطاولة وتخرج طرف لسانها:

- لقد دلّتم الشم في الطعام، وفي ثرااااب الثفاااااح !!

كان أداؤها مبالغًا فيه إلى حد جعل من يراقب فرخ التنين تلك اللحظة يظن أنه على وشك أن يضحك .. كل ذلك يحدث والملكة والأمير يحدقان في تلك العائلة غريبة الأطوار بدعشرة لا تخلو من المذنر بينما صفق غياث لابنته:

- أداء رائع يا ابنتي .. سوف آخذ بمحظتك في المرة القادمة.
- قال ذلك ثم نظر نحو الملكة أنورا وابنها الأمير أركان، وحدق إليهما بعض الوقت قبل أن يمد يده نحو كأس العصير ويقربه من فمه ويحتسي ما تبقى منه دفعة واحدة وهو يقول:
- إضافة السم إلى العصير كانت فكرة مبدعة؛ فقد أعطيت له مرارة لذيندقة.

ثم نهض من مكانه وسار بخطى ثابتة وموجات من الهالة السوداء تبعث من حول قدميه، وكان بلاط القصر كان ينحني عند خطواته حتى وصل إلى حيث يجلسان وخلفهما يقف الظل "سحاب" مثل حيوان متجمد، انحنى غياث برأسه بينهما ثم قال وهو يلتفت يمينًا حيث نجلس الملكة:

- كنت أعلم أن هنالك من يسترق السمع علينا داخل الجناح الذي خصصه القصر لنا؛ ولذلك فقد جعلت مسترقي السمع ينقلون إليك الشيء الذي كنت أريدك أن تسمعه .. فاتك يا جلاله الملكة أن تذكرني بأن جبيرة الأرض التسعة لا يموتون بهذه السهولة.

ومد يده ليأخذ قطعة من اللحم، غمسها بالعسل، ثم أضاف وهو يمضغها:

- وقد كان من حُسن حظك بأنني انتبهت لأمر السم، وإن كنت سوف أهدم القصر على من فيه لو أن السم قد أصاب أيّاً من ابني نورس أو ريحانة أو حتى السحلية رعد.

لم تتكلّم الملكة وطلت تحدق إلى الأمام وفي قلبها شيء من الغيظ، بينما أدار غياث رأسه إلى اليسار - حيث يجلس الأمير أركان - وقال وهو ينظر إليه:

- كان لدى نورس بعد نظر حين قالت بأنك بحاجة للتعلم لتصبح رجلاً.

ثم اعتدل في وقوته وعاد يجلس فوق مقعده، ويقول وهو يوزع نظره عليهما بالتساوي ويُحدثهما بفوقية لا تليق بمقامهما وكأنه معلم يستجوب تلميذيه المخطئين:

- والآن عليكم أن تخبراني عن السبب الحقيقي وراء رغبتكم في التخلص مني.

ساد الصمت لبرهة قبل أن تقول الملكة بصوٌت هادئ يشبه الندم،  
هي ليست نادمة على المحاولة، بل لأنها لم تجتهد أكثر في التخلص  
منه:

- أعلم أنك قوي يا غياث، وأنك من أولئك الذين لا يقترب من  
حدودهم دون إذن .. وأعلم أنك أكثر أدباً من أن تحدثنا بقلة الاحترام  
هذه وتنسيء لأفراد العائلة الملكية التي خدمتها لسنوات طويلة، لكنني  
أتفهم الأمر جيداً؛ فهذه القسوة في الخطاب ما كانت لتخرج منك لو أن  
التهديد كان يخصك وحده، ولكن التهديد هذه المرة كان يستهدف  
من تحب.

لم يعلق، فكان صمته ذاك دليلاً على إصابتها الحقيقة؛ فغياث كان  
سيكون أقل حدة لو أن ذلك التهديد كان يخصه وحده .. نهضت  
الملكة من مكانها يتبعها ابنها الأمير وقالت وهي تهم بمعادرة قاعة  
المأدبة:

- خلص الجنود من لعنتك، واتبعني لأخبرك بالحقيقة كاملة ..

\*\*

. كان في القاعة التي انتقلا إليها من العزلة ما يكفي لقول الأسرار، وقفت الملكة عند النافذة العالية تتأمل حديقة القصر بينما غياث ظل واقفا خلفها عاقد اليدين يتضرر.

- الملك يمان يحضر يا غياث ..

لم يندهش؛ فقد أحس بشيء كهذا منذ أن رأى الظل "سحاب" يقف مع الملكة وابنها الأمير في حين تقضي واجباته الأمنية لأن يفارق الملك قيد أنملة.

تابعت الملكة أنورا دون أن تلتفت إليه قائلة:

- في الأيام القادمة سوف يبدأ مجلس العائلة بجمع الأصوات من الفروع الكبرى لاختيار وريث العرش، ونحن نعمل الآن بكل صمت على أن يكون أبني أركان هو المختار.

استدارت الملكة ببطء ونظرت إليه .. لم يكن في القاعة غيرها حيث أنها أمرت بأن يظل ابنها في الخارج مع نورس وريحانة، وأمرت بأن لا يقترب أحد من الباب.

- وما علاقتي أنا بجمع الأصوات ؟

- الأمر متعلق بجومانا ابنة جبار الأباطرة

ما إن ذُكر ذلك الاسم أمامه حتى انقبض صدره، وكان طيفاً من  
لبنين عبر بين ضلوعه.

- يبدو أن هنالك سوء فهم أيتها المد ..

رفعت يدها في إشارة منها لتجنيبه محاولة المراوغة:

- ما يحدث هذه الأيام يجبر بعض الأسرار على الخروج من  
جحورها، أنا أعلم الحقيقة .. أعلم أن اسم غياث ما هو إلا غطاء تُخفي  
نحنه اسمك الحقيقي يا أساطير .. أساطير بن جبار الأبطأة الذي  
اخفى في ظروف غامضة قبل سنوات طويلة ولا أحد إلا القليل من هذا  
العالم يعرف سره الحقيقي.

عرف غياث حينها أن الملك يمان هو من أخبرها؛ ولا بد أن الأمر  
الذي يجري الآن خطير بالفعل، خطير بما يكفي لينصح لها الملك  
عن سر كهذا.

قال دون مراوغة:

- وما بها أختي جومانا؟

- لقد رأها شهود، وأكلوا بأنها عادت إلى الحياة.

الشيء الذي لم يكن أحد يعرفه هو أن أساطير كان حاضرًا يوم دُفنت أخته جومانا، فما إن وصله خبر موتها - وهو في مالك التنين - حتى ترك خدمة الملك بطريقة غير رسمية، وانتقل إلى مقابر قرية الجيّاسة، كان يعلم أنه يجب ألا يراه أحد هناك حتى لا تحدث كارثة لا تُحمد عقباها، لكنه أحسن إخفاء هويته مستدعياً من أعماقه قوة التخفي ليلقي عليها تحية الوداع قبل أن يدفنوها.

- لقد ماتت، وما تقولينه يستحيل تصديقه.

- إلا إن كان والدك قد ألقى عليها تعويذة نصف البرزخ<sup>٩</sup>

- اتبهي إلى ما تقولين أيتها الملكة؛ فوالدي جبار الأباطرة ما كان

ليخرج قانوناً كهذا

- بعد غيابك المفاجئ ما عاد جبار الأباطرة ذلك القوي الذي كنت تعرفه؛ لقد أصبح ضعيفاً من الداخل، أقل قدرة على تحمل فقدان ابن آخر؛ لهذا استعن بشخص ما من أجل إلقاء تعويذة تحفظ ابنته من الموت الكامل، حتى يستطيع استعادتها في حال أنه خبرها يوماً.

---

٩ تعويذة في الأرض القديمة تُعزز الجسد بروح أخرى.

مكت غياث يفكر قليلاً قبل أن يقول:

- لكنها ماتت ووالدي كان لا يزال حياً، لو كانت هنالك تعويذة ملقة عليها كما تقولين، لكان قد قام بتفعيلها؛ ليعيدا إلى الحياة مجدداً.

- للوهلة الأولى قد يبدو كلامك منطقياً ولكن دعنا نعيد ترتيب الأحداث بسلسلتها الزمني الصحيح لنفهم ما حدث: كل شيء بدأ عندما اكتشف والدك أن ابنته جومانا تتسلل من الغابة المظلمة سراً لتخالط البشر في قرية الجئاسة، كان يدرك أن اقترابها من عالمهم لن يعود عليها إلا بالضرر؛ ولذلك استعان بشخص يُلقى عليها تعويذة نصف البرزخ<sup>١٠</sup> .. وهنا يجب أن تذكر يا أساطير أن كل ذلك حدث وجومانا ما زالت تتسمى إلى الأباطرة.

نوقت الملكرة عن الكلام قليلاً ثم تابعت:

- لكنها لاحقاً تزوجت من ذلك الإنسني وبزواجها كما تعلم ثُفيت اختك من عائلة الأباطرة؛ ولهذا السبب لم يتم والدك بتفعيل التعويذة عندما ماتت.

ساد الصمت،

لم يكن صمت التسليم،

بل صمت من لا بدري إن كان عليه أن يصدق أم يكذب.

---

١٠ - هنا الحدث مذكور بالتفصيل في رواية حومانا، حيث قام حمار بالاستماع بكونها لغير ثارا شفري على أنها حومانا تعويذة ضد البرزخ.

قال وكأنه يحاول الخروج من حيرته:

- حتى الآن لا أفهم سبب رغبة القصر في التخلص مني.

قالت الملكة وهي تحدق إلى عينيه مباشرة كمن ترید أن تخبر أثر

قولها عليه:

- إن صحت الأقاويل وعادت جومانا إلى الحياة؛ فهذا يعني أن قانوناً

قد كسر؛ الأمر الذي سوف يدفع بالزمهير إلى التحرك.

ما إن سمع بذلك الاسم - الزمهير - حتى ارتجف شيء عميق

بداخله، وسرت قشعريرة باردة على امتداد عموده الفقري؛ فحتى وإن

كان أساطير أحد جبابرة الأرض التسعة إلا أن سماعه لذلك الاسم

فقط كان كفيلاً بأن يثير الرعب بداخله.

تقدمت الملكة نحو النافذة وأخذت تطالع السماء الصافية وتقول

بصوت مفعم بالقلق:

- نحن ثابع ما يحدث من بعيد، وكل الدلائل تشير إلى أن تحرك

عائلة الزمهير بات وشيكاً .. وإن صحت أخبار عودة أختك جومانا إلى

الحياة فلا أحد يستطيع التنبؤ بما سوف تقرره تلك العائلة بهذا الشأن،

لكتنا لا نملك رفاهية الانتظار.

ثم التفت الملكة إليه ونظراتها تحمل ما يشبه التحذير:

- علينا أن نتخذ كل الاحتياطات لحماية مصالحنا، وضمان وصول

ابني أركان إلى عرش مالك التنين، مهما كان الثمن.

هنا ربط غياث الخيوط كلها بعض وقال وقد أدرك السبب:

- أنتم ت Afrafون من أن تتحرك عائلة الزمهرير للتحقيق في شأنعة خبر عودة أخي جومانا إلى الحياة؛ فيقودهم هذا التحقيق عن طريق الخطأ إلى الاصطدام بحقيقة أخرى .. بالحقيقة التي أخفيتوها عن العالم بأسره وهي بأنكم الجهة التي احتوتني، وساعدتني على البقاء حيًّا طوال هذه المدة.

قالت الملكة تؤكد له ما توصل إليه:

- أنت تدرك أن قلوبهم أشدُّ صدقًا من الثلج؛ ولذلك سموا بالزمهرير، وتدرك أيضًا إلى أيِّ حد قد تكون عقوباتهم قاسية إن اكتشفوا بأن الملك يمان هو من احتواك وأبقى سرك محفوظًا طوال هذه السنوات الماضية .. إن وصلوا إلى الحقيقة يا غياث فإننا لا نستبعد أن يفرض علينا حكم صارم قد يجعل الفروع الْكُبرى للعائلة ترفض التصويت لنا .. وفي تلك الحالة سوف يُتنزع الناج من فوق رأس ابني ليُسْنَح إلى وريث آخر من دماء عائلة التنين.

اقرب غياث منها حتى غدت أنفاسه تلامس وجهها، وقال ببرود وهو ينظر بثبات إلى صورته المنعكسة في حدقتيها:

- لقد انفصلت عنكم منذ مدة طويلة يا أنورا .. وشونكم الملكية لم تعد تعنيني بأي شيء .. ولا أرى ما يُبرر محاولتك قتلي، أو قتل من معى.

لم يحدث من قبل أن خاطبها أحد بهذه اللهجة:

- التزم حدود الأدب يا غياث، وتذكر الخدمة التي قدمها زوجي لك عندما جئت إليه هارباً من العالم الذي كان يطاردك بسبب المصيبة التي أقحمت نفسك فيها، وكنت بأمس الحاجة لمن يقف إلى جوارك ويساعدك.

- الخدمة التي قدمها زوجك إلى دفعٍ ثمنها بالكامل حين وهبت إليه نفسي حارساً لعرشه طيلة تلك السنوات، والآن انتهيت من تسليم آخر ما تبقى لكم عندي من ذين؛ وذلك عندما قررت التغاضي عما حدث في قاعة المأدبة .. وهكذا تنتهي المسألة بالتعادل، لا أدين لكم بشيء، ولا أتمن تدينون لي بشيء .. فإذا حاول أحد من القصر أذني أو أذية أحده من آل بيتي يا أنورا؛ فإن تاجك الجميل هذا المرصع بما لذ وطاب من الأحجار والمجواهر لن يجد رأساً يستقر عليها، هل اتفقنا؟

صمتت وهي تحدق إليه بغيظ، فقال مكرراً:

- أريد أن اسمعها منك، هل اتفقنا؟

- اتفقنا.

وما إن سمع تلك الكلمة تخرج من فمها حتى استدار وسار مبتعداً،  
لκκه توقف قبل أن يفتح الباب ويغادر، التفت إليها وكأنه تذكر شيئاً  
نـ غاية الأهمية:

- بالمناسبة ما هو نوع السم الذي وضعتمه في الطعام ؟

- لماذا تسأل؟

- لأن طعمه كان لذيداً وأتساءل إن كان لديكم المزيد منه.  
صمنت الملكة وقد طفح كيلها من استهزائه وقررت ألا تجيب، أما  
هو فقد ابتسם في وجهها وغادر المكان حاملاً في قلبه قلقاً حقيقياً من  
ذلك الاسم "الزمهير" .

2

العودة إلى الملل

سار الثلاثة - غياث ونورس وريحانة - ومعهم فرج التنين حتى وصلوا  
إلى باحة القصر .. هناك توقفت نورس مكانها وهي تنظر حولها بارتياح  
قبل أن ترفع رأسها لتنظر نحو والدتها وتسأله:

- ألى .. أين العربية التي أتت بنا ؟

- يبدو أن القصر غضب علينا يا ابنتي، لأننا لم نمت كما خططوا!

قرروا عقابنا.

- وكيف سنعود إلى المنزل؟

- لدى فكرة رائعة ..

تحمس نورس وهي تسأله: ما هي؟  
وهو يخطو نحو بوابة المغادرة: أن نستخدم أقدامنا !!

علقت ريحانة ساخرة:

- يا لها من فكرة عظيمة !!

غير أن نورس قالت بتذمر طفولي:

- لكن المسافة بعيدة، ألا توجد فكرة أفضل؟!

غياث وهو يسير متقدماً:

- ليس أمامنا إلا أن نستخدم أقدامنا أو أن ننتظر سحلتك حتى تكبر

فتمطئها وتحلق بنا إلى المنزل

قطبت نورس حاجبيها وهي تُتمّم:

- إنك لا تفوّت فرصة للسخرية من رعد !!

ضحكـت ريحانة وهي تمسـك يـد نورـس بـرفـق وـتقول:

- لا بأس .. سوف نستمـتع في الطريق ..

وأثناء ما كانوا يتبعدون شيئاً فشيئاً، كان غيّاث يشعر بأن هنالك عيوناً من خلف نوافذ القصر تراقبهم .. لكنه واصل المشي غير مكترث إلا بشيء واحد فقط: بتلك اللحظة الدافئة التي تجمعه بمن يُحب .. وفي الحقيقة كان يستطيع استخدام قوته في الانتقال اللحظي بهم إلى المنزل ولكنه كان يريدقضاء وقت ممتع معهم في المشي ..

\*\*

## القصر العيون خلف النافذة ..

من داخل القصر، كانت هنالك يد امرأة تمسك طرف ستارة العالية للنافذة، وتنظر بثبات إليه - إلى غيّاث - وهو يتبعها، بينما جاءها الصوت المبحوح المرهق من خلفها يقول:

- أخبرتكم أنه لن يموت بهذه السهولة، لكنكم أردتم تجربة الأمر بنفسك.

الملكة أنورا وهي تنظر نحوه باهتمام:  
- ما الذي جعلك تغادر فراشك وأنت بهذه الحالة يا يمان؟

- تقديم الملك المتعب نحوها متكتئاً على عصابة يُسند، بها جسد،  
الواهن وهو يقول من بين أنفاسه:
- جئت لأطمئن عليكِ بعد فشل الخطة.
  - كان علينا أن نباغته لحظة وصوله القصر؛ فلا نعطيه فرصة لأن  
يلقط أنفاسه.
  - وهو ينظر إلى غياث من خلال النافذة: سوف تحتاجين إلى كتاب مدرية من الجنود الأقوىاء، والفرسان الشجعان يا أنورا من أجل أن تُسقطي محارباً عظيماً مثل أساطير.
  - تتحدث عنه وكأنك تحبه، وأنت الذي سمح لنا بتسميمه.
  - لا أحد يعرف أساطير عن قرب ولا يقع في حبه .. ولكن العروش يا أنورا لا تعرف بالعاطفة، نعم سمحتم لكم بخوض محاولة تسميمه ولكنني - ثم أخذ نفساً عميقاً وتراجعت؛ كأنما الحيرة التي بداخله جعلته لا يعرف كيف يعبر بما بخاطره؛ مما جعل الملكة تتدخل:
  - أقصد أن تقول بأنك سمحت لنا بقتله، وفي ذات الوقت أردتنا أن نفشل؟

- جزء مني كان يريد للخطة أن تنجح فنفسي على أي احتمال بنهاية  
صهود أركان، ونبغي الملك في نسلٍ، بينما هنالك جزء آخر يا أنورا، وربما  
يكون هو الجزء الذي ما يزال يتذكركم خدمتي أساطير وكم أنقذ حيانى من  
محاولات الاغتيالات .. ذلك الجزء كان يتمنى أن تفشلوا في تسميمه.

قالت بنيرة حادة تعكس مدى إصرارها:

- سوف نُرسل إليه من يتکفل بأمره، وهذه المرة لن ينجو.

- لدى خطة أفضل.

- ما هي ١٩

- أن ندعه وشأنه

- ولكن ..

قطعها قبل أن تكمل: هذا أمر يا أنورا.

ساد الصمت للحظة والملك المتعب يُحدق إليها متظراً سمعاً  
تاكيداً لتنفيذ أمرها، أخفقت أنورا رأسها وهي تقول الشيء الذي كان  
يتظاهر سمعاه:

- أمرك مطاع يا سيد الملك.

هنا استدار الملك مغادراً الغرفة والملكة خلفه تحدق إليه وهو ينعد  
وعينها تومنسان بمكر قاتل؛ فهي لن تُطبع في هذا الأمر وسوف تفعل  
كل ما يلزم لموت أساطير وضمان صعود ابنها إلى العرش دون عائق  
محتملة حتى لو اضطرها الأمر في النهاية إلى قتل زوجها الملك بنفسها!  
فالعرش كما قال بنفسه قبل قليل: لا يعترف بالعاطفة.



قصر مملكة أبابيل

قاعة الملك

طاغين

كان عرش الملك طاغين ينتصب مرتفعاً،

يعلو أرض القاعة بدرجات مصقوله من الحجر الأسود، لم تكن تلك عادة من سبقوه من ملوك الأباطرة، ولكنه اختار أن يكون عرشه مرتفعاً وكأنه كان يريد بذلك أن يجعل الجميع يشعرون أنه يفوقهم مقاماً وسلطة، في ذلك النهار: جلس طاغين فوق عرشه واضعاً قدماً على قدم بينما أفراد حاشيته من أمراء وزراء وأعيان للملكة كانوا يتوزعون في أرائك فاخرة أسفل المنصة.

وبينما القاعة تضج بالهمس والهرج ساد الصمت فجأة؛ إذ فتح باب القاعة، ودخل منه مخلوق بشع: شيطان مسترق أعرج .. وجهه دالري مثل قرص خبز متufن، له عينٌ وحيدة بارزة تكاد لفطر جحوظها أن تسقط إلى الخارج .. كان يبحث خطاه وهو يجر خلفه حقيبة جلدية سوداء منتفخة .. تتسرب من أطرافها دماء ترسم خطأً متعرجاً على بلاط القاعة يمتد من عند عتبة الباب حتى أسفل درجات العرش.

توقف المسترق عند الدرجة الأولى .. وضع الحقيبة أرضاً ثم رفع رأسه إلى الأعلى وهو يشريك ذراعيه في علامه واضحة للخوف، وأخذ ينتظر الإذن ..

لكن الملك طاغين لم يأذن له بالحديث، ونهض من فوق عرشه ثم سار خطوات بطيئة حتى وقف على حافة المنصة وأخذ يتأمل خيط الدم المتعرج فوق البلاط .. يتأمله بفخر من ينظر إلى خريطة انتصاره ..

قال وهو يرفع ذراعيه ورأسه شاسحاً:

- أبايل، لا تحكم بالعدل، بل تحكم بالحديد والدم ١١١١

ورددت جدران القاعة الصدى في هممة خشنة كأنها تبارك تلك الكلمات.

وأشار الملك نحو خط الدم المترعرع وهو يقول:

- هذا الخط الأحمر الذي تشاهدونه ليس دمًا فقط، إنما هو جر لآراق التاريخ. هذا الخط الأحمر هو دماء أعدائنا وابذان بانتهاء الفتنة وببداية عهد السلام.

كل أنظار الحاشية كانت تتطلع إليه، مشدوهة، مأخوذة، مُعجبة، وحده الشيطان المسترق الواقف أسفل المنصة كان يرفع يده ثم يخفضها كمن يرغب بأن يقول شيئاً ولكنه في ذات الوقت يخاف من عقوبة مقاطعة الملك.

وأصل طاغين خطابه:

- لماذا نكتفي بقتل حشرة واحدة في الوقت الذي نستطيع فيه بذات الحناء أن نقتل كل الحشرات المختبئة في جحورها، كانت هذه القاعدة التي استخدمناها في الخطة؛ لذلك أرسلنا عاصف ليُعدم في قرية الجيّاسة، كنا نعلم يقيناً بأن تلك الجماعة الخارجة عن القانون، وعدوتنا اللدودة فيلة الأشواوس سوف تتحرك للدفاع عنه فتصطادهم جميعاً في ضربة واحدة قاصمة قاضية، ونكشف معهم حقيقة ذلك الأحق الشمالي الذي كان بطن نفسه ذكيًا حين هجم على العربة معتقداً أنه سوف يقتلني؛ فإذا به يقطع رأس أحد أشباهي.

غمامة من الإعجاب اعتلت وجوه أفراد الحاشية وهم يُصغون لتلك الخطبة  
التي كشفت لهم .. وفي تلك اللحظة الخامسة التفت الملك طاغين نحو  
المسترق وصاح عليه:

- افتح الحقيقة !!

هنا فتح الشيطان المسترق فمه ليقول:

- جلاله الملك .. هناك أمر بسيط فقط أود أن أقو ..

- افتحها

- لكنني أود أن ..

- أقول لك افتحها قبل أن افتح لك قبرك !!

عاد يشبك يديه في ذل وطاعة وهو يقول:

- كما تأمرنون جلالتكم ..

انحنى المسترق وفك عقدة الحقيقة بأصابع مرتعشة ثم أمالها بحدر،  
فخرج منها الرأس الأول ثم الثاني والثالث .. تدحرجت الرؤوس الثلاثة  
على البلاط حتى اصطدمت بالدرجة الأولى لمنصة العرش وتكدست  
هناك.

تجمدت القاعة لللحظة، وأحد أفراد الحاشية يهمس مبهوتاً:

- هذه رأس "جلמוד" قائد حرس النخبة الملكية !!!

وقال آخر بصوت مختنق:

– والثانية إنها .. إنها رأس شبيه الملك !!

أما الثالثة فلم يتبيّن أحد ملامحها؛ إذ اخْتَلَطَت بالدم واللحم.

لم يتكلّم طاغين ثوانٍ معدودة كما لو أن ذهنه لم يعد قادرًا على فهم

المشهد.

صاح أخيراً وهو يُشير بإصبعه:

– ما هذه الرؤوس؟ !؟

رفع المسترق يديه بسرعة كمن يتبرأ من ذنب ليس له يد فيه:

– جلالـةـ الملك !! .. هذه الرؤوس أوضعت في الحقيقة كما هي،

لم أُضف شيئاً ولم أبدل شيئاً .. أنا فقط أدّيت المهمة كما أمرت !!

قاطعـتهـ صرخـةـ طاغـينـ:

– من قتلـهمـ؟ !؟ .. ماذا حـدـثـ؟ !؟ .. هل هـزـمـناـ؟ !؟

فتح المسترق فمه ليجيب ولكن الكلمات بدت وكأنها خائفة لا تزيد

الخروج من فمه:

– تكلـمـ أيـهاـ المستـرقـ قبلـ أنـ يـصـبـحـ عـدـ الرـؤـوسـ أـربـعـةـ !!

- ساحكي لك كل شيء كما حدث يا جلاله اسعنك

قال المسترق ذلك ثم ابتلع ريقه وبدأ:

- بعد أن انقض الشمالي على العربية التي يجلس فيها الشبيه، انطلقت فرقة الإعدام نحو عاصف كما تم التخطيط له .. في تلك اللحظة لم يكن بوسع الشمالي التدخل؛ فالفرقة كانت أقرب إلى منصة الإعدام، والأشواص غارقون في قتال الغيلان المردة، وهنا صاح الشمالي من مكانه بكلمة واحدة "وداعاً" ثم حدثت المفاجأة !!

طاغين وهو يزم شفتيه:

- ماذا حدث ؟!

- كُورة من لهب انفجرت بالقرب من عاصف كأنها ثورة بركان .. النيران كانت هائلة يا سيدى حتى أن الصف الأول من فرقة الإعدام قتلوا بسبب الحرارة الشديدة.

طاغين يسأل:

- أهو طائر العنقاء إكليل؟

- لا يا سيدى؛ فقد كان هو الآخر منشغلًا بمساندة الأشواص في قتال الغيلان.

- من إذا عليك اللعنة !!

- انكشفت كرة اللهب عن شخص مجهول يرتدي زيَ الفرسان، وجهه مغطى باللثام .. لم يستطع أحد مع وهج النور أن يُميز ملامحه ولكننا استطعنا أن نرى يده وهي تمتد من وسط الوجه وتلمس عاصف والحكيم، ومع تلك اللمسة ذابت قيودهما فجأة ثم اختفوا جميعاً من هناك ومعهم الشمالي.

- وأين كان سحرة الجيش !!؟

- لم يستطيعوا إيقافه؛ لقد كان ذلك الشخص كشيء لم يسبق لهم أن شاهدوا مثله من قبل.

هنا تراجع طاغين وجلس بيضاء على عرشه وقد تحولت ملامحه من الصدمة إلى الغليان، كان يشعر بقلق لا يُطاق يضغط على صدره، إنه ضغط الفشل وضغط نظرات أفراد الحاشية وهم ينظرون إليه بشفقة، قال وهو لم يعد قادرًا على احتمال أن ينظر إليه أحد وهو مهزوم:

- انصرفوا جميعاً.

نهض الجميع وسارعوا بالابتعاد دون أن يتحرّك أحدٌ منه سرّاً في  
الخلف، أما المسترق فرغم علمه بأن الأمر لا يشمنه إلا أنه حاول أن  
ينلس بينهم في هروب جماعي يقيه من المواجهة المنفردة؛ فعن تحطيم  
جانبية نحو المخرج، لكنه لم يكُن يقترب من الباب حتى سمع الصوت  
الأول يقول:

- أنت، أبق.

توقف المسترق مكانه ثم استدار بخوف:

- ظلتت باني مشمول معهم في أمر الانصر ||

- من أعطاك هذه الرؤوس الثلاثة ووضعها لك داخل الحفية؟

- لقد أرسلت إلى حيث كنت أسترق النظر .. لقد أرسلها شخص  
غامض، وكانت هنالك ورقة مثبتة على الحقيقة، كتب عليها "إذا سأل  
جلالة الملك عن الشخص صاحب الحقيقة .. فأخبروه أن الإجابة في  
أحد الرؤوس"

نظر طاغين إلى الرؤوس الثلاثة المقطوعة، كانت إحداها مقطعة بالدم  
بالكامل فمد يده وجذب الرأس بقوّة سحره، ليرتفع الرأس في الهواء ويطرد  
إليه كما لو كان خوذة فارغة .. مد أصابعه ومسح الدم عن الوجه ليظهر  
على الجبين نقش واضح:

"كويرا أفعى الجن نارا، ثلقي عليك تعبيتها"

ز مجر طاغين لفروط غبيظه والبلاط كله يرتجف من تحت قدميه وهو يُمْتَم بحقد " لا أحد يجرؤ على هذه الفعلة غيرها " ثم قبض على الرأس بين كفيه وهممه في لحظة واحدة حتى تفتت كالصخر المهزنة وتناثرت أشلاءه على الأرض .. أحس المسترق أن رأسه سوف تكون التالية وهذا ما جعله يُيادِر:

- اسمح لي بالانصراف يا سيدِي.

لم يجبه طاغين ومد يده إلى الأمام فجأة؛ واجتذبه إليه بقوة سحره، ليرتفع المسترق في الهواء وينجذب إليه حتى أصبحت عنقه في قبضته ويسمع صوته الغاضب من تحت أسنانه يقول:

- هذه المرة الثانية التي تجلب لي فيها خبراً قيحاً مثل وجهك<sup>١١</sup> !

- آسف يا جلالـةـ الملك.

- لو كان للنحس وجه فلن يكون بعيداً عن وجهك، ثُراني لو تخلصت منك الآن هل يتوقف سوء الطالع عن ملاحقـتي ؟

- الرحمة يا سيدِي !!

- وأنا من يرحمـنيـ من غباءـ منـ يـعـمـلـونـ معـيـ

- ولكنـيـ لاـ أـخـرـعـ الأخـبـارـ؛ـ أناـ فـقـطـ أـنـقـلـهـاـ دونـ زـيـادـةـ أوـ نـقـصـانـ.

---

<sup>١١</sup> المرة الأولى كانت في رواية التسجيل حين جاءه المسترق ينقل إليه خبر فشل خطه في الإطاحة بمحاسف وأصدقائه.

قربيه طاغين من وجهه حتى كاد وجهها أن يتلامسا وقال:

- بينك وبين الموت مسافة خبر سيء ثالث، هل تفهمي؟

- مفهوم !! .. كل الأخبار القادمة ستكون سعيدة !!

أفلته الملك أخيراً:

- سترى يا مسترق النحس.

\*\*

عاد طاغين للجلوس فوق عرشه، أسد ظهره وأغمض عينيه،

رأسه يضجج بأسئلة لا تنتهي، غضب، خيبة، ريبة، كلها ثُنثَت دخانها  
في عقله .. وفي أثناء تلك الفوضى لم يشعر بالخطوات الهدائة التي كانت  
تصعد درجات السلالم حتى أحس بيده أثنوية ناعمة تحطط فوق يده مثل  
حامة تحطط فوق صخرة ساكنة.

فتح عينيه فجأة فوجدها أمامه،

تنظر إليه بعينيها الشُّنقتين وهي تقول بصوت هادئ:

- لقد ناقشنا كل الاحتمالات .. وكان من المفترض أننا الآن نحتفل

بمقتل عاصف وأصلقائه ولكنهم نجوا هذه المرة.

لقد كانت تلك خطة جومانا - حيث إنها من خطط لقتل عاصف والخلص من الأشاؤس، وكشف ولاء الشمالي - قالت وهي تجلس إلى جانبه على مسند العرش وتلف ذراعيها حوله بعنق بريء يُشبه عنق الزوجة لزوجها المتعب:

- في المرة القادمة لن ينجو أحد، ستفتت عاصف ومن معه، أعدك بذلك.

لم يقل طاغين شيئاً،  
لم يحرك يديه ليتأدلاها العناق،  
فقط استسلم لرائحة الياسمين المنبعثة من جسدها وهو يغمض عينيه  
في ارتياح.



سلسلة الجبال المحرمة،

.. العلام ..

كان الليل قد بدأ يهبط على سماء المملكة حين وصل محاربو  
نبلة الأشاؤس إلى معلقهم في سلسلة الجبال المحرمة .. ذلك المكان  
الذي يسلو من الخارج وكأنه مجرد جدار هائل من الجبال الرمادية لكنه  
في الداخل كان مدينة كاملة تنبض بالحياة حيث تعيش قبائل الأشاؤس  
منذ قرون طويلة ..

هبط المحاربون أمام فوهة الكهف الذي يشكل الممر الرئيسي للدخول إلى المدينة .. تقدم الجرحي على أقدامهم الأربع ين تكون على أكتاف رفاقهم الأقوباء فيما تسير الأميرة آشاس بينهم بخطوات ثابتة وغبار المعركة ما يزال يعلو جلدتها .. قالت وعيناها تمسحان الصفوف بصراحة القائد وحنان الأميرة التي تنفقد رعيتها:

- أولئك الجرحى .. إلى دور العلاج فوراً ١١

صاحت مساعدتها وهي تشير بيدها للكتبية بالدخول إلى الكهف، بينما وقفت تارا في الخارج بهيئتها الفعلية: كobra أفعى حن سوداء ضخمة تُحدق إلى السماء وكأنها تنتظر من النجوم علامة محددة .. إلى جانبها كان إكليل يستقر فوق قمة صخرة بارزة، جناحاه مضمومان إلى جسده وعيناه تراقبان تارا بينما قلبه يشعر بقلق غامض .. اقتربت الأميرة آشاس وهي توجه سؤالها إلى تارا:

- من كان ذلك الشخص ذو القوة الهائلة الذي ظهر من العدم وأنقذ معه عاصف والحكيم والشمالي؟

في تلك اللحظة - وقبل أن تُجيبها تارا - هبت نسمة هواء باردة على نحو غير طبيعي وكأنها محملة بأشواك ثلجية انفرست دفعة واحدة أسفل الجلد، ما جعل جسدها الضخم يرتجف وهي تقول:

- أخشى أن تكون هذه هي العلامة ..

في تلك اللحظة تكونت دوامة هوائية انبثق منها شيء اخترق المكان، كانت امرأة طويلة ملتفة بعباءة داكنة تُخفي وجهها تحت غطاء ثقيل، توقفت المرأة على مقربة منهم ثم رفعت كفها بيضاء لتزيح الغطاء عن رأسها كاشفة عن ملامحها الحادة، إنها - سُنُس - واحدة من كُبراء الأباطرة، إنها المرأة التي وبحسب التراتبية الملكية كانت الأحق بحكم مملكة أبابيل لو لم يسلم جبار العرش لحفيده عاصف قبل وفاته .. كان حضورها الآن وفي هذا التوقيت يؤكد على أن هنالك شيئاً كبيراً قد حدث، أو أنه على وشك الحدوث:

- معلِّك حق يا تارا - قالت سُنُس - إنها العلامة، وقد بدأت تلك الجماعة بالتحرك.

بالرغم من أن كوبيرا أفعى الجن تارا كانت قد أحست بالعلامة قبل لحظات .. إلا أن سمعها الآن التأكيد من فم سُنُس هو ما جعل الدم يجمد في عروقها .. في الجهة المقابلة: لم تكن الأميرة آشاس بحاجة للسؤال عن تلك الجماعة؛ فهي كأميرة لقبائل الأشاؤس كانت قد سمعت بالأسطورة القديمة التي تقول: عندما تهب أشواك البرد في هواء ساكن؛ فهذا يعني تحرك الزمهرير.

تكلمت سُنلُس:

- كُبراء الأباطرة ينتظرون قدومك في الغابة المظلمة.

تعلم تارا أنهم سوف يطلبون منها التحدث، وحينها ستكون مجردة على قول الحقيقة، وعندما تقول الحقيقة يجب أن يكون عاصف هناك لسماعها فالأمر كله متعلق بأمه.

التفتت تارا يمينا نحو الصخرة البارزة وقالت:

- إكليل .. يجب أن تجد عاصف الآن ..

- لكنني لا أعرف أين هو

- استخدم الربط

- لا أفهم ما تعنين بالضبط ..

زحفت إلى ناحيته مقتربة:

- هل تذكر ما قالته تاج عندما قامت بربطك مع عاصف وتفعيل قوة النار بداخلك ؟ .. لقد قالت حينها إن مصيركما صار واحداً، هذا الربط الذي وقع بينكما يعني أن بإمكان قلبك أن يأخذك إليه<sup>١٢</sup>.

---

١٢ هنا الحديث وقع في رواية أبيايل، عندما أبقطت تاج قوة النار الكامنة في عاصف، حينها قالت بأن عاصف وإكليل أصبحا مرتبطين بعض إلى الأبد.

هز رأسه ببطء كمن استوعب، ثم فجأة ارتفع سريعاً في الهواء حتى  
بار نقطه داكنه في العتمة لكن وهجاً نارياً كان يلمع في صدره مع كل  
جفة جناح وكان قلبه صار منارة تهديه إلى الطريق ..

### حلق إكليل ناحية الغرب أولاً،

لكن ما إن مضى في ذلك الاتجاه حتى شعر بوخزة تخترق قلبه؛  
نادرك أنه أخطأ، ما جعله يغير مساره، فجرب الشرق ثم الشمال،  
وفي كل مرة كانت الوخزة ذاتها تلسعه في صدره وكان قلبه كان يرفض  
الطريق، حتى إذا اتخذ اتجاهها خامسًا أحس بحرارة لطيفة تنتشر من قلبه  
ونصل إلى أطراف جنابيه .. هنا فقط أدرك أنه وجد الطريق الصحيح؛  
فاندفع بكل ما أوتي من قوة نحو عاصف، التفت الأميرة آشاس نحو  
مساعدتها وقالت:

- جهيمة، اتبعيه ..

- أمرك

وقبل أن تنطلق جاءها صوت سُنلس آمراً:

- إذا وجدتما عاصف؛ خذاه إلى الغابة المظلمة حيث سُنكون في  
انتظاركم هناك ..

ام نكن بجهة تعرف تلك المرأة "شليس" لتلتقي منها الامراء وهذا  
ما جعلها تلتقي نحو أميرتها آشاس بصمت، وكأنها بذلك تتظر منها  
الغنى أو التأكيد:

- نفذى الأمر - قالت الأميرة - خذهم إلى الغابة المظلمة.



## عاصف، الحكيم، الشمالي

كان المكان الذي وجدوا أنفسهم فيه موحشاً، محاطاً بضباب نقيل، ورغم انعدام الرؤية لديهم إلا أنهم كانوا يشعرون بأنه مكان معزول لا أثر للحياة فيه، جلس عاصف والشمالي والحكيم يلتقطون أنفاسهم وما زالت آثار الانتقال المفاجئ تلتتصق بعقولهم متنجة أثر دوحة ثقبة، كسر الشمالي حاجز الصمت أخيراً بأن قال:

- من يكون ذلك الشخص الذي أنقذنا في اللحظة الأخيرة؟!

العاصف بعد تردد:

- لم أحدد ملامحه؛ كان الضوء المنبعث منه شديداً حتى كاد أن يعمي بصري.

الحكيم معلقاً:

- أعتقد أنها امرأة.

التفت إليه الشمالي مستفهماً:

- وكيف عرفت؟

- أنا أعرف كل شيء.

- أقصد هل رأيت من ذلك الشخص ما يوحي لك بأنها امرأة  
وليس رجلاً؟

- لا؛ ولكنه ضحى بنفسه لينقذني؛ فلا بد أنها معجبة.

هنا انبعث من بين الضباب صوت أنثوي ساخر هو صوت جهيمة  
وهي تقول:

- وما الذي فيك يغري باكرة الفرو، ليعجب بك أحدهم؟

بذا الحكيم سعيداً وهو يتبعن هوية القادمة:

- مضى زمن طويل لم ألتقي فيه بك يا بهيمة !!

- بهيمة تنطحوك يا ذا اللسان الطويل !!

كانت تلك هي المرة الأولى التي تلتقي فيها جهيمة بعاصف وجهًا لوجه، وهذا ما جعلها تُتحنى إليه رأسها في احترام وتقدير وتقول

بأدب:

- مرحباً سيدى ابن بحر، خادمتك جهيمة؛ وقد أرسلتني إليك الأميرة آشاس لأصحيك نحو الغابة المظلمة من أجل أمر طارئ.
- ولكن كيف عرفت مكاننا بهذه السرعة؟

أشارت ياصبعها نحو الأعلى؛ فرفع الثلاثة رؤوسهم ليشاهدوا الوهج الناري الخفيف في الضباب، وإكليل بجناحيه الطويلين يحوم في الأعلى غير دوائر واسعة.

الشمالي مبتسمًا وهو يتمتم:

- آه، كم أحبك يا إكليل.

الحكيم وهو يُحدق نحو الأعلى:

- وستجده أكثر عندما نطبخه على العشاء.

جهيمة وهي تتحنى لهم:

- اصعدوا على ظهري؛ فالوقت ليس في صالحنا.

ما إن صعد الجميع على ظهرها وبدأت تحلق بهم مبتعدة، حتى  
ارتقي الحكيم إلى كفها جالسًا بالقرب من أذنها متعلقاً بشعرها الطويل  
لكي لا يقع:

- أتعلمين ؟

- ماذا أية الحكيم ؟

- بهيمة اسم رائع؛ إنه يليق بك أكثر من جهيمة .. هاما .. كما  
يقولون اسم على مسمى.

نظرة حارقة أرسلتها إليه؛ فأدرك الحكيم من خلالها أنها سوف تجعله يدفع ثمن كلامه .. ضربت جهنمية الهواء بجناحيها الطويلين لتتدفع بسرعة أكبر بينما صوته يختفي في الأفق:



..الغابة المظلمة، قلعة الأباطرة ..

## حفلة للموت

كان الليل قد انتصف حين اخترق طائر العنقاء إكليل والقنطرة جهنمية ببة الغابة المظلمة .. يهبطان بخط مائل وسط الضباب والأشجار الهائلة والتي كلما تقدما في عمقها غاصا في ظلامها أكثر .. جهنمة التي لم تكن تملك القدرة على الطيران في هذه العتمة، اعتمدت على وهج إكليل الناري حتى أوصلها إلى الساحة المكشوفة التي تنهض عليها قلعة الأباطرة، واستقر فوق أحد أسوارها الحجرية المُنارة بواسطة ضوء القمر المكتمل في كبد السماء، بينما هبطت جهنمية بيضاء في ساحة دائرة أمام بوابة القلعة حيث كوبيرا أفعى الجن تارا والأميرة آشاس تقفان جنباً إلى جنب مع بعض أفراد كُبراء عائلة الأباطرة.

انحنىت جهيمة قليلاً؛ فترجل الشمالي من فوقها ثم عاصف نيله الحكيم الذي بدا كما لو أنه غير قادر على إسناد نفسه وهو يقول بنبرة صوت مخمورة:

- لن أمرح معك مرة أخرى ما حبيت يا بئيمة.

تقدم عاصف خطوة، عيناه معلقتان بتارا:

- هل تلك المرأة التي رأيناها في القصر ليلة الزفاف كانت أمي؟  
كادت أن تُجيب ولكن - مجلداً - هبت نسمة باردة قوية تسللت تحت الجلد إلى العظم، ما جعل الحكيم يتساءل وهو يُحيط جسده بذراعيه:

- تبا، ما هذا الصديق المفاجئ؟

رفع الشمالي رأسه نحو الأعلى، وعيناه تلتقطان حبيبات ثلج رقيقة بدأت تتطاير في الهواء، أما كوبيرا فأفعى الجن تارا فإن عينيها انكمشتا وكأنها رأت ما لا يُرى وهي تقول بفتحيغ مرتفع:

- لقد وصلوا.

عاصف:

- من هم

لم يجده أحد مما جعله يكرر: هل نحن في انتظار أحد

الحكيم:

- تارا لا ترك مفاجاتها !! .. يندو بأنها قد أعدت لنا حفلة صغيرة  
بمناسبة نجاتنا من الإعدام؛ وقد جلبت لنا بعض الفتيات للتزويع عن  
أنفسنا !!

تمتننت سُنلس بكلمات لها وقع مرعب:

- صلقت أيها الحكيم، إنها حفلة .. ولكن ليست للتزويع عن  
النفس إنما حفلة للموت.

قال "برِّيِّكام" وهو أحد الْكُبَرَاءِ يُعْطِي تعلیماته للجميع:

- كونوا حذرين؛ فهؤلاء لن يسمحوا بالغلط في حضرتهم.  
زاد التوتر عند الجميع وقد تبادلوا النظرات القلقـة، شيء ما في  
نيرة سُنلس وبرِّيِّكام أوحى بأن هنالك خطراً حقيقياً يقترب، وفجأة  
خيم الصمت وكأنما الغابة كانت تحبس أنفاسها، ثم انبعث صوت  
خطوات بطيئة .. دارت الرؤوس نحو الجهة التي كان ينبعث منها وقع  
المخطوات، ليظهر من بين الأشجار مبعث عائلة الزمهرير، ومع وصوله  
زادت نُدُف الثلوج حتى اكتست مساحة الأرض الأمامية لقلعة الأباطرة  
بطبقة رقيقة من الثلوج.

كان رجلاً مهيباً ضخم الجثة، يُمْيل لونه إلى الزرقة، بشرته براقة وذات  
تغطية طبقة رقيقة من الصقبيع، اسمه - بِنْدَان - له عينان زانهما فُدَنَا  
من العاس مضيء .. لكن ما شدَّ الأنظار إليه لم يكن حجمه، ولا بريق  
بشرته المائلة إلى الزرقة بل لحيته، فقد كانت له لحية كثيفة بيضاء تمتد  
حتى خصره، ولكن وسط شعراتها المتشابكة كانت هنالك عيون حقيقية  
تومض، وترمش، وكانها ترصد كل شيء وتعي كل ما يحدث، ولذلك  
كان ذلك الرجل أيضاً معروفاً باسم "الرجل ذو اللحية المُبصّرة"

ثبت ذلك الكائن نظراته على شخص واحد دون أن يتكلّم،  
فتحولت الأنظار بشكل تلقائي نحو ثارا التي بقيت صامتة،  
لم يكن صمت من لا يملك الكلام،  
بل كان صمت الخوف.



سِلْدَان

## الرجل ذو اللحية المُبصرة

في قلب الساحة الأمامية للقلعة: نصبّت طاولة صخرية جلس سِلْدان وحده على مقعد في منتصفها، كانت وحدته ترمز إلى هيبة وقوة متعالية وكان لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه .. على الجانب الأيسر جلس كُبراء العائلة وقد بان عليهم التوتر، أما على الجانب الأيمن فجلسَت ناراً وحدها كالمضروب عليها، لم تكن تجلس هناك على هيئتها الفعلية كـ«كوبرا» أفعى جن بل كانت متشكلة ب الهيئة البشرية؛ فقد أمرها الرجل ذو اللحية المُبصرة بذلك؛ إذ لم يكن يليق به وهو من الزمهرير أن يجلس في محبيط واحد مع كائن ذي هيئة حيوانية.

## القلعة

في أعلى القلعة،

وخلف إحدى النوافذ العلوية المطلة على الساحة،

كان عاصف، والشمالي، والأميرة آشاس، والحكيم، وطائز العنقاء  
إكيليل يراقبون المشهد بصمتٍ مشوب بالقلق .. بعد أن لم يسمع  
لهم الرجل ذو اللحية المبصرة بحضور الاجتماع إذ قال لهم بنبرة  
صوت لا تقبل النقاش " أنتم إلى الداخل " فانصاعوا إلى أمره ودخلوا  
القلعة ثم تسللوا إلى الطابق العلوي ليتابعوا من خلف النافذة ما يدور  
في الأسفل وبينما هم كذلك إذ هس الشمالي:

- من يكون ذلك الشخص يا ترى ؟

قالت الأميرة آشاس:

- اسمه سيندان، يُلقبونه باسم الرجل ذو اللحية المبصرة، يُقال بأنه

لفرط نفوذه وقوته أن هنالك ملوّكاً في العالم يعملون كعبيد له.

إكليل الذي يفضل دائمًا عدم الحديث ويختار أن يكون مستمعاً،  
لم يستطع بعد أن سمع تلك المعلومة إلا أن يشارك في الحديث ويسأل  
فائلًا:

- ومن أين له كل هذه القوة؟

ردت الأميرة آشاس:

- إنه يستمدّها من عائلة الزمہریر، والتي تستمد سلطتها من كونها  
العائلة المسؤولة عن حفظ توازنات الأرض

الحكيم معلقاً:

- يالها من مهمة رائعة .. لا بد أنها تفتن الكثير من النساء  
الحسناوات؟ من الآن فصاعداً إذا سألي أحدهم عن عائلتي فسأقول بأنني  
زمہریري.

عاد طائر العنقاء يسألها:

- ومن أعطاهم هذا الحق؟!

- إنها قصة طويلة يا إكليل مختصرها أنه في الأزمنة السالفة، وحين  
اجتاح السحر الأسود الأرض وأخل بتوازنها .. اجتمع أقوى ملوك الأرض  
وكان عددهم سبعة لوضع قوانين صارمة لا يسمح بتجاوزها، وحين أرسوا  
تلك القواعد، منحوا هذه العائلة وحدتها صلاحية مراقبة ومعاقبة كل من  
يتجرأ على تجاوزها.

الشمالي مستنجدًا:

- إذا الرجل ذو اللحية المُبصرة يعد بمثابة القاضي الذي لا يُرد حكمه.

- تماماً - قالت الأميرة مؤكدة - لقد انتدبت عائلة الزمهرير واحداً من أفراد عائلتها للتحقيق في عودة جومانا ابنة جبار الأباطرة للحياة، والذي يُعد انتهاءً للقوانين الأرضية والسماوية.

تجمد عاصف مكانه وهو يسأل بصوت منخفض:

- إذا .. تلك التي رأيناها في ليلة الزفاف، كانت أمي بالفعل؟

- لم أكن متأكدة تماماً، ولكنني الآن تأكدت، فلو لم تكن تلك المرأة جومانا ابنة جبار الأباطرة بنفسها لما أرسلت إلينا عائلة الزمهرير أحد أفرادها اليوم.

لم يكن عاصف يرغب في أن يؤكد له أحد تلك الحقيقة، كان يفضل أن يعيش على الأوهام ولا أن يحسم أحدهم الأمر بالنسبة إليه .. لقد نزلت الحقيقة كالسيف على رأسه ورؤوس الأصدقاء: تلك المرأة التي شاهدوها زوجة لطاغين كانت أمه بالفعل !!

ورغم وجود العديد من الأسلحة داخل رؤوس الأصدقاء مثل "كيف عادت، ولماذا نزوجت من طاغين" .. وهل تم الأمر بموافقتها، وكيف السبيل إلى استعادتها" وأسلحة أخرى لا حصر لها إلا أن أحداً منهم لم يتكلّم؛ ذلك لأن المحاكمة في الأسفل قد بدأت ..



## المحاكم

قالت سندس وهي تُمهد لكلامها:

- اجتمعنا هنا الليلة لثبت أمام الزمهرير بأن عائلة الأباطرة بريئة مما حدث بشأن جومانا، وبأننا تفاجأنا كما تفاجأ الآخرون حين سمعنا بالخبر.

تحدث سندان بصوٍتٍ كان يخترق العِظام لفُرط هيبته:

- لقد رصدنا أثراً لتعويذة نصف البرزخ المحرمة، قليلاً في العالم من يملكون هذه المقدرة، وكثيراً أفعى الجن تاراً واحدة منهم.

اتجهت أنظار الجميع نحو تارا التي عكست ملامحها مقاومة حقيقة  
لخوف سحيق كان ينهض في أعماقها، قال سِندان الزمهرير وهو يوجه  
سؤاله إليها:

- أكنت الشخص الذي نفت فيها التعويذة؟

- نعم؛ أنا ..

لم يُمهلها لتبرر، فما إن قالت ذلك حتى امتدت يده إليها بسرعة  
البرق، وأحكم قبضته على عنقها في مشهد مخيف غير متوقع أن يحدث  
بتلك السرعة .. ارتفع جسد تارا عن الطاولة في لحظة خاطفة وقدمها  
تتأرجحان في الهواء، بينما عيناهَا تسعان أكثر فأكثر وصوت المختنق  
يتعدد في الغابة كحشرجة مرعبة تشي باقتراب نهايتها، لقد حكم الرجل  
ذو اللحية المُبصرة عليها بالموت، وكان يستطيع قتلها في طرفة عين  
ولكن أراد أن يُطيل تعذيبها قبل القضاء عليها ليمنحها الوقت الكافي  
للشعور بالندم.

كان كُبراء عائلة الأباطرة يُكنون احتراماً خاصاً لتلك الحارسة ولا ينسون بها فضل حماية عرينهم لسنوات طويلة، ونشرها التعاوين الالزمة لحماية الغابة وجعلها مكاناً آمناً لا يدخله غير نسل الأباطرة، فعلى مدى سنوات طويلة ظل ذلك المكان حصناً عصياً على طاغين وجنوده؛ فلا يستطيعون الدخول إليه مهما بذلوا كل الأسباب الممكنة، ورغم ذلك الجميل إلا أن كُبراء العائلة اكتفوا بالتحديق في صمت ثقيل نحو حارستهم الأمينة وهي تواجه الموت وحدها، كما لو أن ما يحدث الآن كان عقوبة قدرية لا مفر من تنفيذها.

في الأعلى - وخلف نافذة القلعة - كان عاصف يضغط على قبضته بقوة، وعيناه تلمعان بغضب مكحوم، إلى جانبه راقب طائر العنقاء كل حركة تصدر من سيده .. جناحاه يهتزان استعداداً للطيران، كان قلبه متصل بنبض عاصف .. أما الحكيم فقد صعد فوق كتفه وتشبث به مستعداً للاندفاع، الشمالي وضع يده على مقبض سيفه، وعيناه الحادتان تقدحان غضباً، بينما مدت الأميرة آشاس ذراعها أمامهم، وهست بنيرة صارمة:

- إن تدخلتم؛ سوف تفقدون حياتكم لا محالة؛ فيندان ليس بالمكان القابل للهزيمة.

التقت أنظار الأصدقاء للحظة قصيرة وفيها فرأ كل منهم في عين الآخر مزيجاً من الرفض لما يحدث؛ صحيح أنه لم يسبق لأحدهم أن شاهد قوة الزمهرير لكن إذا كان ملوك الأرض القديمة قد منحوم سلطة حفظ توازنات الأرض؛ فهذا يعني أن لأفراد هذه العائلة قوة تتجاوز الإدراك.

وبين هذا وذاك .. كانت تارا تخنق أكثر فأكثر بينما أصابع سندان تحكم الوثاق أكثر على عنقها مانعة إياها من التقاط أنفاسها، شد عاصف أنفاسه وهو يلتفت إلى الأميرة آشاس:

- ما فائدة الحياة إن كنا لن نُضحي بها في موقف كهذا؟

وفي اللحظة نفسها اشتعلت عينه اليسرى باللون الأحمر، وانشققت من أطراف أصابعه مخالب معدنية، كان وحشاً داخله قد استيقظ، همس قبل أن يخطو أول خطوة:

- اهتمي بشأن أمي أيتها الأميرة؛ هذه وصيتي لك.

الحكيم وهو يتثبت بكتف عاصف بقوة لكي لا يسقط بسبب الاندفاع:

- تحذّثي عن وسامتي أمام كل حسناء تقابلينها !!

ثم في لحظة واحدة انفجر المشهد حيث اندفع عاصف محظماً بجسمه  
زجاج النافذة قافزاً إلى الأسفل، يتبعه الشمالي وسيقه الطويل يومض بيده  
كبرى لامع، بينما طائر العنقاء إكليل ينقض من الأعلى مثل شهاب  
مشتعل، كلهم اتجهوا في اندفاع مشترك نحو سيندان الذي ما زالت أصابعه  
الصلبة تُطبق على عنق ناراً ١١

وفي لحظة خاطفة رفع الرجل ذو اللحية المبصرة، أصبعاً واحدة من  
يده الأخرى فتسمر عاصف والشمالي مكانهما، وتجمد طائر العنقاء  
الأحمر في الهواء كتمثال من لهب متجمد ..

لم تُشلْ أعينهم بل ظلت ترمش وترى كما لو أن سيندان أراد لهم أن  
يشاهدوا العدالة تُطبق أمام أعينهم، في تلك اللحظة المشحونة بالتوتر  
كان لا بد لأحد عاقل أن يتدخل ليوقف هذا الأمر فهبطت الأميرة  
آشاس بجناحيها الطويلين وقالت:

- أيها السيد، أليست العدالة تقتضي أن تسألها عن الشخص الذي  
أصدر إليها الأمر بفتح التعويذة، ثم تحكم عليها بما تراه منصفاً؛ فكثيراً  
أنهى الجن ليست إلا حارسة لسيدٍ بأمرها فتطيع أمره.

أطلق الرجل ذو اللحية المُبصرة هممة غامضة خرجت من صدره  
حملت اقتناعاً بما قالته الأميرة، ثم وبحركة بطيئة أزاح أصابعه عن عنق  
نارا التي انهارت على الطاولة الصخرية وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة  
وآثار الأصابع الغليظة ما تزال مطبوعة على عنقها .. ثم أرخى أصبع  
يده الأخرى فتحرر عاصف وأصدقاؤه من القيود اللامرئية التي كانت  
تُقيدهم وعاد يسألها قائلاً:

- أخبرينا عن الشخص الذي أمرك بهذه الفعلة الشنيعة.

نارا لا تكذب، وحتى لو أرادت فإنها تدرك بأنها لن تستطيع تمرير  
الكذبة عليه.

- جبار - قالت نارا - هو من أمرني بذلك يا سيدى.

صمت الرجل ذو اللحية المُبصرة بعد سماعه تلك المعلومة الجديدة  
وأخذ يفكر وكأنه يداول الحكم بينه وبين نفسه، وهنا تدخل أحد الكُبراء  
"بركام" محاولاً درء الخطر الذي خشي أن يطال عائلة الأباطرة، فقال  
بصوت مرتجف يخالطه شيء من الصلابة:

- نحن لم نأمر، ولم نُقر، وما فعله جبار ليس منا ولا علينا

وبينما الجميع ما يزالون في انتظار صدور الحكم،  
كان هنالك خوف آخر بدأ ينمو في أعماق كobra أفعى الجن تارا،  
لم يكن خوفاً من الموت أو العقوبة المتظرة بل من سؤال خثبت  
أن بطرحه عليها الرجل ذو اللحية المُبصرة وهو: هل كانت جومانا هي  
الوجيدة التي ألقت عليها تعويذة نصف البرزخ، أم أن هنالك شخصاً آخر  
غيرها قد يعود إلى الحياة في الأيام القادمة؟!

# الباب الثالث



## ساحل ممالك التنين

.. غياث، نورمن، ريحانة، وفرخ التنين رعد ..

كان البحر ساكناً في ذلك الصباح الباكر إلا من تموجات موج  
صغرى ترطم بصخرة سوداء يجلس فوقها غياث عابساً وهو يمسك  
بسارمه مركزاً عينيه في الماء .. خلفه كانت نورس وريحانة تجلسان  
فرب كومة من الحطب بينما فرخ التنين رعد أخذ يلهث محاولاً إخراج  
نفس ناري لإشعال حفنة من الأغصان كانت أمامه، لكنه بدلاً عن  
ذلك كان يطلق سعالاً غريباً متقطعاً يخرج معه دخانٌ خافت ورذاذ  
شرير ضعيف ..

قالت نورس وهي تضع يدها على بطنها:

- إنني أتصور جوعاً يا أبي، لقد مضى وقت طويل ولم تصطاد سمكة واحدة، لو كان رعد يصطاد بدلاً عنك لكان قد أمن لنا وجبة الإفطار منذ زمن.

غباث وهو يلتفت إلى الخلف وقد فاض به الكيل:

- إن سبب عدم اصطيادنا للسمك يعود إلى هذه السحلية الحمقاء؛  
نكلما أقتربت سكة من الطعم أخذ يفرعها بصوت سعاله المزعج ॥

التفتت نورس نحو ريحانة وكأنها تطلب منها المساعدة، ولكن  
ريحانة بدلاً عن ذلك قالت معلقة:

- والدك معه حق يا نورس؛ فصوت سعال رعد أشبه بدجاجة تخنق  
أكثر من كونه صوت تنين يحاول نفث النار من فمه.

لم تكن نورس لترضى أن ينتقض أحد من رعد أمامها؛ وهذا ما جعلها  
تقول لشبت لهما بأنه قادر بالرغم من صغر سنها على نفث النار:

- أرحم بأنك أقوى مما يتوقعون يا رعد؛ أخرج من فمك اللهب ودع  
نجاحك يُخسرهم ॥

حرك فرخ التنين رأسه كمن فهم الأمر؛ ثم أخذ نفساً عميقاً وأطلق زفة قوية من فمه، ولكن لم يخرج من فمه سوى "كحة" طويلة تطأير معها دخان خفيف؛ فضحكت ريحانة من ذلك المشهد أما نورس فإنها حاولت أن تتماسك ولكنها لم تستطع فاستلقت على ظهرها على الرمل وأخذت تصاحك.

لم تدم تلك الضحكات طويلاً، فقد صمتت ريحانة ونورس في وقت واحد، وذلك عندما لاحظتا غياباً فوق الصخرة السوداء وهو يغير جلسته فجأة في الوقت الذي تتم فيه بصوت خافت وهو يحدق في البحر بينما ارتفع صوت نبضات قلبه حتى ثُمَّ إِلَيْهِمْ بَإِنْهَاكٍ قلبيْن ينبعسان داخل صدره وليس قلباً واحداً:

- هنالك شيء غير طبيعي، ثمة مخلوق ما يقترب.

تساءلت ريحانة وقد بدا عليها القلق:

- أهو خطر يدنو؟

- لا أعرف نواياه؛ ولكنني أعرف أنه يقترب بسرعة عالية وأنه يملك قوة فتاكة.

وفجأة بدأت تتكون حلقات دائرة واسعة على صفحة الماء لينشق  
من الأعماق جسد مهيب أسود تندلى قطرات البحر من حراشفه الخشنة،  
ارتجم قلب نورس ريحانة من ذلك المنظر بينما غياث لم يرمش للحظة  
وهو يحدق في الكائن ويقول:

- لقد كان هنالك عهدٌ بيننا.

- ما حدث قبل ثلاثة أيام يجبر المرء على كسر عهوده.  
غياث وهو يلتفت إلى الخلف ويقول أمراً:  
دعونا وحدنا قليلاً.

نورس التي أرادت أن تظل معه لفترط خوفها عليه:  
ولكن ..  
قطعاها بنظرة صارمة جعلتها تبتلع كلماتها، فامسكتها ريحانة من  
يدها وهي تقول:

- سوف نذهب إلى السوق لنحتاج بعض الطعام.  
ساروا مبعدين من هناك بينما كانت نورس تخلس الانظار نحو  
والدها، فقد كان هنالك شيء غامض يُخبرها بأن ما هو قادم لا يُشير  
بالخير، وقد كان إحساسها صائباً ..



## الحُكْم

كانت كويرا أفعى الجن نارا قد عاهدت أسطير بـألا تقترب منه أبداً، وهذا ما جعله مستاءً اليوم من ظهورها، فقال وقد بان على صوته الغضب:

- تكلمي، وأوجزي ..

- لقد عرفت عائلة الزمير بالحقيقة يا أسطير، اكتشفوا أن والدك أمني بإلقاء التعويذة على أختك جومانا ولهذا أصدروا حكمهم عليه بالموت.

هنا تيقن غيّاث من حقيقة ما يُشاع عن عودة أخيه إلى الحياة، وبان تلك الأخبار التي تردد كانت صحيحة، ولكن مهلاً .. كان في كلامها شيء لم يفهمه:

- حكموا بالموت على من؟

- على والدك جبار

- وكيف يحكمون بالموت على رجل قد مات منذ زمن؟

- وهذا ما جعلني أكسر العهد وأتي إليك اليوم: لقد حكموا عليه بالموت، وبما أنه ميت أصلاً؛ فالحكم بذلك سوف ينتقل إلى نسله.

- أتعني أن ..

قاطعته قبل أن يُكمل:

- بالضبط؛ حكم الموت يشملك أنت وعاصف بما أنكما من نسل جبار.

ضغط غيّاث على قبضته حتى ازرت مفاصله لفطر غضبه:

- ومن أخبرهم بأنني ما زلت على قيد الحياة؟

- لقد سأله الرجل ذو اللحية المُبصرة عنك وأجبته بالحقيقة.

ارتجف غيّاث حين سمع ذلك الاسم "الرجل ذو اللحية المُبصرة" فقد كان ذلك الرجل هو أكثر شخص يخاف منه غيّاث.

وأصلت كوبيرا أفعى الجن:

- ما كنت لاستطيع أن أكذب على رجل مثله؛ وأنت تعلم ذلك.  
أطرق غياث برأسه قليلاً، إنه يعلم بأنه لا يستطيع التوصل من  
تلك العائلة التي لفطر قوتها لم تكن بحاجة إلا للنطق بالحكم فقط؛  
فيسوق المحكوم نفسه إليهم طوعية؛ لأنه يعلم بألا سبيل أمامه  
للهرب أو المقاومة.

- وهل حددوا موعداً للتنفيذ؟

- نعم؛ بعد ثلاثة أيام، عند موعد اكتمال قمر الشهر القادم.  
نهض غياث من فوق الصخرة وهو ينفض ملابسه وعيناه تتقدان  
ببريق صلب:

- لا بأس؛ سأكون هناك عند الموعد.  
تعجبت تارا من ذلك البرود الذي يتحدث به شخص مثله:  
- أبهذه البساطة تقبل حكم الزمهير ١٩ .. فيمحي نسل جبار  
دون مقاومة ١٩

لم يكلف نفسه عناء الرد، قفز من فوق الصخرة وابتعد من هناك  
دون أكثرث، بينما بدا الامتعاض واضحاً على ملامع تارا التي أدركت  
بأن لا فائدة من إقناعه فقالت وهي تلاحقه بعيونها:

- لا تنس أن تحضر معك نورس أيضاً.

وهو يلتفت نحوها ويصرخ بصوت ثار معه موج البحر:

- وما دخل نورس بهذا الأمر ١١١

بنبرة هادئة أجابـت:

- لأنـها من نسل جـبار.

- أنتـ تعلـمـين بـأنـي التقطـتها من عـلـى الشـاطـئ قبل سـنـوات طـويـلة،

ولـبـستـ من صـليـبي لـتـكـونـ من نـسـلـ جـبارـ ١٢.

- إنـها ابـنةـ عـاصـفـ يا أـسـاطـيرـ.

- ماـذـاـ تـقـولـينـ ١١٩ـ

قالـتـ الحـقـيقـةـ الـتيـ لمـ يـكـنـ يـعـرـفـهـاـ:

- عـنـدـمـاـ انـقلـبـ طـاغـيـنـ عـلـىـ نـظـامـ الـحـكـمـ قـبـلـ سـنـواتـ، اضـطـرـتـ الـمـلـكـةـ سـرـايـ إـلـىـ الفـارـ منـ الـبـابـ الـخـلـفيـ للـقـصـرـ تـعـاـرـدـهـاـ خـطـوـاتـ الـجـنـودـ، وـاـصـلـتـ الـهـرـبـ حـتـىـ بـلـغـتـ شـاطـئـ الـبـحـرـ، وـهـنـاكـ خـافـتـ عـلـىـ طـفـلـتـهـ؛ فـوـضـعـتـهـ دـاخـلـ قـارـبـ خـشـيـ صـغـيرـ، وـدـفـعـتـهـ إـلـىـ الـبـحـرـ؛ عـلـ الأـمـوـاجـ تـحـمـلـهـ إـلـىـ بـرـ الـأـمـانـ. تـلـكـ الطـفـلـةـ الـتـيـ أـلـقـيـتـ فـيـ الـبـحـرـ كـانـتـ هيـ نـفـسـهـاـ نـورـسـ.

---

١٢ قبل عشر سنوات وجد غياث طفلة داخل قارب، وعندما لم يجد حولها أحداً أدرك بأنـها وحـيـدةـ، فـقـرـرـ أـنـ يـبـنـيـهاـ وأـطـلـقـ عـلـيـهاـ اسمـ نـورـسـ. المصـدرـ رـوـاـيـةـ الجـيـسـاـةـ

لم يصدق الفضة: قاربٌ خشبي صغير، يُلقي في البحر من شاطئي بايل، يعبر كل تلك المسافة العاتية ليصل إلى مالك التنين وحده سجاوزاً الأمواج الهائجة، والعواصف التي لا ترحم، ووحشاً تسكن الأعماق !؟ .. كان الأمر أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع:

- أنا لا أصدق ما تقولين.

أجابته تارا بهدوء:

- وأنت تعلم أنني لا أكذب.

- لكن ما تقولينه لا يدخل العقل يا تارا !! فحتى لو افترضنا أنها نجت بعد كل تلك المسافة الشاسعة بين المملكتين فما هذه المصادفة التي تجعل القارب يستقر عندي أنا بالذات !؟ هل اختارت الرياح أن تجعل نورس ترسو عند خال والدعا !!؟

صمتت للحظة قبل أن تعرف:

- وماذا لو كنت أنا الرياح التي حركت القارب من الأسفل ؟

هنا اتسعت عيناه على أثر الصدمة وهو يكتشف أن تارا هي من ساقت ذلك القارب إليه. كانت كوبيرا أفعى الجن تعلم حينها أن فقد أسطير لابنته التي غرقت سيجعله هشاً أمام طفلة تشبهها وأنه سوف يقوم بالاعتناء بها دون تردد<sup>١٤</sup>.

---

١٤ في حادث مؤسف: فقد غياط ابنة الصفيرة غرقاً؛ وذلك عندما ذهب مع كلبه إلى البحر وسقطت من أحد الصخور إلى عمق البحر. المصدر رواية التججل.

قالت تارا وهي تستعد للعودة من نفس الطريق الذي جاءت منه:

- لا تنس الموعد: عند اكتمال قمر الشهر القادم، أنت ونورس؛  
أمام قلعة الأباطرة في الغابة المظلمة، لينفذ فيكما وفي عاصف حكم  
عائلة الزمهرير.

لقد اقتنع غياث بالقصة وبأن نورس تكون ابنة عاصف .. ولكن  
عقله ما يزال غير قادر على التعامل وفقاً لتلك الحقيقة؛ فقال بصوت  
رافض:

- أخبرتكِ بأن نورس لا شأن لها بهذا الأمر !!

- وأنا أخبرتكِ أنهم أصدروا الحكم بالفناء على سُلالة جبار الأباطرة،  
وسوف يبدأ الرجل ذو اللحية المُبصرة بالقصي عن أفراد السلالة حتى  
يحصرهم جميعاً ليتأكد من أنه سوف ينفذ الحكم عليهم جميعاً دون أن  
يسْتثنِ أحداً، ليس أمامك خيار با أساطير، ستموت أنت ويموت  
 العاصف ومعكما نورس.

تجمدت الكلمات في حلقه، إنه لا يكترث إن انتهت حياته الآن؛  
فقد عاش ما يكفي، لكن نورس ما تزال صغيرة والحياة أمامها، ويجب أن  
تكتب وتأخذ فرصة:

- أديك خطبة لمقاومة الزمهرير ١٩

- ألم تقل قبل قليل بأنه لا يمكن مقاومتهم ؟

- كان ذلك قبل أن أعرف بأن نورس متورطة معنا.

وعاد بكرر:

- الدليل خطأ للمقاومة؟

- نعم لدينا خطة، تعال معي إلى الغابة المظلمة حيث الجميع، وهناك نناقشها معاً.

- الجميع؟ .. هل مستشارك الأباطرة في المقاومة؟

- لا؛ لقد اختار كُبراء العائلة الحباد، حلفاؤك الآن هم عاصف وأصدقاؤه فقط.

- لا بد أنك تمزحين

- أخبرتك بأن لدينا خطة.

اطرق أساطير للحظة قبل أن يقول:

- وهل تظنين أن عاصف وأصدقاؤه سوف يوافقون على الجلوس معي بعد الذي كان بيننا في الحرب الأخيرة، ومحاولتي قتله وقتل صاحبه الشمالي؟

- أعلم أنك أكثر حصافة من أن تُلقي سؤالاً كهذا، ولكن دعني أُجيب عليك .. هل يمكن تجاهل الحرب الأخيرة بينكم؟ الإجابة المختصرة والمحاسنة هي بالطبع لا .. ولكن ما هو آتي عليكم في الأيام القادمة سوف يجبركم إما على الجلوس معاً، أو الهلاك معاً.

- حسناً؛ سأذهب معكِ

- ماذا عن نورس، ألن تجلبها معكِ ؟

- لا؛ فالأفضل أن تبقى هنا في هذه المرحلة؛ بعيداً عن الخطر.  
تعلم أنه أكثر ذكاء من أن يتخد قراراً مثل هذا؛ حتماً خوفه الزائد على  
نورس هو ما كان يمنعه من التفكير بطريقة صائبة:

- لا تترك نقاط ضعفك مكشوفة خلفك؛ ولا ضرورة من خلالها.  
لقد كان هنالك سبب آخر جعله يميل إلى هذا القرار: إنه يريد لنورس  
أن تكون بعيدة ولكن ليس من الخطر فقط، بل بعيدة عن والدتها الحقيقي  
"عاصف" يخاف أن تكتشف حقيقة أنه والدتها فينتهي دوره بالنسبة  
إليها، هذا القلق هو ما جعله يضع شرطاً واحداً للموافقة<sup>١٠</sup>.

---

١٥ وفقاً للأجزاء السابقة للسلسلة؛ هذا ملخص لكل ما تعرفه نورس عن كلٍّ من غياث  
وعاصف.

أولاً ما تعرفه عن غياث: تعرف أنه ليس والدتها الحقيقي، بل والدتها بالتبني، وتعلم أن اسمه  
ال حقيقي أساساً وأن غياث ليس إلا استئنافاً للتخفى، ولكنها حتى هذه اللحظة لا تعرف  
سبب تخفيه عن العالم ..

ثانياً ما تعرفه نورس عن عاصف: هي لا تعرف عنه الكثير، كل ما تعرفه فقط هو أنه كان عدواً  
لغياث في الحرب التي جمعتهما برواية التسجيل وهي تكرهه لهذا السبب.

قال غياث:

- هل يعرف عاصف أنها ابنته؟

- إلى هذه اللحظة .. لا

- هل تستطعين أن تكتمي هذا السر عنه وعنها؟

كادت أن تعترض، ولكن غياث قطع عليها الطريق:

- إنه شرطي الوحيد.

في الحقيقة كان هنالك شخص واحد قد أخبرته نارا بهذا الأمر قبل قدمها إلى هنا؛ فلم تذهب بها المخبلة إلى حد أن يصر أساطير على هذا الشرط، فقالت:

- كما تشاء؛ سوف أكتم السر عن عاصف وعنها.

- وهناك شرط آخر - قال غياث بنيرة من استذكر أمراً ضروريًا وأراد أن يطرحه قبل فوات الأوان - لا أريد لنورس أن تعرف بشأن الحكم الصادر بحقها.

- ولكن من حق نورس أن تعرف الحقيقة التي تخص حياتها.

- ليس من العقل أن نخبر فتاة لم تبلغ العاشرة من عمرها بأنها محكومة بالموت، فاما أن تقطعي لي وعداً بكمان الحقيقة، وإلا سأنسحب من هذا الأمر وأنذير شرؤني وحدي.

قالت وقد اقتنعت بكلامه:

- لن تعرف نورس بهذه الحقيقة أيضًا.

وعند هذا القدر كان الحديث بينهما قد أغلق، ولكن الشيء الذي لا يعرفانه هو بأن هنالك عيوناً كانت قد رأت اجتماعهما ذاك على ساحل ممالك التنين، وبأن هذه العيون سوف تذهب بعد قليل، لتخبر أصحاب الشأن بكل ما جرى ..



## جزيرة الأرباب قصر حكم مملكة أبابيل

كانت جزيرة الأرباب أشبه بقلعة عائمة وسط البحر، يلفها الضباب الكثيف مثل ستار سحري. هي ليست جزيرة عادية بل هي عاصمة السلطة ومركز القرار في مملكة أبابيل، محروسة بكائنات بحرية تحوم في الأعماق لحراسة العائلة الملكية من أي اعتداء قد يأتيهم من البحر .. في قلب الجزيرة يرتفع قصر الحكم شامخاً، أسواره تعلوها رايات طويلة ترفرف مع الريح مرسوم عليها شعار مملكة أبابيل: صورة لطائر عنقاء أسود مفروذ الجناحين؛ ذلك الرمز الذي اتخذه ملوك أبابيل الأوائل شعاراً لمملكتهم منذ اللحظة التي بسطوا فيها سلطتهم على الأرض.

لم يكن اختيار العنقاء بسبب أن آبائيل كانت موطنًا لذلك الطالر النادر فقط بل لأن العنقاء لا يستسلم أبدًا؛ فهو كلما مات حرقًا يعود للحياة من جديد منبعثًا من أسفل رماده؛ هكذا رأى الآباءيليون أنفسهم، وهكذا أراد ملوكهم أن يقولوا للعالم بأن آبائيل مهما حوصلت أو دمرت أو أحرقت فإنها لا تستسلم وسوف تعود إلى الحياة من جديد.

٤٤

### الملك طاغين

في ذلك النهار كان الملك طاغين جالسًا على عرشه عندما رفع يده في إشارة لمستشاره الأصلع "آشور" الذي سارع بارتفاع درجات منصبه العرش:

- أمرك سيدى الملك ..
- أين جومانا اليوم؛ فأنا لم أرها منذ الصباح على غير العادة.
- تردد آشور قليلاً قبل أن يطلب بصوت متهدج:
  - أرجو أن تاذن لي يا مولاي بأن أتحدث معك بشأن أمر خاص.
  - تحدث
  - لقد مضى على زفافك قرابة عشرة أيام.

- هل هذا هو أمرك المخالص أيها الأصلع البدين؟! .. لأنه إن كان كذلك فأخبرني الآن لكي استمتع برؤيه سقوطك من فوق المنصة بعد أن أرفسك بقدمي.

آشور يعلم أن الملك لا يهدد عبئاً؛ فقد رفسه عن المنصة مرات عديدة، وهذا ما دفعه لأن يقول وهو يرى قدمه تستعد للتحرك:

- مهلاً يا سيدى مهلاً؛ ولكن هذه المعلومة ضرورية لتمهيد ما أريد قوله ..

- همم، حسناً لا بأس واصل حديثك ..

- لقد مضت عشرة أيام وأنت لم تقترب منها بعد

- لم أقترب منها!

- نعم ..

- ألم ترها يا آشور خلال الوقت الماضي وهي تجلس كل يوم فوق كرسيها المجاور لعرشى؟

- بل كنت أراها ..

- أليس هذا القرب كافياً بنظرك؟

- لم أكن أقصد هذا النوع من الاقتراب يا سيدى.

- عن أي نوع تتحدث إذا؟

مهمت على المكان لحظة مبعث خاطفة، لأن ثوره ، الذي دفع

قصيدة:

- إنما كنت أقصد ذلك الأفراد ، الذين ، دون يوم ، إنها امرأة في نهاية المطاف ، وعدم افراطها ، مما ملأ ، هنا ، العادة يجعلها تظن أن بها عرضاً أو شيئاً من الفيم .

هنا انقض طاغين عليه بفتحة وأمسكه من ثوبه :

- قد أكون سافلاً ومنحطاً أيها الذين الامر اقام الفيم ، واعتزلوا إلى تلك الدرجة - ثم وهو يشدء إليه أكثر حتى ، ناد وناد ، أنا ، رائدة لفطر القرب : ليس إلى درجة أن افترض منها وهي ، ايه آخر ، أنا ، إمام السبب الذي جعلنا نؤدي طقوس عودتها إلى المدح ، وأعلم السر ، أنا ، جعلنا ظهرها أمام عاصف وبقية الملوك في تلك الليلة ١١١

آشور يدرك أن طاغين لا يمسكه من ثوبه فقط ، بل ، ثوبه ، كونه ، أيضاً ، أي كلمة ستقال في غير محلها قد تكون تحمله بقدره فوياً ، فالله بحدرك :

- لكنها يا سيد لا تذكر شيئاً عن ما منها ، ونظن أنك زوجها بالفعل ، وينبغي أن تصرف على هذا الأساس إذا ما أردنا للمنبه ، أن يكمل كما خطط له منذ البداية .

هذا طاغين، وقال وهو يُقلته:

- في هذه النقطة قد تكون مصيبة - ثم أضاف وهو يتراجع ويجلس فوق العرش: وماذا تقترح لتجاوز هذه الأزمة، وإياك أن تقول بأن على التصرف معها كما لو أنها زوجي بالفعل.

- ما رأيك يا جلالة الملك أن نجعلها تظن بأن قلقك من عاصف هو سبب امتناعك عنها؟ إننا إن فعلنا ذلك فسوف يزداد كرهها له؛ وبالتالي نستطيع أن نوجه مشاعرها إلى حيث نريد تماماً.

ارتسمت على شفتي طاغين ابتسامة ملتوية ظهرت من خلفها أنبياء الطوبولة نسبياً، قال وقد أعجبته الفكرة وهو يُربت على صلة آشور كالسيد عندما يُربت على رأس حيوان مطيع:

- أفكارك يا ذا الرأس الأملط تُعجبني أحياناً.

- خادمكم المطبع يا جلالة الملك

- ابدأ بالعمل على تنفيذها

انسحب المستشار من أمام الملك بعد أن أدى له انحناءة بسيطة وهو يُنتم "أمرك" وما كاد أن يغادر من هناك حتى صعد حاجب الباب سرعاً وهو يتحنى للملك ويقول:

- زائر مهم عند الباب يتمنى لقاءك؛ إنها الملكة أنورا زوجة يمان ملك مالك التنين المُظمي.

ملامح من الريبة طفت على وجه الملك طاغين وهو يسمع اسم الزائرة، مما جعل سؤالاً ملحاً يقفز إلى ذهنه: ثُرِي ما الذي جاء بها في هذا التوقيت الحساس ودون ترتيب مسبق !؟ .. ولما طال صمته أكثر مما يحتمله الموقف، عاد الحاجب يكرر:

- الْسَّمْعُ لِهَا بِالدُّخُولِ يَا مُولَّا يٰ

صحبـع أن أباـيل ظلتـ على مـدى قـرون طـولـة مـملـكة عـظـيمـة مـهـابـةـ الجـانـبـ لـكـنـ التـرـزـعـ الذـيـ أـصـابـهاـ فـيـ السـنـوـاتـ الـأـخـيرـةـ لمـ يـكـنـ خـافـقـاـ عـلـىـ أحـدـ؛ـ بـعـدـ وـفـةـ جـبارـ وـتـقـلـدـ حـفـيدـهـ عـاصـفـ الـمـلـكـ،ـ ثـمـ الـانـقلـابـ الذـيـ أحـدـهـ طـاغـيـنـ وـاعـتـلاـءـ الـعـرـشـ ..ـ كـلـ ذـلـكـ جـعـلـ منـهـاـ -ـ مـنـ أـبـاـيلـ -ـ أـقـلـ صـلـابـهـ وـأـضـعـفـ شـائـعاـ مـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـلـ؛ـ وـلـهـذـاـ فـانـ حـضـورـ مـلـكـةـ مـالـكـ التـبـينـ إـلـىـ الـقـصـرـ الـآنـ وـدـونـ تـرـيـسـاتـ مـعـلـنةـ تـسـبـقـ قـلـومـهاـ يـجـعـلـ طـاغـيـنـ يـدـركـ أـنـ هـنـالـكـ شـيـئـاـ كـبـيرـاـ يـقـفـ خـلـفـ هـذـهـ الـزـيـارـةـ:

- نعم، اسمع لها.



"أنورا"

ملک ممالک التلین

انفتحت أبواب القاعة الثقيلة لتدخل منها المرأة التي حلّت على  
كتفها مهابة مالك بأكملها، كانت تمشي بخطوات رصينة وعيناها  
تلمعان بمهابة تخترق الصدور، نهض طاغين من فوق عرشه ونزل  
يقف أمامها وجهًا إلى وجه، ورغم أنها ترى نفسها أعلى منه شأنًا  
ومكانة إلا أنها تعرف واجب الكلام المهدب الذي كان عليهما أن  
تلقبه قبل الشروع في حديثها:

- كيف أصبح جلالة الملك طاغين اليوم !

- بخير أيتها الملكة، أشكرك على السؤال وأتمنى أن تكون قادرًا  
على تحقيق ما جئت لأجله.

\*\*

جلس الاثنين وحديهما على المقاعد الجانبي للقاعة والملكة تقول  
بصوتها القوي:

- الشياطين المستقرة لدى ملوكنا رصدت قبل أمس اختراقاً أمنياً  
لسيطراتنا؛ مخلوق قوي تجاوز حدود أعماقنا البحرية فجأة، ما جعلهم  
يسارعون بالذهاب لاستطلاع الأمر .. وهناك شاهدت الأعين ما لم يكن  
في الحسبان: لقد كان ذلك المخلوق هي الكوبرا حارسة الغابة وقد جاءت  
لتتحدث مع غياث.

- أليس هذا هو اسم الظل نفسه الذي كان حارساً للملك يمان  
فيما مضى ؟

أومات برأسها بعلامة نعم، ثم أضافت:

- غياث الآن يهدد صعود ابني إلى العرش يا جلاله الملك.  
طاغين وهو يمثل التعاطف معها:

- هذا مؤسف للغاية، أتمنى أن تجدوا حلّ لهذا الأمر - ثم وملامحه  
تعود لوضعها الطبيعي: ولكن تجدوه بعيداً عنك يا جلاله الملكة؛ فأننا  
لا شأن لي بهذا الأمر.

- بل إنه من صميم شأنك؛ فهذا الغياث لا يهدد صعود أبني الأمير  
أركان فحسب يا جلاله الملك بل إنه أيضاً يهدد بقاءك أنت على  
العرش.

بدا أن طاغين لم يصدقها، فقالت إليه بثقة:  
- ما رأيك أن أحكي لك قصة غياث، القصة التي لا أحد يعرفها  
عنه، ثم يمكنك أيها الملك أن تحدد ما إذا كنت مصيبة في كلامي  
أم لا.

لقد كان متوجعاً من ثقتها الزائدة بكلامها؛ الأمر الذي جعل عينيه  
تقذدان بالفضول وهو يقول:

- أحكي إذا ..



## قصة غياث التي لا يعرفها أحد

بدأت الملكة تتكلم وطاغين ينصت إليها:

- كان غياث شاباً صغيراً حين تورط بالحب مع فتاة تدعى حرير، وكما تعلم أيها الملك فإن كثيراً من عوائل الجن تحرم اختلاط الأنساب، وتضع قوانين صارمة تمنع أفرادها من الزواج بأبناء من ذوي سلالات مختلفة؛ ولهذا السبب ما كان أمام غياث إلا أن يهجر عائلته ليعيش مع حرير وسط عشيرتها التي لم تر بأساً في أن تفترن ابنتهما ذات الأصل الجليلي بمخلوق ذي أصل ناري .. فمضت أعوام طويلة على زواجهما حتى رُزق غياث منها بطفلة أطلق عليها اسم ريلان.<sup>١١</sup>.

---

١١ مات طفله (ريلان) غرضاً، الحديث مذكور بالتفصيل برواية التججل.

طاغين ساخراً:

- نهاية سعيدة متوقعة؛ كالقصص القديمة.

ابتسامة خفيفة ارتسمت على ملامح الملكة وهي تقول:

- بل القصة لم تبدأ بعد؛ القصة تبدأ عندما وجدوا الأم - حرير -

بعد يوم واحد من ولادتها لتلك الطفلة، وهي مقتولة في فراشها بسبب طعنة نافذة إلى صدرها .. القاتل لم يكتفي بقتلها فقط بل إنه انتزع قلبها

من مكانه بعد ذلك وأكله.

بان الاهتمام على وجه طاغين وهو يميل برأسه ناحيتها:

- ومن الفاعل يا ترى ؟

- لم يكن هنالك دليل قاطع، ولكن كل المؤشرات قادتهم إلى أن غيّاث هو الفاعل وإنما يختفى بطفليه فجأة دون سبب واضح ! عشيرتها لم تسكت وبعثوا بالرسائل إلى الملوك طالبين منهم الوقوف معهم، وما هي إلا أيام حتى أصدرت ممالك الأرض جميعها بياناً برصد مكافأة كبيرة لمن يأتي برأس غيّاث، كما أن البيان حذر من احتواء ذلك المجرم أو التعامل معه.

كانت هنالك حلقة مفقودة:

- ومن تكون هذه العشيرة لتحرك من أجلها كل مالك الأرض ؟
- لا أحد يعلم على وجه اليقين، ولكن الأرجح أنها قد تكون عائلة الزهير.

تنتم طاغين:

- ما زلت غير مقنع بأن غيّاث هو من قتلها، فالمرء لا يهجر عائلته من أجل فتاة أحبها ثم يقوم بقتلها وأكل قلبها، ولكن واصلي حديثك أيتها الملكة.
- لقد خاف غيّاث بعد أن وصله أمر ذلك البيان .. لم يخف على نفسه بل على طفلته؛ ولذلك تسلل خلسة إلى مالك التنين، وواصل طريقه حتى القصر وطلب لقاء الملك.
- لا تقولي بأن ملك مالك التنين العظيم وافق على لقائه.

- نعم لقد وافق زوجي على لقاءه بسبب الصداقة القديمة التي كانت تجمعه بوالده .. في هذا اللقاء أيها الملك اعترف غيّاث بأنه بالفعل قتل زوجته، ولكنه رفض أن يُفصح عن السبب الذي دفعه إلى ذلك وطلب من الملك يمان أن يمنحه اللجوء.

ارتسمت السخرية مجدداً على ملامح طاغين وهو يقول:

- فمنحه الملك يمان اللجوء وعينه ظلاً شخصياً له، هاها، نهاية أخرى متوقعة كالقصص القديمة.

- بل إنها البداية - قالت الملكة - إنها بداية القصة .. التي لن تخطر لك ببال ..

- همم، واصلني ..

وأصلت الملكة أنورا تقول:

- كان زوجي يمان آنذاك يواجه خطراً متصاعداً، محاولات اغتيال متكررة تحيط به من كل جانب، بعضها يفشل بأعجوبة وبعضها يُخلف في جسده أثراً لا يمحى، وقد أدرك أن العرش لن يصمد طويلاً ما لم يُحيط نفسه بظل قوي، حارس يقف بينه وبين خيانات العروش وقد وجد ضالته في غياث؛ كان يعلم أنَّ لديه قوة جباره، وألا أحد سواه قادر على مجابهة هذا النوع من الأخطار؛ لذلك قرر أن يمنحه ما طلبه "اللجوء" مقابل أن يُصبح ظلاً له، وقد وافق غياث على تلك الصفة.

طاغون، يعلم أن قوة السحر قادره على تغيير ملامح الوجه، ولكن أثر ذلك يظل مؤقتاً، أما أن تمنع غياث هوية أبديه فذلك شيء، بصعب.

عليه فهمه:

ولكن كيف منحه الملك يمان هوية أبدية، وأخفاه عن أعين العالم كل هذه المدة، فليس هنالك ساحر على هذه الأرض يستطيع فعل ذلك.

- أنت قلتها، ليس على هذه الأرض ..

- ماذا تعنين؟

- لا أملك الإدن لا أكشف لك عن تفاصيل هذا الأمر، ولكن كل ما أستطيع أن أخبرك به الآن هو أننا في هذا العالم لا نعيش على أرض واحدة، بل أراضين متعددة وأزمنة مختلفة، ولكل أرض وزمان علومه الخاصة.

كان طاغون قد سمع عن أن هنالك علوماً غيبية تُكشف فقط لملوك الممالك العظمى .. ولكن مسألة الأراضين والأزمنة المتعددة هذه كانت أكبر من أيفهمها ومع ذلك لم يقاطعها وأنصت إليها وهي تُكمل كلامها الغريب ذاك قائلة:

- لقد فتح له الملك يمان بوابة الزمن - الآرسس<sup>١٧</sup> - ونقله عبرها إلى أرض ذات زمان مختلف وعلوم منفردة، حيث يقع هنالك كاهن غريب بنصف جسد وعقلٍ ممتليء بأسرار غيبية لا يعرفها سواه أحد.

\*\*

## غِيَاثُ بَعْدِ عَبورِهِ بِوَابَةِ الزَّمْنِ

بعد أن اجتاز غياث بوابة الآرسس وجد نفسه في وادٍ غير ذي زرع، مظلم تحفه جبال داكنة من كل الجهات .. جبال صامتة كأنها جدار يفصل الأرض عن السماء .. في تلك الليلة كانت رائحة المطر تملأ المكان عندما رفع غياث رأسه إلى السماء وشاهد الغيوم الرمادية وهي تتفرق ببطء ومن خلفها تظهر نجوم قليلة لكنها تلمع بحدة، لم يكن هنالك ما يوحى له بالانتقال المكاني والزمني الذي حدث ولكنه على نحو غريب أحس بأنه بالفعل يقف على أرض مختلفة وزمن آخر.

---

١٧ من خلال رواية التيجيل يتضح لنا أن طاغين كان على دراية بما يسمى الآرسس، حيث يعلم أنها تستخدم لاختصار الزمن فهي تنقل المرء من زمن إلى آخر ضمن العالم نفسه، لكنه لم يكن يعلم أن من خصائصها أيضًا أنها قادرة على كسر حاجز العالم وأنه يمكن أن تستخدم لنقل الشخص من عالم إلى عالم آخر.

هنا جاءه صوت المرشد الذي قام الملك بتعيينه ليقود غياث إلى حيث الكاهن:

- اتبعني يا سيدى؛ فيجب ألا يرانا أحد من أهل الوادى.

مضى غياث يمشي بخطوات ثابتة خلف المرشد وبينما هو كذلك إذ لمح بطرف عينه مشهدًا أربك حواسه: ذئبة سوداء ضخمة تهrol بخفة نحو بيوت الوادى الهاجعة بالليل وهي تحمل بين فكبيها طفلًا بشريًا حيًّا مقططًا في خرقه بالية .. توقف غياث للحظة أمام غرابة ما يرى لكن صوت المرشد عاد يذكره بالتعليمات:

- يجب أن تتجاهل كل ما نراه، وألا تُنصت لنداء، أو نركن لشيء،  
وألا علقنا في هنا المكان.

تابع غياث سيره خلف المرشد متتجاهلاً غرابة المشهد حتى بلغ دارًا مظلمة لها باب خشبي أسود قديم كأنه صُنع من حجارة الوادى المعتنة:

- سوف تدخل وحدك - قال المرشد - الكاهن يتظرك في الداخل وهو يعلم من تكون، ومن أي أرض جئت، وما يجب عليه أن يفعله معك.

إحساس ما دفع بغياث لأن يشعر بالرهبة من ذلك الكاهن حتى قل  
أن يراه، ما جعل صوت نبضات قلبه ترتفع داخل صدره بقوة تجعل من  
يسمع إليها يشعر وكأن ذلك الشاب كان يملك قلبين في صدره وليس  
قلباً واحداً.

- إننا لا نملك الوقت - قال المرشد - هيا اطرق الباب  
رفع غياث قبضة يده وطرق الباب ثلاثة، فانفتح الباب ببطء وانبثق  
من الداخل صوت خافت لا يرى صاحبه يقول:  
- ادخل بقدمك اليسرى، وردد سبعاً "لبيك شقا"  
حدقت الملكة أنورا إليه - إلى طاغين - قبل أن تقول آخر ما سوف  
تُنهي به القصة:

- حين خرج غياث من دار الكاهن، كان شخصاً آخر غير الشخص  
الذي كان عليه قبل أن يدخل، اسم جديد، ملامح جديدة، وقدر  
مختلف يتظاهر في قادم أيامه.

- سأعترف أنها قصة لم أكن أتوقعها أيتها الملكة، ولكن حتى هذه  
لحظة أنا لا أفهم السبب الذي يجعلك تعتقدين أنني قد اهتم لهذا  
الغياث.

- عندما سترى اسمه الحقيقي الذي كان له قبل أن يصبح غياث  
سوف تهتم لأمره.

- وما هو اسمه الحقيقي ؟

- أسطير .

قالت ذلك ثم حدقـت إلـيـه قـليـلاً قـبـلـ أنـ تـسـأـلـهـ :

- هل يذكرك هذا الاسم بشخص تعرفه أيها الملك !؟

\*\*

**الملك طاغين**

**الملكة أنورا**

**الخطر**

تجمد وجه طاغين للحظة، وانسحبت من عينيه قسوته المعتادة  
لتخل مكـانـهـ ظـلـالـ منـ القـلـقـ، فـلمـ يـكـنـ لـدـىـ طـاغـينـ منـ يـهـددـ  
عـرـشـهـ غـيرـ عـاصـفـ، لـكـنـ خـطـرـهـ - خـطـرـ عـاصـفـ - قدـ قـلـ بـعـدـ أـنـ  
تـنـازـلـ لـهـ بـالـشـرـعـيـةـ الـمـلـكـيـةـ؛ وـهـكـذـاـ حـتـىـ لوـ كـانـ لـدـىـ عـائـلـةـ الـأـبـاطـرـةـ  
الـرـغـبـةـ فـيـ اـسـتـعـادـةـ مـاـ كـانـ لـهـ فـلـانـهـمـ لـنـ يـجـلـوـ قـائـدـاـ يـقـفـونـ خـلـفـهـ،  
أـمـاـ الـآنـ وـمـعـ ظـهـورـ "ـأـسـاطـيرـ"ـ قـدـ يـصـبـعـ لـدـيـهـمـ قـائـدـ يـجـتـمـعـونـ  
تحـتـ لـوـاهـهـ.

تحت ضغط هائل لم يجربه منذ زمن، بدأ طاغين يحاور نفسه  
بهمس لم يتتبه إلى أنه كان مسموعاً:

- أساطير !! .. أحد جبابرة الأرض التسعة !! .. قوة كهذه قادرّة  
على قلب الموازين، نسبة المتصل مباشرة بجبار كونه الابن الذكر  
الوحيد؛ هو سبب آخر ليشكل تهديداً حقيقياً على العرش.

قالت كما لتزيد النار حطباً:

- ولا تنس أيها الملك بأن هنالك الكثير من عشائر مملكة أبابيل  
وقبائلها من لا يزالون يحملون الوفاء لوالده، وقد يقاتلون معه إن  
طلبهم.

ارتجفت أنامله وهو يطبق يقابضته على المسند؛ فمدت الملكة  
يدها فوق يده. كانت لمسة باردة لكنها محسوبة بدقة وهي تقول  
بصوت خفيض:

- ممالك التنين في صفك؛ فنحن وأنت الآن لدينا عدو مشترك،  
أساطير يهدد صعود ابني إلى العرش، كما يهدد بقاءك أنت على عرشك  
أيها الملك.

ثم شدت قبضتها فوق يده كأنها تعزز كلماتها بالقوة:

- لكن إن اتحدنا معاً؛ فسوف نكون قادرين على إسقاطه قبل أن يحصل على قوة مضاعفة ويصبح من الصعب تحجيم خطره عليكم علينا.

七

العين الثالثة

وينما ظل طاغين صامتاً،  
والملكة أنورا تتضع يدها فوق يده،  
لم يتتبه أحد منها لتلك العينين البنديقتين اللتين كانتا تُراقبان  
المشهد من خلف العمود البعيد .. كان قلبها - قلب جومانا - يغلي  
بالغيرة والمحقد في تلك اللحظة وهي تشاهد تلك المرأة تتضع يدها فوق  
يد زوجها .. ولكنها ولكي تتفى غضبه إن عرف بأنها كانت تتجسس  
عليه طوال الوقت؛ فقد اختارت أن تنسحب من هناك بصمت قبل أن  
يلنقط أنفه رائحة المريق المشتعل بقلبها.

انسحبت جومانا من هناك

لكن ما رأته للتو لن يختفي من قلبها وذاكرتها ..

بل سيسهل حرائق أكثر وأكير .. حرائق لم يكن أحد يتوقعها ..

# الباب الرابع



## الغابة المظلمة

كان قرص الشمس مستقراً في كبد السماء ينشر ضوءه الذهبي فوق الأرض الشرقية من قرية الجسasa حيث الغابة التي لفطر ما كانت أوراق أشجارها كثيفة ومتشابكة فإنها لم تكن لتسمح إلا بالقدر البسيط من ضوء الشمس بالدخول إلى أعماقها حتى لا يعكر صفاء عنتها الأبدية، فتحت بوابة القلعة أمام كobra أفعى الجن التي وبالرغم من صعوبة الموقف الذي هم فيه إلا أن ذلك لم يُنسها الواجب، فقالت:

- سيدى أساطير .. تفضل ومن معك بالدخول ..

نقدم أساطير أولاً،

والى جواره نورس وريحانة التي يستقر فرخ التبن فوق كتفها،  
وما إن عبر أساطير عتبة البوابة حتى امتلأت عيناه ببريق خافتٍ من  
حنين قديم؛ فهنا عاش فصول حياة لا تنسى قبل أن يهرب مع تلك  
الفتاة التي أحبها وتنقلب حياته رأساً على عقب .. لم يتسلل الحنين  
إلى ملامح وجهه وظللت قسماته متمسكة بصلابتها لكنه كان يُخيل  
إليه وكأن جدران القلعة كانت تُردد على مسامعه وقع خطوطاته القديمة  
وصوته القادم من الماضي - حين كان صغيراً - وهو يتداول الحديث  
مع والده جبار ووالدته ناج وأخته التي يُحبها جومانا، وكأنما الجدران  
بذلك كانت تزيد أن تعابه على كل هذا الغياب الطويل.

لم يقطع سيل ذلك الحنين الذي اجتاح أساطير سوى صوت رفرفة  
أجنحة تخفق في الأعلى؛ فرفع رأسه ليرى طائراً أحمر اللون يهبط بهدوء  
مستقراً فوق درايزين الطابق الثاني يُراقب المكان بصمت الحراس الأمين  
الذي يمسح المكان بعينيه قبل وصول سيده ..

في اللحظة ذاتها ارتفعت أصوات أقدام آتية من عمق القلعة، فالتفت  
أساطير ومن معه بشكل تلقائي ناحية الصوت ليشاهدو عاصف يتقدم  
نحوهم بخطوات بطئية وإلى جانبه الشمالي ..

وقف الطرفان على بعد خطوات قليلة من بعضهم البعض، وأخذ  
الصمت يسود المكان، لا صوت يُسمع ولا كلمات تُنطق، العيون وحدها  
كانت تتبادل سيل نظارات مشحونة بعداوة تبعث من ذاكرة لم تبراً بعد من  
رماد الحرب الأخيرة ..

شدَّ عاصف على قبضته وامتدت يد الشمالي إلى مقبض سيفه بينما  
استعد أساطير لهما، ولكن في هذه اللحظة المشحونة تقدمت تارا  
بينهم قائلة بصوت واضح:

- لم نجتمع هنا لتصفية حسابات الأمان؛ لقد اجتمعنا لأجل هدف  
واحد، لأجل البقاء، ولن يتم ذلك حتى تمنعوا بعضكم الأمان - ثم أردفت  
وهي تلتفت نحو أساطير:

- أتمن لهم الأمان ؟

رد بنيرة قوية: إن كانوا قادرين على منحِي الأمان، فسأفعل.

حولت تارا نظرها إلى عاصف والشمالي وسالت:

- وأنتما ألا .. هل تستطيان ذلك؟

العاصف بحدة:

- قلت إنك سوف تذهبين لجلب المساعدة، ولم نكن نعلم أن هذا المجرم هو ما تقصدين .. لا يا تارا .. نحن لا نستطيع منع الأمان لشخص مثله.

كاد المجتمع أن ينهار قبل أن يدأ لكن كوبيرا أفعى الجن كانت قد وضعت حساباً لهذا الاحتمال، فأشارت إلى الفتاة السمراء الواقفة إلى جوار أساطير وقالت:

- إن لم يكن من أجلي، فليكن من أجل هذه الفتاة إذا.  
التفت الاثنين تلقائياً نحو الفتاة التي أشارت إليها وتساءل كل واحدٍ منها في داخله ثُرى من عساها تكون هذه الفتاة؛ لتسألهما تارا بحقها.

لم يمضِ سوى وقت قصير قبل أن تقدم لهما تارا الإجابة:

- إنها أخت أيوب.

توقف الزمن عند تلك الكلمة "أيوب" الاسم الذي رغم غياب ساحبه إلا أنه ما يزال ساكناً في أعماق كل واحدٍ منهما، أرخي عاصف ببضته بيظه، بينما أزال الشعالي يده عن مقبض سيفه واستحال الموقف من كراهية مشتعلة إلى محبة ووفاء.

تقدّم عاصف بيظه نحوها - نحو ريحانة - وفي عينيه يومض بريق قديم لمشهد آخر لم يفارق ذاكرته "مشهد أيوب حين وضع قبلة على جبينه قبل أن يضحي بنفسه من أجله" وقف عاصف أمام ريحانة للحظة يتأمل ملامحها السمراء وكأنه يفتّش فيها عن بقايا وجه صديقه قبل أن يقول بصوت طفت عليه نبرة الحنين:

- لم أكن أعلم أن لأيوب أختاً، ما اسمك؟

- ريحانة

قالت ذلك ثم أضافت مستغلة تلك اللحظة التي كان فيها قلب عاصف مفتوحاً:

- أريدك أن تمنحك الأمان يا عاصف.

لم يقل شيئاً،

فقط اقترب منها، ووضع قبلة على جيئنها، كانت قبلة غير مبررة،  
وربما غير لائقة لكنه لم يُبال؛ إنه يرد القبلة التي وضعها أخوها أيبو على  
جيئنه، التفت عاصف نحو أسطير وقال:

- من أجل أخت أيبو أمنحك الأمان.<sup>١٨</sup>

---

١٨ في رواية الجستاسة، وبعد أن حاكم طاغين فجأا دمر فيه جيش عاصف، ولم يُنقذ له سوى العشرات من فرسانه، وقف أيبو وصرخ بأعلى صوته: "احموا الملك عاصف بكل قوتكم" شكل جيئنها الفرسان المتبقون من الجيش حلقة دائرية حول عاصف وبدأ القتال .. كان أيبو يعلم أن الفرسان لن يصدوا طويلاً أمام جيش طاغين الجارف، فالتفت نحو عاصف جيئنه، وقال:

- يجب أن تهرب من هنا !!

- لا - رد عاصف - أنا لست جيئنا لأهرب !!

صفعه أيبو على وجهه وصرخ:

- متى ستوقف عن كونك صيئاً طائلاً، وتبدا بالتصرف كملك؟!

ثم قبله على جيئنه وكأنه ندم على تلك المصفعه، وقال بودعه:

- غد إلى القصر وتحسن.

قال عاصف متسللاً:

- تعال معـي.

لكن أيبو ابتسم، وجذب سيفه:

- لا، فإنـا الوحـيد الـذي يـستطيع تـأخـير طـاغـين عن اللـحـالـ بـكـ.

قالت كوبيرا أفعى الحن وهي تُشير نحو القاعة:  
- سوف نمضي الآن إلى القاعة، ولكن قبل الدخول، يحب على  
كل واحد منّا أن يخلع أحقاده خلف الباب، ليسير الاجتماع كما يُبعى  
له أن يسير.

وعندما بدا أن الجميع سوف يتزلم بكلمته وبأن المعركة لن تقام في  
القاعة، تحرك حجر صغير بجوار الحائط كما لو أن أحدهم كان يرحرحه  
من الأسفل .. لم تمر لحظات بسيطة بعد ذلك حتى ظهر الحكم الذي  
كان يختبئ أسفله .. لقد ظهر الآن بعد أن أيقن بأن حياته لن تكون في  
خطر وراح يركض بقدميه ويديه حتى تسلق جسد عاصف واستقر فوق  
كتفه وهو يخفى نصف ملامح وجهه أسفل قلنسوة قماشية معتقداً أنه  
بنذلك يمنع نفسه هيبة إضافية:

- كانت لدى بعض الظروف التي لم يكن من السهل تجاهلها،  
وأتمنى ألا أكون قد وصلت متاخرًا.

ثم أضاف يقول بنبرة مهذبة وهو يُخرج من حزامه سيفاً صغيراً لاماً  
صُنع له خصيصاً من معدن رخيص وخفيف ليستطيع حله:

- هذا السيف يشعر بالعطش أيها السادة، ولا شيء يروي عطشه  
غير الدم.

كان يعلم أن أصدقاءه لا يصدقونه؛ ولكنه لا يهتم، قال وهو يلتفت  
ناحية عاصف:

- هل آذاك أحدٌ منهم ؟

- لا -

- جيد ..

- وأنت - قال وهو ينظر ناحية الشمالي - هل آذاك أحد ؟

- لا أيها الحكم، شكرًا لسؤالك.

- وأنت - قال وهو يرفع رأسه نحو الأعلى وينظر ناحية إكليل

ويسأله:

- هل آذاك أحد ؟

هزّ إكليل رأسه ناقتاً؛ فتمتنع الحكم:

- يا للخسارة !!

تدخلت تارا في تلك اللحظة؛ كانت تعلم أنها لو تركت له المجال  
للكلام فإنه لن يسكت حتى اليوم التالي؛ لذلك بادرت بأن قالت وهي  
ترفع رأسها وتنظر ناحية إكليل:

- تعال إلى هنا.

هبط إكليل بجناحيه إلى الأرض ورفع رأسه ينظر إليها:

- هل فهمت المعهنة التي كنت قد طلبتها منك؟

- نعم؛ سوف أحلق عاليًا ولن أفت الانظار إلى

- لا تعدد إلا ولديك معلومة أكيدة، فكل شيء قادم سوف يعتمد على المعلومة التي ستخبرني بها.

اخفض إكليل رأسه في علامة على الطاعة وحلق من هناك مبتعداً بينما التفتت كويرا أنف الجن إلى البقية وقالت وهي تزحف بجلسها الضخم نحو القلعة:

- اتبعوني من فضلكم ..

\*\*

سار الجميع خلفها فيما استقر الحكيم فوق كتف عاصف جالساً بطريقة معكوسه وكأنه بذلك كان يحرس ظهره، قال وهو ينظر ناحية نورس:

- أنت أيتها الصغيرة ..

نظرت نورس إليه ببراءة فقال:

- ألسنت ذات الفتاة التي طعنت عاصف في صدره بعد انتهاء

الحرب<sup>١٩</sup>؟

لم تُجب عليه واكتفت بأن هزت رأسها بعلامة نعم، فقال:

- أنا هنا لمراقبتك أيتها السوسة.

- إذا عاصف استأجر فاراً لحمايته من الأعداء؟

ارتفع حاجبا الحكيم وكأنه يتعجب من طول لسانها؛ لكن ذلك

لم يمنعه من الرد:

- أنا لست فاراً؛ بل أسد سخط إلى فار.

- لا يهم فار أو أسد النتيجة واحدة؛ كلامكما حيوان.

ظل صامتاً لبرهة لم يعرف ماذا يقول ثم استدار معطيا إياها ظهره

وهيئ ببرة خافية:

- بعد أن ننتهي من كل هذا؛ سأقطع لسان هذه الفتاة يا عاصف.

---

١٩ الحكيم هنا يتحدث عن حادث أليم في رواية التبجيل عندما قاتلت نورس بعد انتهاء الحرب بين مالك الأرض الملوية والشبلية، بالاقتراب من عاصف مستقلة حزنه على موت سرالي وقاتلت بطنه غلزاً في صدره.

ارتسمت على وجه عاصف ابتسامة خفيفة وهو يواصل السير حاملاً  
كوبيراً أفعى الجن تاراً، لم يكن واضحاً إن كانت ابتسامته تعود إلى إعجابه  
بما قاله الحكيم، أم بسرعة بدبيه تلك الفتاة الصغيرة والتي تذكره على  
نحو غريب بنفسه عندما كان بنفس عمرها.

\*\*

ما إن وصل الجميع عند باب القاعة أخيراً حتى التفت أساطير إلى  
الوراء وقال آمراً:

- نورس، ريحانة، ابقيا هنا من فضلكما حتى ننتهي.

نورس بنيرة معترضة:

- ولكن لماذا !!

لم يجبها أساطير ودخل إلى القاعة،  
هنا نظر الحكيم إليها وقد رأى بأن لحظة الانتقام جاءت أسرع مما كان  
يظن، فقال وهو ينظر إليها:

- بكل بساطة؛ لأن الصغار لا يُسمح لهم بالدخول يا عزيزتي.

طلبت كوبيراً أفعى الجن من عاصف أن يدخل، ثم بشكل غير متوقع  
نظرت ناحية الحكيم والشمالي وطلبت منها البقاء في الخارج مع نورس  
وريحانة، انصدم الحكيم من ذلك الطلب وقد بدا الاعتراض واضحاً عليه  
وهو يسأل:

- ولكن لماذا !!

كانت صدمته كبيرة وهو يشاهد تارا تتجاهله بينما باب القاعة يُغلق  
تلفائياً بوجهه، ولكن صدمته كانت أكبر عندما نظر أمامه فشاهد نورس  
تحدق إليه وتقول بنبرة ساخرة:  
- يبدو بأن الحيوانات لا يُسمح لها بالدخول أيضاً يا عزيزي.



## داخل قاعة الأباطرة

في منتصف القاعة كانت هنالك طاولة مربعة منخفضة من حجر  
رمادي مصقول تحيط بها مقاعد أرضية من وسائل جلدية داكنة،  
استقرت تارا أولاً ثم جلس أساطير مقابلأ لها، أما عاصف فظل  
واقفاً للحظة يتأمل نقشاً صغيراً على الحائط بدا كأنه قد كُتب في  
الماضي ييد طفلة، كان الخط متعرجاً غير متوازن لكن الكلمات  
كانت واضحة:

"جومانا تحب واللها جبار، ووالدتها ناج"

ظل عاصف واقفاً يتأمل تلك الكلمات المكتوبة بيد والدته حين كانت طفلة، حتى قاطعه صوت كobra أفعى الجن المادي منتسلًا إياه من تلك اللحظة:

- اجلس يا عاصف.

ثني عاصف ركبتيه وهو يجلس إلى جوارها وقد بدا عليه واضحاً للوهلة الأولى أنه غير مرتاح للجلوس في المساحة ذاتها التي يجلس فيها أساطير، لم يكن بوسع كobra أفعى الجن أن تتجاهل ذلك السلوك فرمقته بنظرة عميقة وهي تقول:

- حتى إن كنت لا تستطيع أن تخلع عنك مشاعرك السيئة؛ فأريدك أن تضع بعين الاعتبار أن أساطير يكون خالك يا عاصف، وله عليك حق القرابة.

لم يتأثر عاصف بتلك الحقيقة، وكان ذلك الخبر وحده لم يكن كافياً لأن يمحو أثر الكراهةية المتتجذرة في قلبه تجاه ذلك الرجل، ظل صامتاً للحظات عيناه لا تعكسان سوى برود حذر ثم نطق بسؤال واحد كان كفيلاً أن يُحدث الفرق لو أن إجابته جاءت كما كان يأمل:

- أكان يعلم أنني ابن أخيه قبل أن يحاول قتل الشمالي وقتلي في

الحرب؟

حاولت الكويرا التخفيف من حدة الموقف عبر إلقاءها إجابة مرضية،  
غير أن أساطير قطع عليها المحاولة وسبقها قائلًا بنبرة تصادمية:

- نعم كنت أعلم.

حدق فيه عاصف بحدة وقد شعر بكراهية مضاعفة نحوه؛ فلو أن  
أساطير لم يكن يعرف لكان في الأمر بعض العزاء، لكن أن يقاتلها وهو  
يعلم صلة القرابة بينهما فذلك شيء لا يُغتفر.

تابع أساطير كلامه:

- اسمك يا عاصف كان من أكثر الأسماء بروزاً في صفوف الأعداء  
ولذلك كان علىي أن أبحث عنك قبل الاشتباك معك؛ لأعرف من هو  
خصمي ومن قد يطالبني بدمه إن قتله .. ومن خلال هذا البحث عرفت  
من تكون.

أدأر عاصف وجهه ناحية الكويرا وقال بصوت مكتوم:

- عن أي صلة قرابة تتحدثين، وما هو يعترف بأنه كان يعلم  
من أكون بالنسبة إليه ومع ذلك لم يوفر جهداً في محاولة قتلي وقتل  
الشمالي؟

لم تعرف تارا كيف تجبيه، ولكن أساطير وفر عليها عناء التفكير  
بالإجابة:

- لا تنسَ بأننا كنا في ساحة حرب؛ حيث لا مكان فيها للمشاعر،  
فهناك إما أن أقتلك أو تقتلني .. وقد اقتضت المصلحة يومها أن أقتلنك،  
أما اليوم فالمصلحة تقضي أن نعمل معًا حتى لا نُقتل معًا.

ظل عاصف صامتاً للحظة وعيناه على الأرض ثم هزَ رأسه بهدوء  
وكانه استوعب الموقف أو اختار تجاوزه مؤقتاً .. رفع بعد ذلك بصره  
إلى الكويرا وقال:

- أخبرينا ما هو الوضع الآن، وما الخطة التي لديك للمقاومة.

\*\*

## الموافقة

قالت تارا تستهل كلامها:

- الخطة تبدأ من خلال سؤال منطقي واحد لابد أنه خطر ببال  
بعضكم وهو: لماذا رغم أن حكم الزمهرير شمل جميع نسل جبار الأباطرة  
إلا أنه استثنى منه جومانا؟ ..

ثم أردفت تارا دون أن تنتظر جواباً من أحد:

- الجواب هو لأنها محمية بحصانة العرش؛ فأصحاب العروش  
محصنون ضد أحكام الزمهرير.

سأل عاصف:

- أقصدين لأنهم يمتلكون جيوشاً للمقاومة؟  
- لا؛ فحتى جيوش الملوك قد تساقط كالورق أمام قوة تلك العائلة،  
ولكن السبب هو أنه حين اجتمع ملوك الأرض السبعة قبل قرون وأجمعوا  
كلمتهم على تسليم عائلة الزمهرير سلطة الحفاظ على توازنات الأرض  
اشترطوا عليهم: أن تظل العائلات الملكية بمنأى عن الأحكام التي قد  
يطلقونها في المستقبل.

قال أساطير وقد فهم المطلوب:

- إذا لمقاومة الزمهرير ليس أمامنا إلا الحصول على أحد العروش؛  
فنجحي أنفسنا منهم بحصانة العرش.  
- نعم؛ ولدينا عرش محدد يا أساطير وأنت تعرفه جيداً.

بنيرة متعددة سألهما:

- تقصدين الحصول على عرش مملكة أبابيل ؟

- ليس الحصول، بل استعادة ما كان لنا - ثم نظرت إليهما بجدية

مطلقة وقالت:

- لقد انقلبت موازين اللعبة؛ فالعرش الآن لم يعد إرثاً قدیماً تریدان استعادته لأنه كان يخص أجدادكم في الماضي، بل أصبح الآن هو السبيل الوحيدة لمواصلة الحياة .. فإن أردتم النجاة وحقن الدماء، وإنقاذ من حولكم من أحباب وأصدقاء فعليكم أن تعملوا معًا من أجل استعادة عرش الأباطرة.

تبادل عاصف وأساطير النظارات للحظة، لم يكن صمتهمما ذاك يعني التردد بل يعني الموافقة، ولكنها الموافقة التي لا تُنطق لأنها لا تأتي بالاختيار إنما بسلطة الأمر الواقع .. لقد وجد الاثنان نفسهما الآن في مغامرة لم يرغبا بالدخول فيها؛ ف العاصف لا يرغب في العرش، وأساطير لطالما ابعد عنه طوعاً، لكن إن كان ذلك هو الحل الوحيد فإنهما لن يتراجعوا؛ سيفعل العاصف ذلك من أجل أمه جومانا .. أما أساطير فإنه سيفعل ذلك من أجل نورس؛ إنها لعنة التقدم في العمر؛ فكلما كبر المرء صار يتخذ قراراته الكُبرى لا من أجل نفسه بل من أجل من يحبهم.

نطق الاثنان بكلمة واحدة، خرجت منها في الوقت نفسه دون اتفاق

مبين:

- موافق.

وهنا قالت كobra أفعى الجن:

- طالما أنكم وافقتما على خوض هذه المعركة فاعتقد أنه لا حاجة  
لجعل الآخرين يتظرون في الخارج أكثر.

وما إن أتمت جملتها حتى انبعث صرير خافت من جهة الباب قبل أن  
ينفرج الباب من تلقاء نفسه ويُفتح؛ فقد صُمم كل شيء في تلك القلعة  
بتعاوين تجعل الأشياء تستجيب من تلقاء نفسها لأوامر من يمتلكون  
الصلاحية.

- ليدخل الجميع.



## خطة للمقاومة

جلس الجميع حول الطاولة الحجرية بينما انصبت نظراتهم نحو الشمالي الذي قال يشرح الخطة .. الخطة التي سبق وأن ناقشها مع كوبيرا أفعى الجن وأخذ الإذن منها قبل أن يستعد لقولها أمام الجميع:

- ستنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يتوجه نحو سلسلة الجبال المحرمة، وهناك وبالتعاون مع الأميرة آشاس يبدأ هذا القسم باستدعاء القبائل الموالية وتجهيز الجيش الذي سينحارب به طاغين .. الأشخاص الذين سوف يُنفذون هذه المهمة هم تارا وريحانة.

ثم تمهل الشمالي قليلاً حتى يسمع بالتدخل إن كان لدى أحد من الحاضرين شيء ليقوله، ولما لم يتدخل أحد باعتراض أو افتراخ فإن الشمالي التفت نحو ناراً وطلب منها:

- أخبريهم بما نقلته إليك، ثم سانتقل إلى القسم الثاني من الخطة.  
قالت كobra أفعى الجن تخبرهم بحدود علمها فيما يخص التعويذة التي ألقتها في الماضي:

- أنا أعلم كيف تعمل تعويذة نصف البرزخ .. إنها تُعزز الجسد بروح أخرى، بحيث إذا مات الجسد يُمكّنه - ووفق طقوس معقدة - أن يعود إلى الحياة بواسطة الروح البديلة .. ولكن وبعد تفعيل التعويذة واستخدام الروح البديلة لا أعلم ما الذي يحدث للذاكرة .. لا أعرف إن كانت تعود كما كانت أم أنها تُمحى أو تُشوه - ثم أضافت تخبرهم بالأدوات التي يملكونها على أرض الواقع:

- لدينا شخص داخل قصر مملكة أبابيل .. شخص لا أحد يعرف عن وجوده، إنه من الحاشية الملكية، آخر فرد ما يزال يحمل في قلبه ولاه خالصاً لعائلة الأباطرة، يتخفي بين رجال طاغين ويؤدي له واجبات الطاعة كأي تابع مخلص، لكن كل ما يراه أو يسمعه هناك ينقله إلينا ..

وواصلت تارا تقول:

- وقد نقل إلينا هذا الشخص مؤخراً خبراً شديد الأهمية وهو أن جومانا لا تذكر شيئاً عن ماضيها بالفعل .. ولكنه حتى هذه اللحظة لا يعرف ما إذا كانت ذاكرتها قد مُسحت بسبب التعويذة، أم أن طاغين قام بمسحها عمداً وإيهامها بأنها زوجته.

عند هذا القدر توقفت تارا عن الكلام،

بينما التفت الرؤوس نحو الشمالي الذي واصل قائلاً:

- وهنا يأتي دور القسم الثاني من الخطة .. سوف يتسلل فريق إلى قصر المملكة دون أن يشعر به أحد، هذا الفريق لن تكون مهمته القتال بل إحياء الذاكرة .. يجب أن نصل إلى جومانا قبل أن تندلع الحرب يجب أن نجعلها تذكر أو على أقل تقدير أن تُزعزع يقينها في الحياة الزائفة التي تعيشها .. هذه المهمة بالذات سوف تكون مفتاح الحرب أو الهزيمة لأننا لن نستطيع بأي حال من الأحوال خوض حرب مفتوحة ضد طاغين بينما جومانا لا تزال متحجزة لديه، هذه المهمة سوف أتولاها أنا ويرافقني فيها الحكيم ونورس وطائر العنقاء إكليل.

لم يكن الشمالي هذه المرة بحاجة لأن يمنحهم لحظة صمت حتى يرى إن كان هنالك من يرغب في التداخل معه؛ حيث استدار أساطير نحوه وقال بحدة وصرامة:

- نورس !؟ .. هذا مستحيل، لن أسمع لها بالمشاركة !!

قالت ثارا:

- أنا وافقت على مشاركتها في الخطبة.

- أنتِ العقل المدبر للمقاومة، ومسموح لكِ أن تقرري أي شيء بشأن الخطبة، لو قلتِ أساطير يقفز إلى النار، فسأفعل ذلك دون تردد، ولكن لا أحد مسموح له أن يقرر شيئاً يخص نورس غيري.

تدخلت نورس قائلة وهي تنظر إليه:

- ثق بي؛ سأكون بخير.

- لا؛ فأنتِ ما تزالين صغيرة !!

انفجر الحكيم بصوت غاضب:

- كانت معك في الحرب الأخيرة يا رجل وقد طعنت عاصف بصدره، فهل هذه الفتاة كبيرة بما يكفي للقتال في المعارك الْكُبُرِي وصغيرة على أن التسلل خلسة إلى القصر !!؟

- نورس أقحمت نفسها يومذاك في المطر دون إذني، أما الآن فلن اسمع بتكرار ما حدث - ثم قال بصوت أعلى: إن كنتم تُصرون على ذلك؟ فأنا أعلن انسحابي الآن ..

وكاد أن ينسحب بالفعل لولا عاصف الذي تذكر تلك اللحظة ابنته التي فقدتها قبل سنوات، قال متفهماً القلق الذي يشعر به أساطير تجاه ابنته:

- إنها كل ما تملك يا أساطير أليس كذلك؟

- نعم؛ إنها كل ما أملك.

- ونحن نُضحي أيضاً بكل ما نملك لأجل احتواء هذه الأزمة، أعلم بأنك قلق عليها، ولكنني أؤكد لك بأن الحكيم والشمالي وإكليل سيضعون أعناقهم دونها فيهلكوا جميعاً قبل أن يُصيبيها جرح بسيط أو مکروه عابر.

كان الشمالي يستطيع استبعاد نورس من الخطة؛ لكنه يعرف أنها ابنة عاصف؛ فقد كان هو الشخص الوحيد الذي أخبرته تارا بالحقيقة، وهذا ما جعله يقترح إدخالها ضمن الفريق؛ فربما يكون لحضورها هناك أثره المخفي على جومانا .. الآخر الذي ربما لا يفسره منطق أو عقل؛ فجومانا وإن لم تعرف أن نورس حفيتها إلا أن الأرواح قد تشعر بما لا تدركه الأذهان أحياناً .. نظرة واحدة من نورس إليها ربما تكون قادرة على فعل ما لا يستطيع ألف خطاب أن يفعله.

مرّ وقت طويل نسبياً وأساطير ما يزال متداولاً ما بين المواصلة والانسحاب، حتى فرّ أخيراً أن عليه استخدام عقله وعدم اقحام مشاعره في هذه المسألة:

- خذوها معكم، ولكن ردوها إلىَّ.

هنا قفز الحكيم وقد وضع يده على صدره:

- لا عليك، سردها إليك سواء قطعة واحدة، أو كانت قطعتين،  
المهم هو أن نردها إليك.

تدخلت ريحانة وهي تنظر إلى الحكيم وتقول:

- إنني أملك موهبة معرفة الأشخاص، وأستطيع أن أنظر إلى قلبك  
وأعلم بأننا نستطيع الاعتماد عليك.

ارتجم الحكيم للحظة قبل أن يقول متأثراً بالثقة الممنوعة:

- أعدك بروحي يا أخت أيوب أن أحافظ عليها، وأن أي خطر  
سيواجهها ساضع إكليل بدلاً عنها.

- انتبه إليها جيداً - قال أساطير - فإنها غبية ومتهورة.

- لا عليك فنحن نمتلك الخبرة الكافية بالتعامل مع مثل هؤلاء  
الأشخاص - وأضاف وهو ينظر نحو عاصف: فهنا لك صاحبٌ لنا  
أحق بمثل هذه المواصفات تماماً.

\*\*

وبعد أن اتفق الجميع على تلك المهمة - مهمة التسلل إلى القصر - حانت اللحظة ليتقلوا إلى القسم الثالث والأخير من خطة المقاومة، فنظر الشمالي نحو أساطير عاصف وقال وهو ينظر إليهما بعمق وكأنه يريد أن يقيس أثر كلماته عليهما:

- سوف تذهبان معاً إلى مملكة الجن والإن.

العاصف بدهشة:

- وما هو المغزى من ذلك؟

- لتطلبنا منهم الانضمام إلينا في حربنا ضد طاغين.

- ولماذا تعتقد أنهم قد يلبون الطلب، ويوافقوا على الانضمام؟

- لقد انتصر عليهم طاغين في الحرب الماضية ولا بد أن لديهم ثاراً يربّدون تحصيله.

لم يعجب ذلك التبرير عاصف الذي قال:

- هذا ليس سبباً كافياً؛ فالثار قد يأخذوه في الزمن والمكان الذي يختارونه لاحقاً - وأضاف كمن يحشر خصماً في زاوية ضيقه:

- فاما أن لديك شيئاً آخر لم تطلعنا عليه بعد أو أنك لم تحسن تقدير هذه المهمة.

الحكيم متدخلاً:

- يؤسفني أن أقول بأن عاصف خيّب ظني، وقال شيئاً عاقلاً.

اخذت تارا نفسا عميقا قبل أن تقول:

- أخبرهم بما تفكر فيه أيها الشمالي.

انصبت أنظار الجميع نحو الشمالي الذي أخبرهم بما يفكر فيه:

- أنا .. أعتقد .. بأن .. سرالي .. ليست .. ميتة ..

\*\*

لم ينبع عاصف بكلمة ولكن عينيه اتسعا وكأنهما تبحثان عن تفسير يبرر تلك الكلمات بينما هز الحكيم رأسه في استنكار وذهول وهو يقول:

- هل أصبح الأموات مؤخراً يعودون إلى الحياة بشكل تلقائي؟! ..  
مرة تعود جومانا والآن سرالي لم يعد ينقضنا إلا أن يقول أحد بأن تاج قد عادت إلى الحياة أيضاً !!

الشمالي:

- أما جومانا ابنة جبار فلها مسألة مختلفة، لقد أبعدت إلى الحياة بتعويذة محددة، نعرف من ألقاها وتحت أي ظرف تم إلقاؤها عليها، لكن سرالي لها وضع مختلف.

الحكيم:

- ماذا تقصد بوضع مختلف؟ .. هل عادت بالواسطة؟

- لا، ولكنني أعتقد بأنها لم تمت أصلاً !!

- أأنت أحوال أم لديك إعاقه سمعية؟! .. ألم تكن مشاركاً معنا في رب عندما أعلن جيش مملكة الجن والبن خبر موتها؟! .. ألم نسمعهم بما صرخوا فجأة بصوت واحد "ماتت الملكة" ألم تكن هناك حين لدوا جثمانها وانسحبوا به؟!

- سمعت، ولكنني لم أتحقق من هوية الجثمان بنفسى؛ فربما يكونوا قد حملوا جثة شخص آخر وأذعوا أنها جثة سراي.

الحكيم منفعلأ:

- في المرة القادمة سنطلب منهم إرسال الجنامين إليك، جثماناً جثماناً لتأكد من هويات المقتولين قبل أن يعلنوا عنها.

نورس متدخلة: لماذا أنت غاضب كل هذا القدر أيها الحكيم؟!

- لأن ما يقوله الرجل الكنعد غير معقول - ثم صمت فجأة وقال بطريقة هجومية بعد أن اتبه:

- وما دخلك أنت؟

هنا كثُر فرخ التنين رعد عن أنيابه وهو ينظر للحكيم الذي التفت إليه وهو يقول:

- لم يكن ينقصنا إلا هذه السحلية !!

كاد أساطير أن يضحك ولكنه استطاع أن يمنع نفسه:

- أهنا يا رعد - قالت نورس وهي تحتويه - لكي لا يعضك هنا الفار فنصاب بالجرب.

كاد الشجار أن ينشب بين الحكيم ونورس لو لا أن مدت ريحانة  
يدها لتمسك بالحكيم وتضعه فوق كتفها في تصرف أشيه بتصرف  
الأخت الكبرى عندما تحتوي أخيتها قبل أن ينشب الشجار بينهما،  
ثم قالت وهي تنظر للشمالي:

- وإذا افترضنا أنك محق في فرضيتك أيها الشمالي .. وأن سرافي  
كما تقول لم تمت .. فكيف تفسر إعلان جيش مملكة الجن والبن  
موتها؟

- أظن أنها خطة انسحاب يا ريحانة - قال الشمالي - خطة  
انسحاب تحفظ للجيش ماء الوجه بعد الهزيمة التي كانت في طريقها  
إليهم ..

كان كلامه مقنعاً، ولكنهم كانوا ما يزالون غير قادرين على تصديقه،  
ما حدا بكوبيرا أفعى الجن تارا لأن تشارك في دعم فرضية الشمالي، فتقول  
معزة رأيه:

- سرافي لم تكن محاربة عادية أيها السادة .. إنها واحدة من أقوى  
ساحرات الأرض السفلية .. فكيف تموت فجأة؟ .. كيف تموت  
دون قتال، دون خصم معروف .. ودون أن يرى أحد سقوطها

كان عاصف صامتا طوال الوقت،

مئات من الأفكار والأسئلة تطن برأسه كطنين النحل، الحكيم وهو

نظر ناحية الشمالي:

- لا يوجد احتمال أن تكون فرضيتك خاطئة، وأن تكون سرافي ميتة،  
نقوم بعرض عاصف وأساطير إلى خطر التوажд في الأرض السفلية دون  
سبب وجيه؟

وفي الوقت الذي كان فيه كل فرد منهم يتمنى أن يسمع من الشمالي  
ما يوحى له بمدى ثقته بالفرضية التي طرحها، إلا أنه قال:

- نعم، هنالك احتمال أن أكون مخطئا، وتكون سرافي ماتت بالفعل.

الحكيم وهو يشد فروة رأسه:

- وماذا سوف يفعلان حينها يا عبقرى زمانك !!؟

- سوف يتصرفان للخروج من المأزق مثلما سأتصرف أنا وأنت  
وإكليل ونورس في حال فشلت خطتنا.

- لحظة !! .. وهل خطة التسلل إلى القصر معرضة للفشل؟!

- بالطبع؛ فنحن لا نعلم ما الذي قد يصادفنا هناك ولم نحسب  
حسابه.

أطرق الحكم يفكر قليلاً قبل أن يقول:

- من الجيد أنك أخبرتني؛ لأنني البطل الأسود.

نورس:

- ولماذا بنطال أسود؟

قال الحكم مسارعاً قبل أن يفصحه أحد:

- إنه لباس الحرب يا صغيرة؛ فكل الأعداء يعرفونني بالحكم الشرس ذي البنطال الأسود.

لم تقنع نورس برأجاته ولكنها سكتت بينما قال الشمالي:

- كان هذا كل ما عندي لأقوله يا نارا.

قالت كويرا أفعى الجن وهي توزع نظرها على الجميع:

- هل لدى أحدكم سؤال قبل أن ننتقل للمرة الأخيرة؟

فجأة رفعت يد صغيرة في الهواء، كانت يد نورس التي قالت:

- أنا عندي سؤال لك يا سيدة أفعى

- تفضيلي

- ما هي المهمة التي سيتولاها رعد؟ فلا أراه مدرجاً بأي مجموعة

من المجموعات الثلاث ١١

قال الحكيم وقد فاض به الكيل:

- ليفهمها أحدكم بأننا لا نخطط للذهاب إلى نرفة !!

ابتسم بعضهم وضحك آخرون، لكن واحداً فقط كان ينظر إليها  
؛ يضحك، لقد كان أساطير الذي ظل يراقبها بإعجاب شديد وحب  
نقطع النظر.

عادت نورس تكرر سؤالها:

- ما هي مهمة رعد يا سيدة أفعى؟!

وعندها لم تجد تارا إجابة مناسبة فإنها التفت نحو الشمالي:

- أجب عليها، وأخبرها عن مهمة رعد

أدرك الشمالي في تلك اللحظة أن التزامهم بتنفيذ الوعيد الذي قطعوه  
لأساطير قد بدأ منذ هذه اللحظة؛ فالاعتناء بها لا يعني فقط حمايتها  
من الخطر الذي قد يهدد حياتها، بل يمتد ذلك حتى يشمل سلامة  
مُشارعها:

- تعلمين أن مهمة القصر ستكون خطيرة يا نورس أليس كذلك؟

هزت رأسها بالإيجاب، فأكمل:

- ولا أظنك تريدين أن تعرضي حياة رعد للخطر؟

معك حق، ولكن أين سيمكون إذا أثنا، فإذا في هذه ؟  
-- عندما دخلتم القلعة لاحظت أنه كان يستقر فوق دفني (هما)هـ.  
البيس كذلك.

- نعم صحيح.  
- إذا هل تظنن بأنها قادرة على الاعتناء به ؟  
- نعم إنه يُحبها ويرتاح إليها.  
- إذا سوف تكون مهمة رعد هي الذهاب مع ريحانة وتارا نحو  
سلسلة الجبال المحرمة والبقاء هناك من أجل مساعدتهم في إقناع  
القبائل بالانضمام إلى جيشنا في حربنا ضد طاغين  
موافقة - قالت وهي سعيدة - فرعد لديه قدرة رائعة على التفاوض  
والإقناع !!

الحكيم مويداً:

- أنا واثق من أنّ لدّيه قدرة رائعة على الإقناع.  
نورس وهي غير مصدقة ذلك الكلام الذي تسمعه من الحكيم:  
- أتظن ذلك فعلاً

- نعم، وإلا لما كان استطاع أن يقنعكم أنه تنين وهو ليس إلا سحلية  
معوقة.

و قبل أن ينشب بينهما الشجار المعتاد، سمع الجميع أصوات رفرفة  
جنحة تقترب من عمق القلعة، تلا ذلك مشهد طائر العنقاء إكليل وهو  
دخل عليهم القاعة ويهبط إلى فوق الطاولة الحجرية وعيناه مثبتان نحو  
كويرا أفعى الجن ويقول:

– لقد فعلتُ كما أمرت يا سيدة تارا.  
– أخبرني إذا، وكن دقيقاً في وصفك، فكل ما هو قادم يعتمد على  
ما ستقوله.

\*\*

وبعد أن انتهى إكليل من إخبارها بكل ما شاهد ورصد تحولت  
كويرا أفعى الجن إلى هيئة بشرية – وقد اختارت أن تكمل مشوارها القادمة  
وهي بتلك الصورة لسهولة الحركة، بالإضافة إلى أن بقاءها على هيئةها  
الضخمة كافية كويرا جن لا بد أن يلفت الأنظار إليها، وهو ما لا تريده  
في المرحلة القادمة – سارت تارا نحو أحد الموانط وما إن اقتربت منه  
حتى انشقت أحجاره كاشفةً عن درج سري يحوي بجوفه مجموعة من  
الخرائط الملغوفة ..

لم تكن نارا مضطرة للتفتيش بين الخرائط؛ إذ تحركت ورفتان ملفوقتان من تلقاء نفسها وقفزتا نحوها مدفوعتين بقوة السحر التي بُني عليها كل شيء في القلعة، فمدّت يدها والتقطهما، ثم عادت إلى الطاولة الحجرية ونشرت الخريطة الأولى فوق الطاولة وهي تقول للشمالي: "عند هذه الهضبة تجد باب السردار" ثم قلبت الخريطة وأخذت تُحدّد عليها بعض النقاط بعناية، وكان العلامات التي ترسمها الآن كانت مستمدّة من المعلومات التي حصلت عليها قبل قليل من وصف طائر العنقاء، وحين فرغت من ذلك، دفعت الخريطة إلى الشمالي، فائلة وهي تشير إلى نقطة محددة فيها:

- سياخذكم السردار إلى هنا - ثم وهي تشير لنقطة أخرى: وهنا تجد الفتاحة التي ستقودكم إلى الحجرة.

الشمالي وهو يطوي الورقة ويمسكها بيده ويتمّم:

- مفهوم.

ثم مدّت نارا الخريطة الأخرى فوق الطاولة، وأخذت تُوضّح المسارات، وكيفية التحرك وفقاً للخطة حتى يصل كل فريق إلى وجهته وينفذ المهمة المطلوبة منه.

مع حلول المساء وقفت تارا عند بوابة القلعة الخارجية وأخذت  
إقب الفريقين حتى غادرا أرض الغابة المظلمة، كانت عيناهَا تلمعان  
مزيج غامض ما بين القلق والأمل، فيما انساب صوتها بهمسٍ  
بافى:

– رافقكم السلامه.

كان الهواء ساكناً والبوابة خلفها – بوابة القلعة – قد أغلقت، بينما  
ريحانة تقف إلى جوارها وعلى كفيها يستقر فrex التنين .. استدارت  
تارا وقالت:

– هيا بنا ..

– أي طريق سوف نسلك ؟

مدت تارا يدها بثقة وهي تُرْدِف قائلة: امسكي يدي ..  
ما إن تلامست اليدين حتى تَموج الهواء حولهما كأن شرحاً خفياً  
انفتح، تلا ذلك ضوء خاطف .. ثم دوامة لحظية .. اختفت معها تارا  
وريحانة وفرخ التنين رعد.



.. المهمة الأولى ..

تارا، ريحانة، فرخ التلدين رعد

فتحت ريحانة عينيها بعد لحظات .. كانت الريح الباردة تضرب وجهها، والضباب يلتف حول ساقيها وهي تقف فوق قمة شاهقة وتحتها نمت سلسلة الجبال المحرمة .. تلك الدهشة لم تستمر طويلاً حيث قالت لها تارا:

- اتبعني نحو الكهف؛ فخلفه تنهض مدينة الأشواوس.

على فوهة الكهف كان هنالك أربعة فناطير ضخام يعكعون على  
الخراسة، ما إن شاهدوا المرأة السوداء نقترب ولمعوا ببابريها الطوليين  
ولا حظوا تمواجات حراشفها من خلال جلدتها حتى عرفوا أنها نار؛ فاحتوا  
لها رؤوسهم في احترام، وأفسحوا لها ولمن معها الطريق .. دخلت نارا  
فوهة الكهف وخلفها ريحانة، ولكن ما إن خطتنا فيه بضع خطوات حتى  
لمحت ريحانة التي كانت تسير خلفها - لمحت من زاوية عينها - أحد  
الحراس الأربعة وهو يستعد لفعل شيء ما .. ثم فجأة ومن دون إنذار،  
انقض ذلك الحارس على نارا بضربة من الفأس الكبير الذي كان يحمله  
مستهليقاً المنطقة المخلفية من رأسها ..

- نارا

صرخت ريحانة بكل قوتها وهي تُخرج سيفها وتعتربض الضربة  
لتحبدها عن هدفها وتجعل نصل الفأس الضخم يرتطم بالحائط  
الحجري للمر، سقط فرخ التبن رعد من فوق كتفها وتدحرج على  
الأرض .. انقض الفناطير الثلاثة الآخرون نحو نارا دفعة واحدة وكأنهم  
تلقو أمراً بقتلها مهما حدث .. حاولت ريحانة التصدي لهم، ولكن  
كثيراً أفعى الجن نارا اعترضتها قاتلة:

- دعيهم ..

ثم ضربت الأرض بطن قدمها ضربة واحدة فانبعثت هالة حية،  
سقطت القناطير الأربع كلُّ في مكانه أرضاً وفي اللحظة ذاتها سقط  
بعض غامض كان يستقر فوق قمة جبل بعيدة تطل على فوهة الكهف،  
لأنَّ أحدَ يعلم من كان، ولا لماذا كان هناك ..

انحنى ريحانة على رعد لطمئن عليه ثم حملته بين ذراعيها وهي  
تسأله بلهفة:  
- أَصْبَتْ بِأَذْيٍ؟  
نظر إليها فرخ التنين بنظر ممتنع؛ فأدركت أنه بخير، ثم التفت إلى  
تارا وسألتها:

- هل نحن ن تعرض لخيانة من الأميرة آشاس؟  
الحقيقة التي لم تخبر تارا بها أحداً هو أن الأميرة آشاس لم تكن ترغب  
في إنقاذ عاصف من البداية، فحين ذهبت إليها تارا لتطلب مساعدتها  
في إنقاذه من منصة الاعدام، قالت لها الأميرة آشاس بصوت حاد  
وكأنها اتخذت قراراً لا رجعة فيه:

- لن أُعَرِّضْ قبيلتي للخطر يا تارا.

لم تتفاجأ نارا كثيرا؟ فقد توقيت شيئاً كهذا ولذلك دان دلامها حاضراً:

- لم يكن طاغين ليتوقف عن محاولة سحقكم أيتها الأميرة آشاس والاستيلاء على جبالكم لو لا وساطة بحر وأيوب في الماضي .

وهنا قاطعتها الأميرة، وقد بدا في عينيها ضيق قدام:

- وقد سُدّدت ما لوالده "بحر" من ذمٍ حين عرّضت قبيلتي للخطر أكثر من مره لأجل إنقاذه .. ولكن هذا العاصف مشاكله لا تنتهي، إنه متهم يا نارا ولن يتوقف عن إلقاء نفسه في التهلكة قبل أن يقضي على كل من يقف معه !!

ربما لو كان أمير نارا وقت إصطيان لكان ستفكر بحل آخر، ولكن الوقت يوشك أن ينفد وليس أمامها حل إلا أن تستعين بالأمير آشاس وقبيلتها؛ لذا قالت بهدوء مدروس وهي تطرح هذه الصفقة:

- ما رأيك في أن تحولني من قبيلة متمردة، إلى مملكة شرعية !؟ .. أليس هذا ما تطمحين إليه منذ زمن، أيتها الأميرة ؟

تغيرت نظرة آشاس وهي تتساءل:

- وكيف سيحدث هذا ؟

---

٢٠ يذكر في رواية أميريل أن بحر وأيوب هما من قبائل الملك طاغين بالتوقف عن محاولة الاستيلاء على لرض الآشاس، ومنذ ذلك الحين وفيلا الآشاس تحصل هنا المعرفة بسر وأيوب.

في تلك الأثناء كانت تارا تعلم بأن خبر عودة جومانا إلى الحياة سيصل إلى عائلة الزمہر عاجلاً أم آجلاً، وتعلم مسبقاً بأنهم سوف يحكمون على عائلة الأباطرة بالفناء؛ فهذه طريقتهم في إلقاء الأحكام منذ عقود؛ إنهم لا يكتفون بعقاب الشخص بل بالحكم على جميع أفراد سلالته بالفناء حتى يضمنوا اجتثاث الشر من جذوره .. وكانت تعلم أن السبيل الوحيدة لمقاومة حكمهم تكمن في استعادة العرش؛ وهذا ما جعلها تقول:

- سوف تتحرك الأباطرة من أجل استعادة العرش، وإذا عاد إليهم فإني أقسم لك بقبر سيدتي جبار أن أفعل كل ما يلزم، لأضمن لك ولأفراد قبيلتك استقلالية شرعية أبدية، ولكن هذا لن يحدث إلا إذا تم إنقاذ عاصف اليوم من منصة الإعدام.

وهكذا تم عقد الصفقة، تُقاتل آشاس حتى النهاية، في مقابل الحلم الذي طالما راودها: أن تكون مملكة مستقلة ذات سيادة شرعية.

ولكن ما حدث الآن - من هجوم أولئك القناطير الأربع - على تارا عند فوهة الكهف يضع العقل في الكف .. هل عقدت الأميرة آشاس اتفاقاً مع طرف آخر فأمرت مقاتليها بتصرفية تارا، أم أن هنالك شيئاً آخر !! ..

- اتبعوني يا زريانة، لنعرف الإجابة بأنفسنا ..

## الممر

كان الممر مضاءً بواسطة فوانيس مثبتة على الجدران تبعث إضاءة من لهب واهن، فيما حُفرت على جدرانه نقوش منحوتة تجسد قوة الأشواوس وهبيتهم؛ تقدمت الاشتان عبر الممر بصمت قطعته تارا بعد لحظات قائلة:

- ذلك القنطرور الذي اعترضتْ فأسه يا ريحانة ..

- ما به ؟

- كان يفوقكِ قوة وحجمًا. وكان من الممكن أن يكسر سيفك بفأسه ويقتلك، ورغم ذلك لم تترددي لحظة في حمايتي منه.

- هنالك حكمة تعلمتها من والدي.

- ما هي ؟

- الفتاة السمراء لا تترك أصدقاءها.

ابتسمت تارا عندما سمعت تلك العبارة:

- إنها ذات الجملة ..

- أي جملة ؟

- التي كان يقولها أخوه أیوب لصديقه بحر.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر، واصلت تارا تقول:

- ونعم الرجل كان أيوب - ثم أردفت وكأن الذكرى غلبتها:

- في آخر أيامه كانت لديه أمنية.

- ما هي؟

- أراد أن يتزوج وينجذب ابنًا ذكراً، ليس لأنّه يفضل الذكور على الإناث ولكن لكي يسميه "بحر" على اسم صديق عمره، بحر والد عاصف.

أحسست ريحانة بطريقة غريزية بأن تارا لم تأتِ بذكر ذلك الموضوع عبئاً، لا سيما في وقت مثل هذا، ولكنها صمتت ولم تسألها عن السبب حتى اعترفت تارا:

- إذا انتهت هذه الحرب وسارت الأمور كما نرجو، سوف يُصبح من الواجب عليك أن تتحقق تلك الأمنية بدلاً عن أخيك.

قالت ريحانة:

- تقصدين أن تزوج؟

- نعم، وتنجذبين صبياً تُطلقين عليه اسم بحر - وأضافت - بحر الصغير.

- ولكنني لا أفكّر في هذا الأمر.

قالت تارا بنيرة ملتوية:

- ولكن نظاراتك إليه كانت تقول شيئاً آخر.

- إلى من؟

- إلى أساطير وليس إلى الحكيم طبعاً

احرّت وجنتا ريحانة على الفور حتى كادت الحمرة تُرى رغم سُمرة بشرتها الداكنة، كانت تعلم أن تارا تتحدث عن أساطير، فحاوّلت صرف الموضوع قائلة:

- لا أعلم عما تتحدثين.

- العين هي نافذة الروح يا ريحانة وقد رأيتك من خلال عينيك كل شيء.

لم تراوغ؛ كانت تعلم أن الكذب لن يجدي نفعاً مع مخلوقه مثل تارا، فقالت:

- ولكنني لست جميلة كفاية لأنفت نظر شخص مثل غياث.

هنا توقفت تارا في منتصف الممر واستدارت نحوها؛ كان وهج الفانوس يسقط على وجهها من جانب واحد مما يُضفي وقاراً إضافياً على ملامحها:

- هذه فضيلة أن يختار قلبك رجلاً خاصاً للحب مرة.

- ماذا تعنين؟

- الرجل قبل أن يخوض الحب يظن أن الجمال هو كل شيء، لكن بعد تجربته الأولى يدرك أن الجمال شيء تعتاده العين ويُصبح شيئاً عادياً بعد مدة، وألا شيء يظل محتفظاً ببريقه الأبدى غير جمال الروح.

ثم وضعت يدها برفق على كف ريحانة وقالت:

- روحك طيبة يا أخت أبوب .. وأساطير لن يجد من هو أجمل منها  
ليرتبط بها.

- أنا .. لا أعرف ما يجب علي أن أقوله.

- لا شيء - قالت تارا وهي تواصل السير - اتبعيني فقط ..

\*\*

وصلنا السير حتى وصلنا نهاية الكهف حيث تنهرض مدينة الأشواوس على مد البصر، عظيمة، شامخة تتوزع مبانيها بشكل يُفصح عن مدى الانتظام والعلم الذي وصل إليه سكان المدينة، وقد أحست ريحانة بشيء من الرهبة وهي ترصد جمال المدينة؛ حتى أن فرخ التنين رعد قد أحس بتلك الرهبة وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا، وكأنه يستشعر هيبة المكان.

في تلك اللحظة هبطت الأميرة آشلس أمامهم وهي تقول:  
- أهلاً بكم، وبالتنين الصغير أيضًا.

قالت لها بابتسامة مهذبة ثم ما لبثت أن تقلصت ابتسامتها عندما وقعت عينها على ريحانة التي بدا عليها التعب، وذاك الغبار الخفيف على ملابسها:

- هل اعترضكم شيء؟

- نعم - قالت ريحانة - لقد هجم علينا حرس الكهف.

آشاس غير مصدقة:

- هل قلتِ بأن جنودنا هجموا عليكم ١١٩

قالت تارا بصوت قوي وهي تنظر إلى الأميرة وعيناها تلمعان وكأنها كانت في تلك الأثناء تستخدم قوة خفية لتسرير أعماق الأميرة:  
- أخبرينا بالحقيقة يا آشاس.

دون تردد وبصوت واثق قالت الأميرة وقد أدركت ما كان بنفس تارا من شك:

- أقسم لك بسلسلة الجبال المحرمة أنني لم أخنك يا تارا.

هنا فقط أدركت تارا من يكون ذلك الشخص الغامض الذي سقط من فوق الجبل حين ضربت الأرض بقدمها، لقد كانت ساحرة أرسلها طاغين لتحكم بعقل حرس الكهف الأربعة ليقتلوها على حين غفلة، فقالت تفسر لهم الأمر:

- لا بد أن طاغين عرف بتحركنا؛ وهو من أرسل إحدى ساحراته لقتلي؛ لذلك يجب أن ترسلين وحدة استطلاع فورية تقوم بمسح المنطقة وإزالة أي خطر محتمل.

- سوف أفعل ذلك، وأعزز حراسة الكهف بمجموعة من القناتير الأقوىاء لنضمن عدم قدرة ساحرات طاغين على اختراق عقولهم مهما حاولوا.

أثناء ذلك الحوار كانت ريحانة صامتة، وهي تُطيل النظر نحو المدينة في الأسفل بينما ملامحها تعكس قلقها الداخلي، كان الخوف قد بدأ يتسلل إلى صدرها .. ليس خوفاً على نفسها مما هو قادر بل خوفاً على الآخرين؛ فقد كلفت هي وتارا ورعد بالمهمة الأسهل ومع ذلك كانوا على وشك أن يلقوا حتفهم قبل لحظات عند فوهة الكهف، فما الذي يتضرر أولئك الذين يحملون على عواتقهم مهمات أشد وأصعب: غياث، نورس، عاصف، الشمالي، الحكيم، طائر العنقاء إكليل .. هل سيعودون جميعاً؟ .. أم أن الموت سيخطفهم، أو على الأقل سيخطف بعضهم، إنها لا تعلم الرب وحده يعلم ..



.. المهمة الثانية ..

.. الشمالي، الحكيم، نورمن، طائر العذراء ! كليل ..

سارت المجموعة بصمت على الطريق،

يتقلّهم الشمالي وبيده الیمنى يمسك الخربطة التي أعطته إياها تارا،  
فكان يسرّ مسترثداً بها، يتبع العلامات تحت ضوء القمر حتى بلغوا  
حلقة هضبة صخرية كان موج البحر يتلاطم بعنف تحتها، قال وهو يحدّق  
في الأفق:  
- كذلك نصل.

تساءل الحكيم بضجر:

- نصل إلى أين؟ فأننا لا أرى شيئاً غير هذا البحر الأله !!

نورس متذمرة:

- يا إلهي حتى البحر لم يسلم من لسانه !!

- ماذا !؟ - قال الحكيم بصوت الباحث عن شجار - أفلت شيئاً  
يا ذات اللسان الطويل ؟

- لم أفل شيئاً

قالت ذلك ثم أردفت وهي تنظر نحو طائر العنقاء وهي تغمز:

- أليس كذلك يا إكليل ؟

إكليل الذي لا يملك الحس الفكاهي البشري، قال وقد أخذ السؤال  
على محمل الجد:

- بل قلت: حتى البحر لم يسلم من لسانه.

الحكيم بصوت المتصر:

- هاما !! إكليل لا يكذب؛ فأننا الذي قمت بتربيته بنفسي !!

نورس وقد فاض بها الكيل:

- فأثر مجنون !!

- مجنون نعم، فار لا !! .. قوله الحكيم المجنون !!

كاد الشجار أن يندلع بينهما لولا الشمالي الذي قطعهما بصوت  
جاد وهو يحدق إلى الخريطة بيده:

- كل قصر في هذا العالم ومهما كان تحصينه فويا إلا أنه لا يخلو  
من سرداد سري يُنقذ العائلة المالكة عند وقوع الكوارث .. وقد اعطنى  
ناراً الخريطة التي تحدد مكان السرداد.

نورس تسأله ببراءة:

- وهل السرداد مفتوح الآن؟

- نعم يا عزيزتي - قال الحكيم - تستطيعين الدخول بدفع بعض  
الرسوم الرمزية؛ هذه خدمة توفرها مملكة أبابيل للأشخاص الذين يرغبون  
بالتسلل إلى القصر خلسة لقتل الملك.  
بدأ الشمالي يضرب الأرض بكعب قدمه،

مره ..

ثم ثانية ..

ثم ثالثة ..

ورابعة وخامسة في أماكن متفرقة، الجميع كانوا يراقبونه دون أن يفهموا  
ماذا يفعل حتى توقف فجأة وقد بدت عليه الحيرة، ما دفع الحكيم ليباله  
عن سر ذلك التصرف:

- ما الذي كنت تفعله

- أفضش عن المدخل؛ فالخريطة تشير إلى أننا نقف تماماً فوق الباب، لكنني ضربت بقدمي كل مكان ولم اسمع أي صدى يُشير إلى الباب.

- بالطبع لن تجده بهذه السهولة؛ فمن خلال معرفتي بك وبعاصف أستطيع أن أخمن بأن الأمر لن يكون بهذه البساطة، وأن هنالك خازوئاً محترماً ينتظراً ||

عاد الشمالي يتفحص الخريطة مدققاً في تفاصيلها علّه يعثر على شيء كان غائباً عنه، ولكن كل شيء كان صحيحاً؛ إنهم يقفون تماماً فوق النقطة المحددة .. لكن في تلك اللحظة حدث شيء قلب موازين الإدراك بعقله: فقد ارتفع صوت الموج فجأة بعد أن ارتطم بالصخور من تحتهم مما سبب ذبذبة خفيفة تحت أقدامهم وجعله يقول بنبرة صوت من عثر على حل لغز صعب:

### صوت الأمواج |||

أخذ الحكم ينصت لصوت الموج قبل أن تتسع عيناه وهو يقول وقد عرف الأمر:

- إنه الخازوق المنتظر ||

هنا تدخل إكليل وقد فهم الأمر:

- صوت الأمواج يرتد من تحتنا، وهذا يعني أن هنالك تجويفاً أسفل هذه الهضبة ||

قالت نورس التي لم تفهم حتى الآن:

- وما الذي يعنيه ذلك؟

الشمالي:

- هذا يعني أن هناك كهفًا مغموراً بالماء أسفل هذه الهضبة تماماً، وإن صحت الخريطة فباب السرداد الذي نبحث عنه يقع داخل هذا الكهف.

نورس مندفعه بحماسة الجهل:

- لنقفز إلى البحر إذاً، ثم نغوص إلى الأسفل حتى نصل إلى الكهف ونبحث فيه عن باب السرداد.

- اقتراح جميل - قال الحكيم - ثم ندفع المبلغ الرمزي وندخل.

- لماذا تبدو غير راضٍ عن هذا الاقتراح أيها الحكيم؟

- لأنني نسيت أن أجلب ثياباً للسباحة يا نورس !!

- سأذهب وحدّي إذاً ..

قالت ذلك ثم اندرعت نحو الحافة لتقفز منها ولكن الشمالي تصرف بسرعة، فمد غمد سيفه وأمسك بها من طرف سترتها الخلفية؛ فارتدى إلى الوراء قبل أن تقفز كأنها قطعة من القماش معلقة على علاقة ملابس.

الحكيم معلقاً وهو يمسك رأسه بيديه:

- يا إلهي !! .. إنها عاصف ولكن النسخة النسائية !!

نظرت نورس إلى الشمالي بوجه عابس وهي ما تزال معلقة على غمد

سيفه:

- لماذا أوقفتني !؟

- هذا البحر مسكنٌ من قيل وحوشٌ وُضعت هنا للحماية الملكية؛  
كان يُمكن لأحدٍ أن يُدخلك إلى جوفه قبل حتى أن يلمس جسدهِ  
الماء.

- ليت ذلك حُدُث - قال الحكيم - وأراحتنا الْوَحْشَ مِنْهَا !!

- وما الْخَلِ إِذَا - نورس معرضة - هل سنرجع أدراجنا !؟  
الشمالي وهو يجلسها أرضاً:

- أنا سأقْفَز.\*\* عزيزي القارئ تذكر انك قرات هذه الـ  
روايه من قناه وصف الكتاب \*  
نورس:

- ولماذا تعتقد أن الْوَحْشَ لن تأكلك !؟

الحكيم مجيباً:

- لأنّ لحمه مر.

الشمالي وهو يشاركون ما يفكرون فيه:

- هل تذكر أيها الحكيم ذلك الطور الغريب الذي تحولت إليه داخل  
بحر ذي النون ؟

- نعم؛ عنلما تحولت إلى سكة كنعد.

- بالضبط؛ وهذا ما سوف اعتمد عليه الآن

نورس مقاطعة؛ ولكنني لم أكن معكما؛ فهلا يتبرع أحد لي بشيء ما

بدث !!

الحكيم لكي يغطيها:

- قصة مربعة، لا ينبغي قولها للصغار.

- لا تقلق أيها الحكيم فأنا لا أبلل ملابسي من الخوف، ولو كنت كذلك لارتديت بنطالاً أسود مثلك؛ لكي أخفِي البطل عن أعين الآخرين.

التفت الحكيم نحو إكليل بشكل تلقائي وقال له:

- هل أخبرتها بسر البنطال الأسود !!؟

- نعم؛ لقد سألتني وأخبرتها بالحقيقة.

- توقف عن أخبار الآخرين بسر البنطال الأسود؛ فلم يتبقَ عليك إلا أن تُلْعِن لاتة على جسدك، وتطير بها ليراها جميع سكان مملكة أهابيل.

نورس بفضول الصغار: أخبروني بقصة بحر ذي النون !!

الحكيم وهو يلتفت نحو الشمالي: أخبرها وأرحننا من إلحاچها !!

بدأ الشمالي يروي لها القصة وبشكل مختصر:

- كنا في مهمة بحرية للوصول إلى مملكة تدعى "أغاريب" وهي مملكة تقوم تجاراتها على حفظ وتخزين أموال مالك الأرض، فتكتسب جراء تلك الخدمة فوائد مالية كبيرة .. تلك التجارة يا نورس جعلت مملكة أغاري卜 تضع قوانين صارمة ضد الغرباء وتفترض أن كل زائر يذهب إليهم دون دعوة رسمية هو لصٌ محتمل؛ لذلك فعندما غصنا إلى أعماق البحر ووصلنا إلى حدود مملكة أغاري卜 اعترضنا الحرس وسألونا عن سبب الزيارة، أخبرناهم حينها بأننا جئنا للقاء الملكة "إنكال" وبعد جهد طويل وافقوا على تلبية الطلب.

الحكيم متذلاً:

- ولكن تلك الحورية الحارسة الحمقاء ضربتني فجأة بدون سبب، وأخرجتني من فقاعة الهواء التي كنت أتنفس بداخلها أسفل الماء.

لم تصدق نورس فسألت:

- تضررك بدون سبب ١١٩

- لقد مزحْتُ معها مزحة خفيفة .. ولكن يبدو بأن تلك الحورية لا تملك جس الفكاهة.

لم تصدق نورس ما قاله الحكيم، والتفت بتلقائية ناحية الشمالي ليقول له:

- أخبرني عن السبب.

قال الشمالي يفسر لها ما حدث:

- بعد أن وافقت الحورية على تلبية طلبنا، قال لها الحكيم "خذونا إلى الملكة إسهال" بدلاً من أن يقول إلى الملكة إنكاراً. تلك الحورية لم تأخذ التلاعب باسم الملكة من باب المزاح واعتبرتها إهانة لا تُغفر؛ فوجهت إليه ضربة بعقب رمحها أطاحت به خارج فقاعة الهواء وقدفته بعيداً.

هنا ارتجف جسد الحكيم وبان عليه اضطراب خفيف؛ وكان ذاكرته استعادت لحظة الضربة تلك التي أخرجته يومها من أمان الفقاعة إلى أعماق المحيط؛ فتنفتح بهدوء حتى لا يكشف أحدٌ مشاعره ثم انسحب من هناك وهو يهمس:

- سوف أذهب لاستنشاق بعض الهواء

بعد مغادرته، التفت نورس نحو الشمالي وسألته:

- وماذا حدث بعد ذلك للحكيم؟

- ضاع في أعماق المحيط وقد كنت حينها لا أزال داخل فقاعة حين سمعت صوتاً غريباً بداخلي يطلب مني الخروج للحاق به .. لم أكن أجيد السباحة يا نورس؛ وكنت أعلم أنني سأغرق في اللحظة التي أغادر فيها الفقاعة ومع ذلك خرجت منها .. وما إن غمرني الماء حتى شعرت بشيء في جسدي يتغير.

لامس الشمالي بكلماته شيئاً في نورس؛ فهي هجيبة أيضاً وفهم معنى تلك الكلمات جيداً؛ فسألت باهتمام أكبر:

- شيء يتغير بجسديك؟

- نعم؛ لقد شُقت ثلات فتحات هنا - قال وهو يشير إلى أسفل ذنه اليمنى ثم اليسرى - استطعت التنفس من خلالها .. وتحولت قدماي بعد ذلك إلى ذيل طويل ينتهي بزعنفة عليها وشوم مضيئة ما إن شاهدناها الحوريات الحراسات حتى احذن لي رؤوسهن بإجلال وإكبار .. لم أتساءل وقتها عن السير الذي جعلني أتحول إلى هذه الهيئة، ولا السر الذي جعلهم يُتحنون إلي رؤوسهن وهم يشاهدون الوشوم على الزعنفة، بل سبحث بكل قوتي مفتفيأثر المحكيم .. ورغم الظلام الدامس وملوحة الماء إلا أنني كنت استطيع الرؤية بوضوح وكأنني كائنٌ خلق ليعيش في الماء.

- وأنت حتى هذه اللحظة لا تعرف سر ذلك التحول؟

- ربما يأتي اليوم الذي أبدأ فيه رحلة اكتشاف هذا السير، ولكن كل ما أعرفه حتى اللحظة هو أن الوشوم المضيئة في ذيلي تُشير إلى انتقامي لنسل له قدسيّة خاصة؛ لقد سمعت الملكة إنكار بنفسها بعد أن التقينا بها لاحقاً في قصرها القابع أسفل المحيط وهي تقول "خلي وكرامة يا ابن نسل الأسيار" .. الأكثر غرابة من ذلك الأمر يا نورس هو أفراد حاشيتها الذين ما إن سمعوا بمعلومة أنني واحداً من نسل الأسيار حتى سجدوا إلي احتراماً.

صمت الشمالي قليلاً وهو يرفع بصره ويُحدق نحو البحر الفاصل  
بين الهضبة التي يقفون عليها وبين جزيرة الأرباب التي ينهض عليها  
قصر مملكة أبابيل:

- تقول الأسطورة أن هنالك مئات الوحش البحرية التي وُضعت  
لحماية هذه الجزيرة .. الطريقة الوحيدة التي أماننا هي أن نراهن على  
أن تلك الوحش سوف تعرف أيضاً على النسل الذي انتمي إليه  
وأنها سوف تسمح لنا بالوصول إلى الكهف ثم إلى باب السرداد  
دون أن تهاجنا.

- إذاً سوف تقفز أولاً ثم تأمرنا بالقفز بعدك؟

- نعم؛ فيجب أن أناكِد بأن الطريق آمن ثم سأطلب منكِ ومن  
الحكيم اللحاق بي، أما إكليل - وتوقف الشمالي هنا عن الكلام بعد  
أنه انتبه إلى أن هنالك من يجب عليه الاستماع إلى تفاصيل الخطة  
غير نورس فقال:

- بالمناسبة أين ذهب الحكيم وإكليل يا ثرى؟

\*\*

## الحكيم

جلس الحكيم وحده منعزلاً فوق صخرة منخفضة على طرف الهمبة وأخذ يحدق في سواد البحر الممتد أمامه وهو يسترجع في ذاكرته تلك اللحظة التي قذف فيها بعيداً في أعماق بحر ذي النون، حينها لم يكن الحكيم يخشى من الموت ..

بل كان يخشى من أن يموت وحيداً ..

الحقيقة أنه ورغم تذمر الحكيم المستمر من هذه المهام التي تنطوي على مخاطر شديدة إلا أنه كان راضياً عنها في أعماقه ولا يريدها أن تنتهي؛ فهي الشيء الوحيد الذي يضمن له أنه لن يكون وحيداً؛ كان يعلم بأنه طالما استمرت هذه المغامرات فإن الجميع: عاصف، الشمالي، إكليل سوف يظلون معه .. لكن ماذا لو انتهى كل شيء؟ حينها ربما سوف يشغل كل فرد منهم بشؤونه الخاصة فيعود للعيش وحيداً في منزله دون صحبة، كما كان قبل أن يطرق عاصف باب منزله قبل سنوات في قرية الجساسة طالباً مساعدته في تشخيص حالة والدته المتوفاة وتبدأ أحداث أعظم مغامرة في حياته كلها.

وبينما كان الحكيم ما يزال يجلس فوق الصخرة المنخفضة وهو بطيل النظر في البحر الأسود أمامه إذ حط طائر العنقاء إكليل إلى جواره وفرد جناحه فوقه بهدوء وكأنما كان يضمه إليه .. رفع الحكيم بصره إلى الأعلى ونظر إلى عيني الطائر الحادتين، وسمعه يقول:

- أتعرف معنى الهيلانا ؟

واصل إكليل يقول بينما الحكيم ينظر إليه منكسرًا:

- هيلانا أيها الحكيم تعني العائلة التي يختارها الشخص لنفسه حين يكبر.

بدأت الدموع تجتمع في مقلتيه بينما إكليل يقول:

- أنا وأنت هيلانا واحدة للأبد.

عندما لم يستطع منع نفسه وبكي.

\*\*

في تلك اللحظة وبينما الحكيم يبكي سمع وقع خطوات تقترب، إنها أقدام الشمالي ونورس؛ فقفز فوراً من مكانه وابتعد عن إكليل حتى لا يراه أحد وهو بتلك الحالة الضعيفة وقال وهو يصبح ملوكاً بيديه ويفغالب صوت بكائه:

- يا إكليل لا تخف .. لا تخف يا عزيزي أرجوك .. سأكون معك وسأحميك لو هاجتنا الوحش البحريه ١١١

نظر إليه إكليل نظرة حب؛ فهو يدرك أن الحكيم لا يريد لأحد أن يرى حزنه.

قال الشمالي يطلعهم على سير الخطة:

- سأقفر إلى الماء لاستكشف الطريق؛ وإن كان آمناً ساعطكم  
الإشارة لتلحقوا بي نحو السرداد ..

تساءل إكليل:

- ماذاعني؟ .. هل سأقفر إلى البحر معكما؟

- لا - قال الشمالي - سوف تبقى أنت في الجو لتعود إلى الغابة  
وتخبر الآخرين في حال فشلت الخطة - ثم أضاف يُخبرهما بإشارة  
الأمان: تلویحة بيد واحدة تعني اقفزا، أما التلویحة بيدين تعني أن  
هناك ما يستدعي إلغاء الخطة.

نورس تراجع وراءه:

- بيد واحدة سنقفز، بيدين لن نقفز.

الحكيم:

- لحظة، دعنا نفكّر بخطة أخرى لا تسرع.

الشمالي مبتسمًا وهو ينظر للحكيم:

- أتخشى على؟

- نعم أ تخشى عليك - ثم بسرعة كمن يريد التراجع عن اعترافه:

- أقصد أني أخشى علينا؛ فأنت فالدنا ولو انتهيت طعامًا في  
جوف وحوش البحر فمن سيقود الرحلة من بعدك؟

اقترب الشمالي من حافة الهضبة وهو يقول: "إذا مت، سوف تلقي الخطأ، وتعودون جميعاً إلى الغابة المظلمة" ثم أخذ ينظر إلى البحر المظلم الهائج من تحته دون أن يجد عليه أنه سوف يغير رأيه، اعترف الحكيم بصدق لأول مرة:

- أنت تعلم أنني أحبك.

- وأنا أحبك رغم بذاءة لسانك.

قال وهو يشده من طرف رداءه الطويل:

- لا تغزو أرجوك، ألسنّت تخاف على نفسك أيها الأحق !!

- بالطبع أخاف - ثم أضاف الشمالي وهو يرفع طرف رداءه ليكشف عن البنطال الذي كان يرتديه تحت الرداء: ولهذا أتيت إلى هذه المهمة مرتدياً بنطالي الأسود الخاص مثلث.

قال ذلك مبتسمًا ثم قفز دون أن يمنحه فرصة ليقنعه بتغيير الخطأ.

\*\*

وفي اللحظة نفسها - بعد أن قفز - انزاحت ورقة شجرة صغيرة كانت تستقر خلف صخرة قرية منهم، دُفعت بخفة من قدم شخص في الظلام كان يراقبهم من بعيد ..



## الأعمق

اخترق الشمالي سطح الماء بجسده،  
وما كاد أن يستقر فيه للحظات يسيرة حتى بدأ جسده يستجيب  
للتحول: ثلاث فتحات دقيقة شقت جلده أسفل أذنه اليمنى ثم البُسرى  
وببدأ الهواء يتلفق إلى داخله من خلال تلك الخياشيم ثم بدأت قدماه  
تلتصقان ببعضهما البعض ل تستabil إلى زعنفة طوبلة عليها نقوش  
مضيئة.

فتح عينيه أسفل الماء،

ثم رغم الظلام الدامس المُدعَع، إلا أن الشمالي كان يستطع أن يرى كل شيء بوضوح: الصخور المتراكمة .. بعض الأسماك الصغيرة والشعب المرجانية، وقد بدا في تلك اللحظة أن هنالك شيئاً بداخله - ربما تكون غريزة خاصة بنسل الأسيار - بدأت تعطيه إشارات لتوخي الحذر بسبب وجود كائنات خطيرة تسبح بالقرب منه.

دفع الشمالي جسده بحركة واحدة من الرعنفة فانطلق يشق طريقه بشقة مثل رمح مائي .. حتى اقترب من الجدار الصخري أسفل الهضبة وبدأ يبحث عن الكهف حتى رأه ووجه إلى داخله وبدأ يتنقل بخفقة عبر التجويف الصخري الغارق، يتفحص جدرانه ويمر على صخوره المفطأة بالشعب المرجانية، ويلمح بقايا عظام مخلوقات بحرية طمست ملامحها بالطحالب، ثم وسط أحد العمرات الضيقه لمحت عيناه فتحة صغيرة بين الصخور كأنها فم مخلوق ضخم فلدفع بجسده نحوها دون تردد وعبر منها؛ وأذ به يدخل حجرة غريبة في عمق الكهف كانت مغمورة بالماء، لكن في نهايتها ظهرت رقعة يابسة مرتفعة قليلاً وفي قلب تلك الرقعة وجد ما كان يبحث عنه: إنه باب السرداب.

الأعلى

## حيث الحكيم ونورس وطائر العడاء

في الأعلى - أعلى الهضبة الصخرية - كان الحكيم ونورس يحدقان بترقب في سطح البحر، بينما طائر العنقاء إكليل يحوم على ارتفاع شاهق يراقب المنطقة بحذر حتى لا يجذب الأنظار إليه من حرس الجزيرة.

لم يمض الكثير من الوقت حتى لمع الحكيم شيئاً يظهر على سطح البحر:

- انظري - قال - إنها الإشارة.

نورس وهي تنهض من مكانها وتلدق النظر:

- إنها تلوبيحة ييد واحدة؛ لقد وجد الشمالي الباب والطريق آمنا !!

- أكره الماء الباردة - الحكيم وهو يستعد - ولكن هيا !!

ثم ركضا نحو الحافة وقفزا في آن واحد ..

\*\*

وبيّنما كانت أجسادها تهوي في الفراغ انتبهَا على المخدعة: حيث  
خرجت من سطح البحر ثلاث رؤوس قائمة بملامح أنوثية مشوهة  
وعيون تتوهج بلون البحر الداكن وأسنان طويلة بارزة من تحت الشفاه،  
ما جعل نورس تصرخ:

### - ما هذه الكائنات هناك

أدرك الحكيم أنهم وقعا في فخ السائرات<sup>٢١</sup> البحريّة المتعطشات  
للدم، فالشخص الذي كان يراقبهم في الأعلى قبل قليل كانت إحدى  
هذه المخلوقات .. وقد سمعت الإشارة المتفق عليها؛ ولذلك  
استخدمتها الآن من أجل الإطاحة بهما !! .. التفت الحكيم ناحية  
السماء - وهو يهوي ناحية البحر - واستطاع أن يصرخ طلباً في  
النجدّة:

### - إكليلللسيل !!!

ما إن انتبه طائر العنقاء لما يجري حتى حَوَّل مساره واندفع مثل  
صاعقة من الغضب، مخترقاً الهواء بجنون قاصداً التقاطهما بمخالبه  
قبل أن يمسا سطح الماء ..

---

٢١ السائرات: هو تعبير آخر عن الكلمة الأجنبية "Sirens" أو "السirenات" المذكورة في الأسطورة الإغريقية، وهي نساء متوجّشات يُشبهن المهريات حيث لهن نصف علوي بشري ونصف سفلي يشبه الأسماك، اخترقت لهن هذا الاسم "السائرات" لأنهن "يهن" البحر بحثاً عن الشر والخراب وعن فرالي يصطادنها.

، تأخر بلحظة، لحظة واحدة فقط كانت كافية لتجعل إحدى  
ت تقفز من البحر وتمد ذراعيها الطويلتان لتخطف نورس  
م ثم تسحبهما نحو الأعماق .. لم يتوقف إكليل وغطس في  
وقام بنفث موجة من نار .. لم تكن ناراً من لهب وإنما كانت  
ت داخل الماء ولكنها ناراً منبعثة من قلب خائف .. وسرعان  
نف عن الغوص وهو يضرب الماء بجناحيه المبللين ليعود إلى  
ماء محلقاً يدور في حلقات جنونية وهو لا يتمنى في تلك اللحظة  
لحياة إلا بأن تكون إشارته قد وصلت إلى الشمالي ..

\*\*

## أسفل الماء

حاولت نورس استخدام قوتها الخاصة للنجاة، ولكن الربكة التي  
انت عليها والماء الذي يغمرها والضغط الذي بدأ يحاصرها وهي  
تنطف مع الحكيم نحو الأعماق منعها من استحضار التركيز الكافي  
شعال قوة النار في قلبه ..

وبينما السائرات ينحدر إلى القاع فرجين يوجنهن السهلة م بنتهن إلى ذلك الجسد هائل السرعة القادم من خلفهن بزعفرانه المضيئة بالوشوم، ليقوم بتزييفهن بسيفه الطويل الحاد الأشيه بسيوف العساكر اي إلى أشلاء صغيرة وتر دمائهن في مياه البحر المظلمة مثل سحابة من جبر أحمر، أمسك الشمالي بنورس والحكيم بقوة واندفع بهما نحو السطح ليرفعهما فوق الماء للحظة حتى يستنشقا بعض الهواء ويطمئن إكليل الخائف بأن إشارته قد وصلت ..

٦٦

## داخل الكهف المغمور

.. أسفل الهضبة ..

كانت نورس تلهث فوق البقعة اليابسة داخل الكهف والماء يقطر من شعرها ووجهها وهي تقول برعبر: - ما الذي كُنْ يفكرون به تلك اللعينات ١١٩ - الحكيم مستلقاً على ظهره وهو يقاتل ليلتقط أنفاسه: - لا بد أن جاذبيتي أغرتنهن؛ إنها لعنة أن يكون المرء وسيما.

نورس وهي تنظر إلى الشمالي الذي كان ما يزال في الماء:

– كيف عرّفوا بشأن الإشارة؟! أهي صلفة؟!

الشمالي وهو يصعد إلى اليابسة وجسده يتحوّل إلى هيكله البشرية تدريجياً، حيث الزعنفة الكبيرة ذات الوشم المضيئة تتراجع إلى قدميه، والخياشيم تُغلق خلف أذنيه:

– لا أرجع أنها كانت صلفة؛ ربما استطاعت إحداهن التنصت علينا دون أن نتبه.

انتصب المحكيم جالساً فجأة وسأل بجدية:

– أعتقد أن طاغين من أرسلهم؟

– لو كان طاغين يعلم بشأننا لأرسل جيشاً آخر مع السائرات البحريّة؛  
أظنّ أنهن تحرّكن بدافع الجوع فقط.

\*\*

## السرداب

تحرك الثلاثة نحو باب السرداب، خطواتهم تردد أصواتها في جدران الكهف.

تساءلت نورس بعد لحظات وقد فطنت إلى ملاحظة دقيقة:

– أليس غريباً أن يكون هذا المكان بلا حراسة؟!

الحكيم ساخراً:

- لا تقلقي يا عزيزتي سوف نتفاجأ بعد قليل بما هو غير متوقع،  
فمنذ أن بدأنا هذه الرحلة ونحن نخرج من حفرة لنسقط في حفرة  
أعمق.

الشمالي يجيب على تساؤل نورس:

- طاغين لا يشق بأحد ولا حتى بحراسه الأكثر قرباً؛ ولذلك ترك  
هذا المكان عمداً بلا حراسة؛ ليضمن ألا أحد يعرف بشأن هذا  
السرداب.

اقرب الشمالي من الباب، دفعه بهدوء فصدر عنه صوت أنين  
تقيل وهو يفتح .. هواء حار تدفق من داخل السرداب محملاً برائحة  
الرطوبة والأسرار والزمن .. وقف الثلاثة أمام فتحة السرداب نظراتهم  
متوجهة إلى تلك السلام الحجرية التي تنزل نحو الأعماق المظلمة،  
قال الشمالي وهو يدخل:

- اتبعاني ..

٦٦

بدأوا ينزلون،

درجة ثم درجة وأصوات خطواتهم تتردد في الممر،  
حتى بدأت أجسادهم تختفي تدريجياً في عتمة السرداد ..  
قال الحكيم معتبراً عن مخاوفه وهو يستقر على كف نورس:  
- أكثر ما أخشاه أن يكون هذا السردار معيناً بالفtran ..

سألته نورس وهي تواصل المشي:

- لماذا الفران بالذات ؟

- لأنهم مقززون.

وهي تبتسم بسخرية:

- على المرء أن يختار كلماته حين يتحدث عن أقاربه.  
لم يرد عليها؛  
ولو لا الظلام ل كانت نورس قد رأته وهو يتسم ويغالب ضحكته،  
لقد راقت له هذه الفتاة الصغيرة بالفعل وبدأت تتسلل إلى قلبه شيئاً فشيئاً  
ويتند على وجودها معهم ويحبه.



## إِكْلِيل

في الأعلى،

ونفق ارتفاع شاهق يكاد يلامس السُّحب،

كان طائر العنقاء إِكْلِيل لا يزال يحوم بجناحيه الطوبيلين وعيشه  
المادتان تمسحان الأفق بصير لا يهدأ .. من ذلك العلو بدت جزيرة  
الأرباب كقرصٍ حجري ناتئ في قلب البحر تحاصرها الأمواج وتسلل  
إليها الرياح من كل اتجاه.

ظل إكليل يحوم في السماء،

يراقب القصر من الأعلى .. يرصد الحراس الليلين وهم يملؤون  
الأسوار بالخطوات والأسلحة، لكنه لم يكن يحلق بطريقة عشوائية؛ فهذه  
هي المهمة التي كانت كويرا أفعى الجن تارا قد كلفته بها حين قالت له  
وهم في قلعة الأباطرة: "لا تعد إلا ولديك معلومة أكيدة، فكل شيء قادم  
سوف يعتمد على المعلومة التي ستخبرني بها. "

كانت مهمته حينها تنحصر في البحث عن غرفة جومانا وتحديد  
موقعها بدقة وقد فعل ذلك على أكمل وجه، حيث حلق ليتلها فوق  
القصر، وظل يراقب التواجد لساعات حتى استطاع أن يرصد الغرفة  
المنشودة ليعود لاحقاً إلى تارا ويصف لها موقع النافذة بالتحديد  
لتصبح تارا قادرة على رسم خريطة داخلية توضح فيها للشمال ومن  
معه الطريق الذي سوف يسلكه داخل القصر للوصول إلى الغرفة  
المنشودة، زاد الطائر من علوه حتى يتخذ من السحب ساتراً يحمي  
خلفه، وهناك بدأ يوسع نطاق تحليقه الجوي، وعيناه مثبتتان على الغرفة  
التي كان يرى فيها ظل جومانا وهي تجلس وجهها إلى وجه مع رجل  
بدين أصلع.

## داخل المرداب

توقف الشمالي للحظة بعد أن أصبح الظلام يُشكل عائقاً حقيقياً أمام تقدمهم، ثم التفت إلى الوراء وقال بصوت هامس يوجه خطابه تحديداً إلى نورس:

- سمعتُ أنكِ تحملين بداخلك قوة خاصة أليس كذلك؟  
- نعم، صحيح.  
- هل يمكنك أن توقدi لنا ناراً نهتدى بها إلى الطريق؟  
كان القلق الذي تعشه تلك اللحظة يُعكر عليها صفو تركيزها؛ لذلك قالت:

- سأرى ما أستطيع فعله.  
- إياكِ أن تحرقينا يا نورس - قال الحكيم - لا أريد أن أتحول إلى فارٍ مشوّي.

مدت نورس كفها أمامها وهي تُغمض عينيها لتحصل على ما تستطعه من التركيز .. ثم أخذت تستلدي الحرارة من قلبها حتى استطاعت أخيراً أن تُشعّل ناراً صغيرة في راحة كفها - ناراً ليست حارقة بل مُضيئة - انعكس ومجها البرتقالي على وجوههم الثلاثة وأنار لهم الطريق، فتحرك الأصدقاء في السرداد مهتدين بنور الشعلة المستمرة؛ قال الحكيم الذي لم يستطع أن يغالب فضوله:

- ما اسم القوة الخاصة التي تملكينها، قوة الشمعة؟

- بل تُدعى قوة النار.

ورغم أن هذه القوة الخاصة - قوة النار - هي ذاتها التي يملكها عاصف إلا أن الحكيم لم يظهر أي اندماج عند سماع ذلك الاسم؛ والسبب هو أنه في ذلك الزمن كان من الشائع أن يولد بعض الأشخاص بقوى خاصة متعددة الأمر الذي يجعل امتلاك نورس لتلك القوة ليس دليلاً قطعياً على انتسابها إلى شخص معين أو نسب محدد ..



## داخل قصر مملكة أبابيل

بعد ساعة من السير وصل الثلاثة أخيراً إلى نهاية السرداد وصعدوا إلى سلم حجري قادهم إلى باب صغير .. ففتحوه بحذر ليجدوا أنفسهم في غرفة مهجورة أسفل القصر مباشرة، مكتوا فيها للنماذج حتى تأكدوا من عدم وجود حرمس في الجوار، ثم فتحوا باباً جانبياً يؤدي إلى ممر داخلي في القصر ..

مروا بعدة أبواب مغلقة،

ثم صعدوا درجاً حلزونياً قديماً يُفضي بهم إلى الطابق العلوي،

كان الشمالي يتحرك بثقة وهو يعرف متى ينutf ومتى الممرات يسلك .. إنهم لا يتصرفون بطريقة عشوائية بالطبع بل كانوا يتبعون الخريطة التي رسمتها لهم كوبيرا أفعى الجن ناراً، ويعتمدون على التعليمات التي حفظوها عن ظهر قلب إذ قالت لهم: "القصر مزود بفتحات تهوية حجرية بُنيت منذ القِدَم للسماح بدخول وخروج الهواء الساخن والرطب، عليكم أن تصلوا إلى هذه الفتحة وتصعدوا من خلالها، ثم تواصلوا السير حتى تصلوا إلى غرفة جومانا دون أن يراكم أحد.

الآن وقد بلغوا الردهة المطلوبة - بناء على الخريطة - رفع الشمالي بصره نحو الأعلى ليُفتش عن فتحة التهوية حتى وقعت عيناه على تجويف صغير ينبعز في أعلى الحائط الحجري، فأشار إليه وهو يقول بنبرة المنتصر:

- هناك !!

\*\*

## .. فتحة التهوية ..

لم تكن فتحة التهوية مصممة للسير بالطبع، ولكنها كانت كافية لزحف الأجساد النحيلة؛ فتحرکوا فيها زحفا حتى وصلوا أخيراً إلى الغرفة المنشودة ونظروا إلى من فيها من خلال فتحة التهوية: كانت الغرفة تُطل على البحر وكانت جومانا تجلس فيها بمحاذاة النافذة، فوق كرسى خشبي أنيق يقابلها رجل بدين أصلع الرأس يستمع إليها وهي تبث إليه شكوكها:

- ولكنني رأيت ملكة مالك التنين وهي تضع يدها فوق يده.

- أؤكد لك يا جلاله الملكة بأن الملك لا يحب أحداً غيرك.

- عن أي حب تتحدث يا آشور، وقد مضى حتى الآن أكثر من خمسة عشر يوماً ولم أشعر بأنني زوجة .. أهناك شيء سئي يراه الملك في ولا أراه في نفسي !؟

- ليس في الأمر علاقة بك؛ إنما هو منشغل باله بشأن عاصف، وإنني أؤكد لك بأن كل شيء سينتهي حالما يتخلص الملك منه ومن أصدقائه.

سكت جومانا للحظة ثم تنهدت وقالت:

- ولكن .. حتى حين تكون سوياً، أشعر وكأنني غريبة عنه.

- لا تأخذني ذلك على محمل شخصي يا جلاله الملكة؛ فالملك لا يظهر مشاعره بسهولة؛ حتى نحن المقربون منه لا نعرف ما يدور برأسه أحياناً.

- ولكنني لست "نحن" أنا زوجته !!

- سأحدهه مجلداً بهذا الشأن، أعدك يا سيدتي.

سادت لحظة صمت ثم قالت كمن تعرف:

- أريد أن أخبرك بسر، ولا أريده أن يعبر خارج حدود هذه الغرفة.

- يسرك في مأمن، تحدي فلاني مُنْصَت لكِ وأمين.

قالت كمن تُزِّيَّح هماً من على صدرها:

- إنني اسمع أصواتاً تناديني في المنام، وأرى نفسي أحياناً وأنا أحضرن ذلك اللعين عاصف حين كان صغيراً وأقص عليه بعض قصص النبي سليمان، واسمع صوتاً آخر يناديني لرجل اسمه بحر يقول "غنى لي يا جومانا وسيحضر طيفي ليراقصك" .. ومرة أخرى اسمعه وهو يقول "أنت بستان الياسمين الذي تطاردني راحتته أينما ذهبت ويعيدني إليه مكبلًا مثل أسير حرب" وهنالك صوت آخر ..

وهنا سكت جومانا قليلاً وكأنها قد تأثرت حين تذكرت ذلك الصوت تحديداً، بينما ظهرت على آشور ملامح من الريبة والقلق وهو يبحثها على المواصلة:

- ماذا يقول لك الصوت الآخر ١٩
- امرأة تدعى ناج، تزورني في المنام كثيراً وتدعى أنها أمي، لقد سمعتها تقول مرات عديدة " لا تصدقني وعداً يقطعه لكِ رجل " ساد صمتْ تغيل في الغرفة قبل أن تواصل جومانا قائلة: إنها أشياء أراها في المنام ولا أفهمها .. ولكنني أشعر على نحو غريب بأنني عشتها من قبل.

تغير ملامح وجه آشور وهو يستمع لتلك المعلومة التي لم يكن يتوقع أن يسمعها، معلومة قد تغير الكثير، ورغم الصدمة إلا أنه حاول أن يحافظ على رباطة جأشه كي لا يُظهر خطورة الأمر وقال بصوت حاول أن يجعله متماسكاً قدر المستطاع:

- يجب أن تطرد هذه الهلاوس من رأسك - ثم أضاف وهو ينهض ليغادر: اسمحي لي بالانصراف يا سيدتي.

وَمَا إِنْ غَادَ الْمُسْتَشَارُ آشُورَ الْفَرْفَةَ، وَنَاكَدَ الْأَصْدَقَاءَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ ابْتَعَدَ  
بِالْقَدْرِ الْكَافِيِّ مِنْ هُنَاكَ، حَتَّىْ أَدْرَكُوا أَنَّ الْفَرْصَةَ قَدْ حَانَتْ لِلنَّزْولِ ..

2

اللذوق ..

كان من المفترض أن يكون الحكيم أول من يظهر، فيتسلل بهدوء من فتحة التهوية، ثم يهبط بخفة إلى الغرفة، ويتحدث مع جومانا لبضميتها بصوتٍ رصينٍ ممهدًا الطريق لمن بعده .. لكن، وكعادته: خالف الحكيم التوقعات؛ فقد تعثرت قدمه وهو بهم بالنزول؛ فانزلق فجأة من فتحة التهوية وسقط إلى الأرض بقوة ليرتطم جسده بيلات الغرفة، مما جعله يُطلق آلة مكتومة وهو يمسك ظهره نتيجة الألم ويقول ساخطاً وقد نسي ما كان عليه أن يفعله:

رفعت جومانا نظرها وتجمدت مكانها وهي ترى فاراً يُكلّم نفسه بعد  
ان سقط فجأة من السقف .. التفت الحكيم نحوها فشاهدها وهي تستعد  
لإطلاق صرخة استغاثة؛ الأمر الذي جعله ينسى ألم ظهره ويركض نحوها  
رافعاً يديه:

- اهدئي أرجوك، لو أردنا بك شرّا لما أرسلوني إليك أولاً !!  
لكنها لم تتمالك نفسها وصرخت بكل قوتها .. في تلك اللحظة دخل  
الشعال من النافذة ووضع يده على فمهما وهو يقول إليها من الخلف  
بصوت هامس:

- نريد منك أن تسمعينا فقط !!  
ثم ظهرت نورس وراءه وهي تفتح الغرفة من النافذة:  
- لم ثاتِ لنذريك يا سيدني، بل لنخبرك بالحقيقة التي لن يقولها لك  
أحد.

في تلك اللحظة سمع صوت مقبض الباب يدور، نلا ذلك صوت  
أقدام جنود حماية القصر وهم يدخلون الغرفة بعد سماعهم صوت صرخة  
الملكة ..



## جومانا

تفحص قائد الحماية محبيط الغرفة، وعندما لم يجد أحداً قال وهو ينظر إلى الملكة:

- لقد سمعنا صوت استغاثة يا جلالـة الملكة.

نظرت إليه جومانا بين الخوف والخيرة، كانت تعلم أنها إن أبلغت عن المقتربين فإنهم سيُقتلون فوراً، ولكنها فكرت بعمق: لو أرادوا أذيتها لكان لديهم الوقت الكافي لفعل ذلك قبل دخول الجنود؛ الأمر الذي جعلها تتخذ قرارها:

- تخيل إلى أنني رأيت فاراً؛ هذا كل ما في الأمر.

أوما قائد الحماية برأسه ثم أغلق الباب خلفه وهو يأمر الجنود بالانصراف، ليُفتح باب آخر - هو باب الخزانة - ويخرج من جوفها كل من الشمالي ونورس والحكيم الذي لفطر خوفه قال وهو يمسك بطناله الأسود متحسّناً:

- ميزة هذا القِماش أنه يمتص السوائل سريعاً.

جومانا وقد استطاعت الحكيم:

- لم يسبق لي أن رأيت فأراً يتحدث.

- والدتك صاحبة البركة؛ هي من سخطتني إلى فار.

تعجبت جومانا من سماع ذلك وقالت بطريقة غريبة:

- أتعرف أمي؟

- ومن لا يعرف تاج كانت امرأة عظيمة - ثم وهو يخفض صوت

وينتم:

- أتمنى لها إقامة طيبة في الجحيم.

قالت وكأن ذلك الاسم أوحى لها بشيء:

- " تاج " إنه ذات الاسم الذي اسمعه يتردد في أحلامي.

وهنا تكلمت نورس بهدوء غريب لا يُشبه سنهما، وهي تجلس مقابلة

لجمانا مباشرة:

- وهذا ما جتناك لأجله يا سيدني.

تأملت جومانا ملامع الفتاة للحظة، كان هنالك شيء ما في حضورها يربكها ويجعل قلبها يتميل إليها؛ هذه الراحة الفامضة في ملامع تلك الفتاة هو ما جعلها تقول:

- حسناً، سأصفي إليكم.

ومن هنا بدأ الشمالي يروي لها كل شيء؛ فحدثها أولاً عن قرية الجئاسة التي كانت تعيش فيها، ثم انتقل ليخبرها عن ابنها الذي ولد صامتاً يُقلب بصره في الأشياء مدهوشًا وكأنه تفاجأ بوجود عالم آخر غير العالم المظلم الضيق الذي كان يعيش فيه، وأخبرها عن السنوات العشر الأولى من حياته التي قضتها بلا اسم حتى كان الناس في القرية لا ينادونه إلا بالطفل؛ قالت وقد أثار ذلك الأمر فضولها:

- لماذا ظل عشر سنوات من دون اسم؟

- لقد رفضت أن تسميه، وقررت أن تنتظري حتى يعود والده بحر من غيابه ويسمييه بنفسه.

- بحر؟

- نعم؛ إنه اسم زوجك الذي تخلت عن كل شيء لأجله. أطرقت جومانا قليلاً، كان في ذلك الاسم سر يحرك فيها شيئاً دفينًا، وكان ذاكرتها المتهشمة ما عادت تعرف: هل سمعت تلك القصة من أحد؟ أم أن تلك القصة هي حياة عاشتها من قبل؟

واصل الشمالي يخبرها عن القصص التي كانت ترويها لابنها كل ليلة، وتلك الجملة التي كانت تُنهي بها كل قصة " تذكر يا بني بأن الرب يُحب دعوة الداعي إذا دعاه " وعن رده حين كان يستمع لتلك الجملة، حيث كان يسألها قائلاً: " أي دعوة يا أمي ؟ .. فكانت تقول له بحب قبل أن يغمض عينيه وينام:  
" نعم أي دعوة "

كانت جومانا تستمع بإنصالات وقد شجب وجهها وعيناها تترقان بالدموع وشفتها ترتجف، بينما واصل الشمالي تذكيرها بكل شيء حتى وصل إلى الجزء الذي أخبرها فيه عن تجروعها السم من الجرة وموتها، فقالت وقد بانت عليها الحيرة:

- هل قلت بأنني تجرعت السم ومت ؟  
المحكيم متدخلاً وهو ينظر إلى الشمالي ويلومه:  
- أخبرتك بأنها لن تصدق هذا الجزء من الحكاية !!  
قالت نورس:  
- لقد جتنا إلى هنا من أجل أن ننتخلها من الكذبة التي أوهماها فيها،  
لا أن نكذب عليها.

ابتسمت جومانا من ذلك الرد الذي التمست فيه الصدق:

- هذه الفتاة الصغيرة تعجبني.

- شكرًا لك - قال الحكيم - أنا من أشرف على تربيتها بنفسي.

التفت جومانا نحو الشمالي وقالت تساءل:

- أخبرني كيف تجرعت السم ومت، ثم عدت إلى الحياة.

- أنت من سلالة الأباطرة، وقد أعطى والدك جبار الأمر لكونه  
أفعى الجن بأن تلقى عليك تعويذة نصف البرزخ؛ التعويذة التي  
عزّزت جسدك بروح إضافية، وجعلتك محمية من الموت الكامل  
.. وبطريقة ما .. عرف طاغين بالأمر وأدى الطقوس وأعادك إلى  
الحياة، ثم محا ذاكرتك، وأفقعك بأنك زوجته .. طاغين ذكي  
للغاية، وقد يكون أحد أذكي الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي  
يا سيدتي .. لقد فعل كل هذا من أجل أن يستفز عاصف في  
ليلة الزفاف؛ إنه يعرف عدوه جيداً، يعلم أن عاصف لن يسكت  
وسيهاجم، كاسراً الهدنة، وهكذا تكون لدى طاغين الذريعة الكاملة  
لقتله دون أن يلومه أحد، أما الآن، فهو يُقييك في قصره كحصن،  
لأنه يعرف أن أحداً لا عاصف، ولا أساطير، ولا أحداً من الأباطرة -  
سيجري على مهاجنته وأنت في قبضته، إنه بإعادتك إلى الحياة وخلق  
هذه الصورة الزائفة حولك يقوم بتحصين نفسه إلى الأبد ضد أي  
هجوم محتمل.

لم تقل جومانا شيئاً، وسقطت في دوامة من الصمت تنقادها الصور والنداءات التي تزورها في الأحلام، تارة تشاهد نفسها تقص الكتابات لطفل صغير، وتارة تشاهد نفسها وهي الملكة، فـأي الحبيتين حبقي وأيهما زائف !! .. هذا التمزق بين الـهـويـيـنـ، بين الأم والـزـوجـةـ، بين ماضـ لا تـذـكـرـهـ وـحـاضـرـ لـيـسـ مـتـأـكـدـةـ منهـ هوـ ماـ كـانـ أـكـبـرـ منـ قـدـرـتـهاـ عـلـىـ تحـمـلـهـ؛ فـفـقـدـتـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ أـعـصـابـهاـ وـصـرـخـتـ بـعـلـوـ صـوـتهاـ، ماـ دـفـعـ الحـكـيمـ لـأـنـ يـقـولـ:

ـ اهربوا !! إلى المخزنة !!

لكن الشـمـالـيـ حـلـ الحـكـيمـ يـدـ وـنـورـسـ يـدـهـ الأـخـرـيـ وـاتـجـهـ نـحـوـ النـافـذـةـ وهو يـقـولـ:

ـ هـذـهـ المـرـةـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـهـرـبـ بـالـفـعـلـ !!!

ثم فـتحـ النـافـذـةـ وـأـطـلـقـ صـافـرـةـ لإـكـلـيلـ الذـيـ كانـ مـاـ يـزالـ يـحـومـ فيـ السـمـاءـ بـيـنـ السـحـبـ، فـيـ تـلـكـ اللـحـظـةـ فـتـحـ جـنـودـ الـحـامـيـةـ بـابـ الـغـرـفـةـ وـأـقـتـمـواـ الـمـكـانـ؛ فـقـذـفـ الشـمـالـيـ بـهـمـاـ -ـ بـنـورـسـ وـالـحـكـيمـ فيـ الـجـوـ -ـ بـأـتـوـيـ مـاـ يـسـتـطـيـعـ، ثـمـ قـذـفـ بـجـسـدـهـ مـنـ النـافـذـةـ وـتـدـرـجـ فـوـقـ الـأـسـطـحـ حـتـىـ وـصـلـ الـأـرـضـ .. وـرـفـعـ رـأـسـهـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ لـيـنـظـرـ مـاـ حـلـ بـنـورـسـ وـالـحـكـيمـ؛ فـوـجـدـهـمـاـ يـحـلقـانـ بـعـيـداـ بـعـدـ أـنـ أـلـقـطـهـمـاـ طـائـرـ العنـقاءـ إـكـلـيلـ بـمـخـالـبـهـ وـابـتـدـعـ بـهـمـاـ بـسـرـعـةـ ..

أما هو فانطلق راكضا بكل ما أوتي من سرعة والجنود خلفه يصرخون وبطارونه وهم يحلقونه بالرماح والسيهام .. كان يركض وهو يعلم أنهم قد نجحوا في المهمة؛ لقد أعطوا جومانا ما يكفي لتبدا مرحلة الشك، لتساءل وتباحث، لنفكر وتنامل .. كان يعلم أن كل ما ينقصها الآن هو الوقت الذي سوف يبعدها إلى نفسها ويكشف لها الحقيقة.

ركض حتى بلغ أطراف الجزيرة،  
ثم ومن دون أن يتوقف .. قفز إلى البحر بطريقة عمودية، بينما توقف الجنود عند الحافة وأخذوا يتطلعون إلى المياه من تحتهم، لكنهم لم يروا شيئاً سوى زعنفة مضيئة معطية باللشوم تخفي في الأعماق السحرية ..

\*\*

## داخل غرفة الملكة

كانت جومانا واقفة عند النافذة وعييناها تائهةان في الأفق حين دخل طاغين فجأة بعد أن وصلته أنباء الاختراق الأمني، وخلفه اصطف عدد من أفراد الحاشية الملكية يتبعون الموقف بصمت متوتر، قال وهو يقترب من جومانا بقلق واضح:

- جومانا .. عزيزني .. هل آذاك أحد؟ .. أخبرني !!

وهي تستدير نحوه وتقول بوجه شاحب ولكن هادئ:

- لا، لم يؤذني أحد.

ضاقت عيناه وهو يتفحص ملامحها:

- ما بالك إذا؟! .. وجهك مضطرب ولو نونك شاحب.

- لا تشغل بالك، أنا بخير - قالتها وهي تتجه نحو الباب ولكنه

أمسكها من يدها:

- أقال لك هؤلاء الأنجلاس شيئاً!

ترددت قليلاً قبل أن تُجبيه قائلة:

- لا، لم يقل أحدٌ منهم شيئاً - وأضافت: أريد أن أبقى وحدي.

أفلت طاغين يدها ببطء وظلت عيناه وعيون أفراد الحاشية الملكية تراقبها وهي تغادر الغرفة بصمت وتنعطف عند نهاية الرواق لتختلي بنفسها ..

ترى ما الذي حلّ بجومانا تلك اللحظة لتبدو على كل ذلك النحو من الغموض والتكتم! وهل يُعد ذلك السلوك الغريب منها إذاناً بفتح بذور الشك التي زرعها الشمالي والحكيم ونورس بداخلها! ..

الوقت وحده سوف يثبت ذلك أو ينفيه ..



### المهمة الثالثة

عاصف بن بحر، أساطير الأباطرة  
الأرض السفلية - مملكة الحِنْد والبَنْ

يقع العالم السفلي في باطن الأرض، هناك حيث لا شمس تسطع، إنما أشعة خافتة خجولة تتسلل عبر ثقوب ضيقة في سقف السماء آتية من العالم العلوي، تنتاثر مثل ثمار ضوء باهت بالكاد تُنير بعض المساحات .. لقد وُجد عالم الأسفل في البدء ليكون منفيًّا للعصاة والمتمردين ومهبطًا لكل من لا تكفيه عقوبة الموت، لكن أولئك الذين تم نفيهم إلى هناك سكنوه وقاموا بتعميره والتكثير فيه حتى باتت الأرض السفلية عالماً مستقلاً له مالكه وشعوبه وأحكامه الخاصة.

في ذلك النهار .. وعند أطراف أحد مالك الأسفل؛ تكونت دوامة  
هوائية انبعث منها شخصان "أساطير و العاصف" وقد وقعا فوق نلة تطل  
على مملكة الجن والبن ..

العاصف وهو يُحدق إلى الأسوار العالية:

- هل تعتقد أننا سنجد سراجي هنا ؟

- أظن أن هذا ما سوف نعرفه في الساعات القادمة.

- أديك خطة للوصول إلى القصر الملكي ؟

أساطير وهو يمشي ناحية بوابة السور:

- اتبعني وسترى ..

\*\*

بخطوات واثقة سار أساطير نحو بوابة السور يتبعه العاصف، حتى  
وصل إلى حرم البوابة الخارجية لمملكة الجن والبن، وهناك توقف أمام  
كبير الحرس ورفع يده اليمنى كائفاً عن علامه تتوهج عند معصمه، كانت  
العلامة على هيئة مضلع ذي تسعة أضلاع مرسومة بداخله جبل تتوسطه  
عين مفتوحة ترمي كأنها عين حقيقة:

- أطلب الدخول إلى قصر الحكم ولقاء رأس السلطة.

ما إن رأى كبير الحرس تلك العلامة - في معصمه - حتى أعطى  
الإشارة لحراس السور بفتح البوابة وهو يقول آمراً:  
- قسمحوا قلهمَا قبل الدخول، وخذلُوهُمَا قَالَ الْقَصْرُ فَالْمُلْكِيَا.<sup>١١</sup>

\*\*

كانت هنالك عربة ملكية تنتظرهما بعد البوابة، صعد الاثنان إليها  
وجلسا على مقاعدها الجلدية متقابلين وعاصف يقول وهو بالكاد يصدق  
ما جرى:

- الحقيقة هي أنني كنت أظن بأن الأمر سوف يتطلب بعض الخطط  
والحيل لعبور البوابة ثم الوصول إلى القصر الملكي، لم يخطر بيالي أبداً أن  
الأمر سيكون بهذه السهولة.

- جرت عادة الملوك منذ القدم أن يفتحوا أبوابهم دون سؤال عندما  
يحل أحد جنابرة الأرض التسعة عليهم ضيفاً؛ فهم يدركون أننا لا نطرق  
الأبواب عبثاً ..

---

٢٢ هذه اللغة ئسى "زائيل المين" تم ذكرها برواية البشمرجي، وهي إحدى لغات العالم  
الغلي، تقتضي على إضافة حرف الكاف قبل الكلمة، وإضافة حرف الألف عند آخر الكلمة في  
المثلية، ترجمتها باللغة العربية: "اسحروا لهما بالدخول، وخذلُوهُمَا إلَى الْقَصْرِ الْمُلْكِيِّ".

عاصف وقد تذكر ملاحظة هامة:

- ظننت أنك لن تكشف عن هويتك لأحد بعد أن حذرت عائلة الزمہریر من التعامل معك، ألم تخش أن ترفض مملكة الحِنْ والِبِنْ استقبالك بعد أن يعرفوا بأنك أساطير ابن جبار الأباطرة؟

- قوانين عائلة الزمہریر لا تسري في الأرض السُّفليَّة - وأردف أساطير وكأنه يُصحح ما قاله: أو لنقل بأنها لا تسري بذات الكفاءة التي تسري عليها في مالك الأرض العلوية؛ وهذا ما جعلني أكشف عن هويتي هنا.

\*\*

## الطريق إلى قصر مملكت

### الْحِنْ وَالِبِنْ

تحركت بهما العربية التقبيلية على مهل يجرها مخلوقان من سلالة سُفليَّة ضخمة كأنها ثيران حديديَّة .. جلس عاصف مقابلاً لأساطير داخل العربية وقد انحنى قليلاً نحو النافذة الصغيرة وأخذ يراقب الحياة الخارجية من خلالها ..

لم تكن المعباني والطرقات نختلف كثيراً عن تلك التي اعتاد عاصف روبنها في مالك العالم العلوي، لكن الشيء الوحيد الذي جذب انتباذه حفماً هو ذلك التجانس الغريب بين الهيئة الشاذة والهيئة المألوفة، بين النشوء والجمال، بين الغرابة والطبيعة في مملكة الجن والبن .. حيث كان سكان هذه المملكة مزيجاً لا يُشبه شيئاً رأه من قبل، رأى رجلاً بجسد بشري ورأس حمار ضخم، يفترش الأرض ويبيع الأعشاب بأيدي بشرية، إلى جواره إنسية بجلد تماسح تمشي وهي تحمل رضيئاً له أطراف بشرية وذيل حيوان .. أدرك أساطير ما بنفس عاصف من حيرة فقال يوضح له السبب بينما ظلت عيناه - عيناً عاصف - معلقتين في زجاج النافذة يطالع تلك المناظر وكأنه ينظر إلى حلم يصعب تصديقه فقال يشرح له سير ذلك التجانس العجيب:

- يقال إن أحد الملوك الأوائل لشعوب الجن والبن، وحين بات عجزه عن مجاراة جيوش الملك الأخرى يهدد عرشه، لجأ إلى تجارب سحرية مزج فيها دماء البشر بدماء الحيوانات؛ فأنجب بذلك نسلًا مشوّهاً، لكنه نسل قوي استطاع أن يحمي به عرشه وملكته، وعلى مدى سنوات طويلة تكاثر ذلك النسل المشوه وأصبح يعيش جنباً إلى جنب مع بني الإنس الأصليين ليشكل كلا النسلين خليطاً مميزاً لسكان مملكة الجن والبن.

أراوح عاصف بصره عن النافذة ونظر إلى أسطير وهو يسأل:

أجاب دون مراوغة: نعم صحيح.

- لماذا؟

- سوف أجيبك بنصيحة كانت والدتي تاج تحب ترديدها كثيراً حين كانت على قيد الحياة، وهي أن تبقى أنفك مكانه ولا تحشره في شلوون الآخرين.

2

لم يمض الكثير من الوقت وما داشر القمرة حتى بدأت العربية تُخوض  
من سرعتها؛ الأمر الذي جعل أسطير ينحني إلى النافذة ويقول:

- استعد، لقد وصلنا ..

ما إن توقفت العربية تماماً حتى فتح الباب وظهر لها ما كائن بجسده  
بشيء ورأس تيس ضخمة، وعيون صفراء لامعة، كان يلوح بيديه وهو  
يتسم بابتسامة عريضة وكان الحماس والترحيب شيء من طبيعته قال وهو  
يولدي إلى أسطoir نعية خاصة:

- أهلا بك يا سيدى الجبار؛ مملكة الجن والبن تُرحب دائمًا بجباررة الأرض.

ثم قال وهو يوزع نظره بينهما:

- اسمي ثعل، وساكون دليلكما إلى مجلس الملك.

ثم تراجع خطوة إلى الوراء ليُفسح لهما المجال للنزول من العربية،

ويشير بيده وهو يقول:

- من هنا أيها السادة.

\*\*

سار أساطير بخطواتٍ واتقة نحو الداخل، وعاصف يتبعه، بينما انفلق باب العربية خلفهما .. كان المدخل المودي إلى القصر مفروشًا برخام أسود داكن أما السقوف، فقد تدلّت منها فوانيس صغيرة تبعث إبارة خافته تكفي لإضاءة الممرات، كانت أنفاس عاصف تتسارع كلما تعمق في أروقة القصر، وسؤالٌ واحد يتردد في قلبه:

"هل سأراها هنا؟"

عند نهاية الممر، توقف ثعل أمام بوابة مصنوعة من خشب أحمر، التفت إليهمَا وابتسم بحماس وهو يسأل:

- مستعدان؟

ثم قبل أن يتلقى من أحدهما إجابة قال بحماس وهو يرفع صوته:  
- مرجباً بكم في مجلس حكم مملكة الحين والبن ١١  
وفي اللحظة التالية، دفعت البوابة إلى الداخل، وبدأ مجلس الحكم  
يُكشف أمامهما ..



## مجلمن حكم مملكة العِنْ وَالِبِنْ

أعجبك هذا الكتاب، لا تنس زيارتنا على [تيليجرام](#)  
الكتاب، حيث نشارك أجمل الكتب وأدق التوصيفات\*\*  
<https://t.me/bookdescription1>

على جانبي المجلس، اصطف عدد من الشخصيات البارزة التي بدا  
انها أحضرت خصيصاً لهذا اللقاء بعد أن تلقى مجلس الحكم نيا وصول  
أحد الجيابرة التسعة .. بعضهم - بعض أفراد الحاشية - كان آدمي الهيئة،  
والبعض الآخر كان لهم أجسام بشرية ذات أطراف حيوانية، وعند الطرف  
البعيد من القاعة كان يجلس كبير الوزراء واسمه " مرياش " وهو رجل  
حاد الملامح، حليق الرأس، له عنق طويلة ينبت عليها ريش هو أقرب  
إلى ريش النعام.

ما إن دخل عاصف وأساطير إلى المجلس حتى انسحبت الهمميات،  
وساد صمتٌ مشبعٌ بالترقب .. تقدم الاثنان بخطى ثابتة في عمق المجلس  
المهيب والذي زينت جدرانه بصور لكتالنات بشرية تقاطع مع محلقات  
حيوانية في تشكيلاتٍ بصرية ساحرة أما السقف، فكان مُقبيلاً، ومُرصفاً  
بكربياتٍ زجاجية تبَثُّ وهجاً سماوياً متوجهاً كأنها ثارة شمس محطمة،  
وأصل الاثنان تقدمهما حتى بلغا منتصف المجلس، وهناك رفع الوزير صوته  
وهو يقول:

- مرحباً بك أيها الجبار أساطير، ومرحباً بضيفك، أخبرنا ما الذي  
جئتنا تطلبانه.

- جئنا نطلب رؤية الملكة سراي.

وما إن نطق الاسم حتى لاحظ أساطير أن هنالك حزناً تقليلاً مبالغة  
خيّم على المجلس، تبدلت الوجوه، انكسرت النظارات .. وبدت على  
الخاشية نظراتٌ دامعة، صادقة.

- لقد ماتت - قال الوزير بصوت مثقل بالحزن - ماتت في الحرب  
الأخيرة كما تعلم أيها الجبار، ومن بعد رحيلها، تقلدت زمام الحكم نيابةً  
عنها، حتى يكبر ابنتها غريد ويصبح بكمال الأهلية ليجلس على عرش أبيه  
وأمه.<sup>٢٢</sup>.

---

٢٢ ذكر برواية البيجيل أن سراي تزوجت من ملك مملكة المين والبن لأجل شريط واحد وهو أن يجعلها أقوى امرأة في الأرض الشفلى؛ كانت تردد أن تحصل على القوة لتعود وتساعد عاصف والأصدقاء في حربهم ضد طاغين، ولكنها رُزقت بطفل من الملك مدار، قبل أن يموت وتصبح هي الملكة لتلك المملكة بالنيابة عنه وتغير كل خطتها.

اندفع عاصف الذي لم تعجبه الإجابة وسأل بتهور:

- وأين الجنة، أين جنة سرافي ١١٩

لاحظ أساطير في تلك اللحظة نظرات الحاشية الملكية وهي تتغير، فالوجوه التي كانت تُنْصَت قبل قليل صارت الآن صلبة ممتنعة باستثناء مكحوم؛ ف العاصف لم يكن ضيقاً مرحباً به في هذا القصر؛ فهو العدو الذي كان يقاتلهم في الحرب الماضية وأزهق أرواح الكثير من رجالهم، وإن كانوا قد وافقوا على استقباله الآن فذلك ليس احتراماً له بل هو احترام لمن جاء معه.

هس عاصف:

- ما بها وجوههم متفرزة هكذا كأنهم ينظرون إلى شيء مقرف؟  
- لأنك كذلك بالنسبة إليهم هذا أولاً - قال أساطير هامستا - أما ثانياً فهو لأن سؤالك غبي، أكنت تريدهم أن يُحضرُوا الجنة ويضعوها أمامك هنا لتأكد من أنها ميّة ١٩

نظر عاصف نحو الوزير وقال مصححاً:

- لا أقصد أنني أريد رؤية الجنة الآن، ولكنني أقصد لماذا لم يرها أحد حين مات في الحرب؟

قال الوزير معترقاً:

- لقد كان ذلك خطأ فادحاً؛ ففي الحقيقة لم يكن ينبغي على أحد إعلان موتها ذلك اليوم؛ فقد أثار حينها الخبر بلبلة أضعفـت الروح القتالية لدى جنودنا - ثم أضاف بصوت وكأنه يلتسم فيه العذر لجنود جيش المملكة:

- ولكن من ذا يلومهم ! .. فقد كانت الملكة سراي محبوبة بين أفراد شعب مملكة الحين واللين، وكان رحيلها أكبر من قدرة الجنود على التزام الصمت أو البقاء في مواقعهم؛ فأخذوا جسـتها وانسحبوا بها فوراً؛ لكي لا يُدنس أحد من الأعداء طهـر موتها .. وقد قدمـنا لها عزاءً يليق بجلالتـها حين عـدنـا بجـثمانـها إلى هـنا وـقـمنـا بـدـفـنـها في المقـبرـة العـظـمى حيث يـُدـفـنـ الملـوكـ والمـلـكـاتـ.

ثم نظر الوزير مرياش إلى أساطير وقال له:

- يوسفـنا أـنـا لـمـ نـسـطـعـ تـلـيـةـ حاجـتكـ أيـهاـ الجـبارـ.

كان أساطير يُصغي ويزن الأمور بعقله، يلتفت النبرات وذبذبات الحزن  
في المجلس، كل شيء كان يُشير إلى أنهم صادقون: نبرة الوزير المثقلة  
بالحزن، الوجوم في عيون الحاشية الملكية وعلامات الشعور الصادقة التي  
لاحت على وجوههم حين ذكر اسم سرابي .. كل تلك الأمارات جعلت  
أساطير يلتفت إلى عاصف ويقول:

- ربما يكون الشمالي قد أخطأ في فرضيته؛ ربما تكون سرابي بالفعل  
قد ماتت.

- ولكنني أشعر بأنها هنا، وأستطيع الاحساس بنظراتها.

- هل نكذب كلامهم، ونصدق إحساسك؟!

- ارجع وحدك ..

- وانت؟

- لن أغادر حتى أتحقق ما جئت لأجله.

ثم أخذ شهيفاً عبيداً وصاح بصوت رج به أركان القصر أجمع:

- سرابي أعلم بأنهم يكذبون، وأعلم بأنك ما تزالين حية

دُوَّتْ تِلْكَ الْجَمْلَةِ كَضْرَبَةٍ طَبْلَ مَفَاجِئَةٍ،

وَقَدْ سَرَتْ فِي الْمَجْلِسِ هَمَمَاتِ أَفْرَادِ الْحَاشِيَةِ الْمُلَكِيَّةِ لِنَلْكَ التَّصْرِيفَ الْمُتَهَوِّرَ، حَاولَ أَسَاطِيرُ أَنْ يُوقِّهِ وَلَكِنْ عَاصِفٌ أَكْمَلَ بِهِصْبَعِ غَيْرِ مَكْتَرَثِ بَشَيْءٍ، وَعَيْنَاهُ تَمْتَلَّانَ بِدَمْوعٍ غَزِيرَةٍ كَطَفْلٍ يَسْتَهِنُ بِهِ حَزْنَهُ إِلَى نَجْمَةٍ بَعِيدَةٍ:

- لَقَدْ عَادَتْ أُمِّي إِلَى الْحَيَاةِ يَا سَرَابِيِّ، وَقَدْ اخْتَطَفَهَا طَاغِينَ ..  
وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ بِأَنِّي لَا أَحْبُّ أَحَدًا أَكْثَرَ مِنْهَا - ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ مِنْ بَيْنِ أَنْفَاسِهِ الْبَاكِيَّةِ:

- أَرْجُوكِ !! .. وَبِحَقِّ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْيَنَا .. بِحَقِّ كُلِّ نَفْسٍ تَشَارِكَنَا، كُلِّ ضَحْكَةٍ، وَوَعْدٍ، وَكُلِّ حَلْمٍ رَسَّمْنَا لِلْمُسْتَقْبَلِ لَمْ يَعْدْ مَوْجُودًا .. لَا أَطْلَبُكِ مِنْ أَجْلِ نَفْسِي، بَلْ لِأَجْلِ أُمِّيِّ، وَأَجْلِ الْحَقِّ، أَنْ تَسْاعِدَنِي !!

سَادَ السُّكُونُ،

حَتَّى الْهَمَسَاتِ تَوَقَّفَتْ،  
كَمَا لَوْ أَنَّ الْقَاعَةَ بِأَسْرِهَا كَانَتْ تَحْبِسُ أَنْفَاسَهَا، تَتَنَظَّرُ شَيْئًا مَا أَنْ يَدْخُلُ، أَنْ يَتَغَيَّرَ أَوْ يَتَحَقَّقَ .. غَيْرَ أَنْ وَقْتًا طَوِيلًا كَانَ قَدْ مَضِيَ دونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْئًا.

نصح الوزير برباش وهو يحدق نحو أساطير قبل أن يقول:

ـ لقد احترمناك أيها الجبار وأدينا واجب استقبالك كما يليق بشخص في مكانك .. بل ووافقنا أيضًا على أن يرافقك هذا الشاب على الرغم مما سال بيننا وبينه من دماء وأرواح .. لكن أن يُكذبنا، ويرفع صوته في مجلسنا بهذه الطريقة دون وجه حق؛ فهذا وحق الرب ما لا نقبله ولا نرضاه.

تحرك أساطير ببطء مفترضًا من عاصف،

وقف أمامه ونظر إلى عينيه ليطلب منه الصمت والرحيل،  
ولكن ما رأه هناك - في عينيه - كان كافيًا ل يجعله يتخذ قرارًا آخر ..  
أساطير لم ير في عينيه حزن عاشق على من يحب، ولو كان ذلك  
ما رأه لما حرك فيه شيئاً .. ولكنه رأى حزن المقهور اليتيم عندما  
يفقد أملاً أخيراً كان يتمسك به بكلتا يديه، مدّ أساطير يديه إلى عيني  
 العاصف ومسح دموعه:

ـ أخبرني أيها المتهور .. أنت متأكد من شعورك بأنها تنظر إلينا  
الآن؟ .. أم أنك سوف تجبرني فقط على أن أقول شيئاً سأندم عليه  
لاحقاً؟

ـ أنا متأكد !!

تمهل أساطير قليلاً وكأنه يفكّر فيما هو مقدمٌ عليه، فمن جهة  
كان كلام الوزير مقنعاً، ولكن الدموع في عيني ابن أخيه كان أكثر  
اقناعاً؛ لذلك لم يكن أمامه إلا أن يلعب بأخر ورقة لديه، الورقة التي  
كان قد أقسم ألا يكشفها مهما كانت الظروف:

- سرافي ١١

ثم وأساطير يرفع صوته أكثر:

- سرافي .. إذا كنتِ تسمعيني بالفعل؛ فهنا لك ما يجب أن تعرفيه  
قبل أن تخترقي الظهور أو الانسحاب إلى الأبد - عادت الهممات  
المعترضة تسرى في المجلس ولكن أساطير صاح عليهم سلطة لا يمنحها  
إليه القانون، بل تمنحها إليه قوته وسلطاته:

- ليصمت الجميع، قبل أن أصمتكم إلى الأبد ٤٤٤

فسكت الجميع خوفاً من ذلك الجبار بينما ارتفع صوت دقات قلبه  
خوفاً من تبعات ذلك السر الذي سبقوله، حتى خُبل إلى الجميع بأن  
هنا لك قلين ينبعان داخل صدره في دقات بعضها متزامن وبعضها

متعاقب ..

قال معترقاً:

- إذا كنت تسمعيني فاعلمي بأننا جئنا إليك اليوم لأن عائلة الزمهرير قد حكمت على نسل جبار الأباطرة بالموت، وهذا الحكم لا يشملني أنا وعاصف فقط .. بل يمتد أيضاً ويشمل تلك الطفولة التي عندما حاصرتك جنود طاغين فيما مضى قمت بوضعها داخل قارب خشبي وألقيتها في البحر؛ فساقتها يد الريح إلى حيث كنت على أطراف ممالك التنين.

هنا تحركت رقبة عاصف بحدة وهو يلتفت نحو أساطير كمن صُنِعَ بحقيقة لا تحتمل التصديق .. اتسعت عيناه وفيهما نظرة رعب عميق؛ إذا تلك الصغيرة - نورس - التي طعنته بصدره في الحرب الأخيرة وكادت أن تودي بحياته هي ابنته !! ..

- إذا كنت تسمعيني يا سراي - تابع أساطير - فاعلمي بأن نورس تكون ابنته؛ وبذلك تكون من نسل الأباطرة. هذه فرصتك الأخيرة أيتها الملكرة: فاما أن تقفي إلى جوارها بجيشك أو تركيها لحكم الزمهرير.

لحظات مررت دون ردة فعل،

ثم شمعت المفاصل الثقيلة للباب وهي تحريك بسط، ابفتح على باب داخلي، فوقف الحرس بانتباه شديد بينما هالك شخص يدخل المجلس بخطوات هادلة، رداؤه الأسود الطويل كان يتسحب على البلاط، وكل خطوة كانت محسوبة بمنفة العبران وكان الذي دخل جاء من عمق الزمان.

٦٠

## .. الشخص الداخل ..

ما إن شاهد الجميع - جميع أفراد الحاشية - ملامع الشخص الداخل حتى صنتوا وأحننا إليه رؤوسهم، حتى الوزير قد بدا عليه النعول وهو ينظر إلى ذلك الشخص، ووقف له احتراماً ثم أفسح المجال له ليجلس فوق الكرسي، كان منظرها مهيباً وهي تجلس مكانه، تاجها المثبت فوق رأسها، خواتتها التي تلمع في أصابعها النحيلة الطويلة، شعرها المنسلي المناسب بهدوء فوق كتفيها، نظراتها الحادة، أنفاسها المتزنة، وهيئتها التي تنضح بجاذبية طاغية .. كل ذلك كان يجعلها تبدو وكأن لا شيء يلبي عليها غير أن تكون ملكة: لقد كانت سرايا التي لولا السير الذي سمعته للتو لكان قد واصلت تنفيذ مسرحية الموت التي اتفقت عليها مع أفراد حاشيتها.

لحظات من التوتر طفت على الفراغ قبل أن ترفع الملكة يدها، وتقول بصوت قوي آخر، كأنه قرع معدني:

- قليغادر فأفراد فالحاشية قالملكية قالمجلس قفوازا.<sup>١٤</sup>



.. انتهاء المهمة الثالثة ..

كانت العربية تسير ببطء فوق الحصى المبعثرة .. العربية التي يجرها مخلوقان من سلالة سُفلية من الثيران الحديدية؛ فيتمايل هيكل العربية بشكل خفيف بينما عاصف يحدق عبر النافذة الصغيرة، ولكن هذه المرة لم يكن يشاهد سكان مملكة الجن والبن ويتأمل في خلقتهم الغريبة، بل كان يستعيد في ذاكرته مشهد سرافيي بعد أن ظهرت وأشارت إلى أفراد حاشيتها بمعادرة المجلس .. كان عاصف حينها - وهو يراها - يشعر بمزيج غريب ما بين أكثر من شعور: إنها خبء الأول، وعدوه الأخير، هل يُعانقها أم يُهادر بالهجوم؟ ..

أما سرافي فقد اعتدلت بجلستها وهي ترفع رأسها ببطء، وتحدى نحو عاصف بعينيها اللتين كانتا تُشبهان بحيرة ساكنة تُخفي باعمقها كنزاً من الأسرار. كل روح في هذه الحياة تولد ناقصه، فيظل صاحبها طوال عمره يبحث عنمن يُكملها، وكانت سرافي هي الروح التي تُكمله، ولكنها قالت بصوت حازم كما لو أنها كانت تقرأ ما يدور بعقل عاصف قوله:

- لن أتحدث عن الماضي، ولا عن شيء آخر، ظهرت لكما الآن لأنني قررت التدخل، سأقود جيشي إلى الأرض العلوية، وسأتحالف معكما فقط لأحمي ابنتي، ثم تنتهي علاقتنا عند ذلك الحد.

وفجأة - وبينما هو في العربة - وما يزال ينظر من خلال النافذة، تسللت إلى عقله ذِكرى قديمه، عندما قالت له سرافي ذات مرة بأنها غيمته الممطرة عندما تجف كل بحور الأرض ويهمل جمِيع من في العالم عطشاً، كان يود حينها - وهو ينظر إليها في المجلس - أن يقول لها: "لقد جفت بحور الأرض يا سرافي، وهلك العالم عطشاً، وغيمتي التي وعدتنا بالسُّقيا، خانت وعدها ومضت لتمطر في مكان آخر" .. ولكنه أشفق على نفسه من أن ثُمان كرامته أكثر مما أهينت؛ فاحتى رأسه مكتفياً وبعد التحالف الذي قطعه لهما، ثم قال وكأنه

غريب عنها:

- الذي لنا بالانصراف أيتها الملكة.

وبينما العربية كانت تمضي بهما في طرقات مملكة الحين والبن الوعرة،  
نكلم أساطير بصوت متهدج يُخبر عاصف بالسر الذي جعله يقتل  
زوجته حريراً لقد قرر أن يكشف ذلك السر الذي لم يخبر به أحداً من  
قبل وكانه بذلك أراد أن يمرر إلى عاصف رسالة ما:

- كان اسمها حريراً .. وكانت أكثر ما أحبت في حياتي كلها.

ثم أكمل وهو يحدّق من خلال النافذة:

- كانت من نسل مختلف .. من نسل الجليد، لم أخبر والدي بالأمر  
كنت أعلم أنه سيرفض، وأنني إذا أصررت على الزواج منها فإنه سوف  
يأمر بانتزاع قوتي ثم يطردني من العائلة؛ ولذلك تركت عائلة الأباطرة خلفي  
دون أن أخبرهم، ومضيت معها بعيداً لأتزوج منها وأقيم معها بين أهلها  
مؤمناً بأنني أخيراً وجدت السلام .. حتى جاء اليوم الذي اكتشفت فيه  
الحقيقة.

هنا توقف أساطير قليلاً وقد بدا صوته مختنقًا، قبل أن يستجمع  
قوته ويكمل:

- لم تتزوجني حجاً بل طمعاً في دمي؛ أرادت مولوداً يحمل في عروقه  
دماء النار والجليد، لما فيه من خصائص تمنع من يستحم بها شباباً  
متجلداً وقوة لا تنفد.

خفض راسه، كان الكلمة الأخيرة أتقلت كتبه ثم أردف:

- لقد سمعتها بالمصادفة تخبر والدها بأنها ستقدم له دماء الطفل  
قرياناً، ثم تدعى لي بأنه مات لحظة ولد .. كنت أستطيع قتلها لحظة  
اكتشاف الحقيقة يا عاصف، لكنني انتظرت حتى وضعت المولود وقتلتها  
يدلي.

ذلك الاعتراف أخرج عاصف عن صمته وجعله يسأل:

- أصبحت ما يُشاع بأنك أكلت قلبها؟

- هذا ما ظنه الجميع، ولكن ذلك لم يكن الوصف الدقيق الذي  
حدث، لم أأكل قلبها .. بل أخذته من صدرها ووضعته إلى جوار  
قلبي، فمتي يجررك أحدهم على حبه يا عاصف يصبح قلبه ملكاً لك  
إلى الأبد.

هنا ارتجف شيء داخل عاصف وقد أدرك الحقيقة؛ فذلك النبض  
الذي سمعه يتزداد في صدر أساطير - في مجلس حكم مملكة الجن والبن  
قبل أن يكتشف عن حقيقة نورس - لم يكن وهمًا؛ بل كان حقيقة دامغة؛  
فأساطير يملك في جوفه قلبين، قلبه وقلب حرير.

تابع أساطير:

- كان يسعى أن أعود إلى عائلتي، وأجثو أمام قدمي والدي جبار وأظهر له التدم وأطلب المغفرة، ولكنني قررت أن أكون رجلاً وأنتحمل نتيجة اختياري.

ثم أردف ببررة حادة قوية:

- أعلم بأنك تحب سراي، ولكن عليك أن تكون رجلاً وتحمل أقدار الحياة، لا تتعلق حياتك بشخص قرر أن يتجاوزك مهما كانت أسبابه وجيهة وقوية، لقد اختارت سراي أن تتجاوزك؛ عليك أن تكون رجلاً، وتمضي دون أن تلتفت إليها.

كان هنالك شيء ما جعل عاصف يسأل:

- وقلبها؟

- نحن لا نجير أحداً على البقاء معنا يا ابن أخي، ولكن أولئك الذين علقونا بهم، وأجبرونا على حبهم، تصبح قلوبهم ملكاً لنا إلى الأبد.

- أقصد أن تقول!

- نعم؛ متى ما انتهت حرمتنا مع طاغين، دعها ترحل ولكن بعد أن تأخذ من صدرها ما هو لك.

أغمض عاصف عينيه وأسند رأسه إلى مسند أريكة الجلد التي كان  
يجلس عليها بينما راحت العربية تواصل طريقها نحو بوابة السور؛ وهو  
يفكر بنصيحة خاله، ولكن الحقيقة التي لا يعرفها عاصف حتى هذه  
اللحظة والتي - ربما لن يعرفها أبداً - هي أن سرافي ما زالت تحبه  
ولكن هناك ما يمنعها من الاعتراف له .. ودليل استمرار حبها له هو  
أنها كانت نفس الشخص الملثم الذي تدخل في اللحظة الأخيرة ليُنقذنه  
ويُنقذ الحكيم والشمامي عندما كانت فرقة الإعدام تتجهز لقتلهم فوق  
منصة الاعدام التي نصبها لهم طاغين في قرية الجئاسة.

\*\*

في هذه الأثناء،  
وفي مكان آخر في العالم العلوى،  
كانت الحياة تُحيلك لعاصف مفاجأة غير متوقعة،  
حيث جلست أمه جومانا أمام نافذة طويلة داخل إحدى حجرات  
قصر ملكة أبيايل .. جلست وحدها هناك تحدق إلى البحر وفي ذهنها  
شيء واحد: لقد كانت تفكر به.

# الباب الخامس



## الغابة المظلمة

كان الضباب ينساب بين جذوع الأشجار الضخمة والهلوء يلف المكان بهالة من السكون، عاصف كان واقعاً إلى جوار جذع مائل يمسد رأس حصانه سابع، بينما ابنته نورس جلست على الجذع وهي تُحدق إلى الأرض قبل أن ترفع رأسها وتسأل:

- ولماذا لم تبحث عن طوال هذه المدة يا .. - وصمتت قليلاً وكأنها متربدة ما بين أن تناديه عاصف أم تنادي أبي ولكنها اختارت في النهاية أن تناديه بالطريقة التي ترتاح لها: يا عاصف ..

صمت لبعض الوقت وكأنه متعدد، فقالت وكأنها فرأت ما يفكر به:

- قل الحقيقة، ولن يضيق صدري منك - وعادت تكرر:

- هل بحثت عنِّي؟

- في تلك الأثناء يا نورس كنت ملائكة على أبييل بعد أن سلمتني جدي جبار المُلك من بعده، ولكن طاغين وأتباعه من منظمة الجاثوم هجموا على القصر وسلبوا العرش .. فانهار كل شيء فجأة، ثم لحقت بنا بعد ذلك أحداث مؤلمة: حروب، وخيانات، وقد .. لقد كنا منشغلين بمحاولة الحفاظ على أرواحنا وسط فوضى لا ترحم، أما أنت فقد كانت احتمالية نجاتك من الغرق شبه معروفة، البحر هائج، والرياح عاتية، وأنت طفلة وحيدة في زورق صغير تتقاذفه الأمواج. لم تخيل أنكِ نجوتِ، ولو كنت أعلم بذلك، لجئت العالم بحثًا عنكِ.

لم تكن تعرف ما إذا كان عليها أن تحزن لأنَّه لم يبحث عنها، أم أن تلمس له العذر وسط تلك الفوضى التي ابتلعتهم جميعاً .. وبين هذا الشعور وذاك آثرت أن تصمت وتطرق برأسها نحو الأرض تُفتش بين الأفكار عن مشاعر لم تُحسِّم بعد، حتى قاطعها عاصف:

- ولكن هذا لا يعني أنني لم أفكِّر بكِ.

- كنت تفكري بي كل يوم؟

- نعم؛ كل يوم.

- وأمي؟ - ثم أردفت و كانها نسيت - ماذا فلت كان اسمها؟

- سرالي ..

- آه نعم تذكرت، سرالي ..

- ما بها، لماذا تسألين عنها؟

- الان ثانية من أجل رؤيني؟

- لا

- لماذا؟

- لقد فترت الظهور مع جيشهما قبل الحرب بأيام، سوف تحالف معنا  
لأجل حمايتك.

- وبعدها؟ - قالت متسائلة - هل ستعود للعيش معنا؟

- لا، ولكن قلبها سيكون معنا.

- ماذا تعني بأن قلبها سيكون معنا؟!

لم يعرف كيف يشرح لها؛ فقال: والدتك قد اختارت حياتها؛ ولا أعتقد  
أن هنالك مكاناً لك أو لي في تلك الحياة التي اختارتها.

- لا بأس؛ لقد عشت بدونها، وأستطيع المواصلة بدونها أيضاً.

لقد قالت ذلك من وراء قلبها؛ إذ كانت تمنى لو أن الحياة تصالحها عن  
كل الأيام التي عاشتها بلا أم وتردها إليها؛ فرغم أن غياث لم يغتصب يوماً،  
وكان لها ملاذاً وسندًا، إلا أن لا أحد - كائناً من كان - يستطيع أن يسد  
الفراغ الذي تركه الأم.

- هل أستطيع أن أطلب منك شيئاً يا عاصف؟

ما إن قالت ذلك حتى أحس بشيء ينقبض في صدره؛ نبرة صوتها كانت حادة، وقوية بطريقة لا تُشبه نبرة صوت من هم في مثل سنها، وخاف - وهو الذي لم يكن مستعداً لفقد آخر - خاف أن تقول له شيئاً مثل:

” كما تخلت عنِّي أمي، أريدك أنت أيضاً أن تبقى بعيداً ”

ولأنه جبان أمام المشاعر، لا يعرف كيف يواجهها إلا بالهرب، فقد امتطى ظهر حصانه كمن يستعد لأن يختفي في اللحظة التي سوف تطلب فيه بالرحيل، فقال من فوق ظهر سابع وهو ينظر إليها بثبات:

- اطلي، وسأفعل أي شيء لأجلك.

- أي شيء .. أي شيء؟

- نعم، أي شيء.

- أريدك أن تدعني بألا تموت.

أحس بسعادة لا توصف وهو يستمع لطلبه ذاك، وتمتنى أن يُعانقها تلك اللحظة ولكنه لم يكن يعرف كيف يمادر، هو الذي عاش حياته متقللاً بين حرب وحرب لم يكن يُجيد المبادرة في شيء غير الطعن والقتال ..

- ماذا قلت؟ .. هل تدعني؟

لم تكن عادته أن يقطع وعوًداً بالبقاء، لا سيما عندما يتعلّق الأمر  
بخوضه حروباً قادمة؛ فالوعد قيد؛ والمحارب الحقيقي لا يُحسن القتال  
بقلب مقيد، لكنه رغم ذلك اختار أن يكسر هذا الاعتقاد لها ومن  
أجلها؛ فما بينه وبينها عمر كامل من الغياب ووعدٌ واحدٌ يكفيه لأن  
يبدأ من جديد:

- أعدك بألاً أموت.

هنا ارتمت في حضنه ببراءة الصغار وقد اسقطته من فوق ظهر سابع،  
ثم قالت وهي تلعن وجهها في قميصه:

- هنا أول وعدٍ أتلقاه منك كأب، ولن أسامحك إذا أخلفته.

كان حضناً بطعم الحياة، قال وهو يطوق ذراعه عليها ويشعر بسعادة  
غريبة تغمر قلبه:

- مهما حدث، لن أخلف هذا الوعد.

\*\*

في تلك الأثناء ..

كان أساطير واقفاً خلف إحدى نوافذ قلعة الأباطرة ..

يراقب المشهد من بعيد: مشهد نورس وهي تُعانق والدها في الغابة،  
واكتشف بأن قلبه الذي كان يظنه حديداً، هو الآن على وقع ذلك  
المشهد يتهمّش إلى أجزاء صغيرة.

قال يتحدث إلى الشخص الذي كان يجلس وراءه:

- ألاكون قد أخطأت عندما كشفت السر؟

- لا يا سيدى - قالت نارا - لقد فعلت ما كان ينبغي عليك أن تفعله بالضبط.

قال وهو ما يزال يُحدق إليهما من وراء النافذة:

- أتعلمين ما الذي أشعر به الآن؟

- ماذا؟

- بذات الضياع الذي اجتاحني في الماضي عندما أدركت فداحة خطفي، الخطأ الذي اقترفته حين هجرت عائلة الأباطرة من أجل الركض وراء شيء لا يستحق .. ثُرى من ستختر نورس البقاء إلى جانبه بعد انتهاء الحرب بظنك، هل ستعود معي إلى ممالك التنين أم تختر البقاء هنا مع والدها؟

مستفولة ذلك الحوار انحرفت نارا بالحديث نحو موضوع كانت وكأنها تنتظر الوقت المناسب لفتحه:

- ما تزال أمامك فرصة لأن تُرزق بنورس أخرى.

التفت إليها ببطء وكأنه صُدم من ذكرها للموضوع:

- أنتِ تعلمين بأنني أغلقت هذا الباب إلى الأبد.

قالت نارا:

- ليس كل النساء مثل حرير - ثم أضافت وهي تتأمله كما لو أنها كانت تريد أن تفيس أثر كلماتها عليه من خلال استجابة ملامحه لما سوف تقوله:

- ريحانة مثلًا ..

نطلب حاجبيه وهو يسأل: ما بها ريحانة؟

- إنها فتاة طيبة ومناسبة لأن ترتبط بها - وأردفت تقول:

- ومع أنها إنسية يا أساطير، إلا أنني لا أظن بأن - وهنا قطعت عبارتها فجأة؛ وكأنها أدركت في اللحظة الأخيرة بأنها كادت أن تنقض سرًا لا يجوز أن يُذاع في هذا الوقت؛ فأعادت ترتيب جملتها بسرعة وكلها رجاء أنه لم ينتبه:

- ومع أنها إنسية إلا أنني أظن بأن الأباطرة لن تمانع زواجك منها. أساطير لم يعلق واكتفى بأن حول بصره إلى النافذة من جديد مستترفًا في صمته. أما نارا فقد تنفست الصعداء في الخلف؛ إذ نجت لتوها من زلة لسان كانت لتكتشف الاسم الذي يجب ألا يقال، الاسم الذي سوف تتحرك من أجله عائلة الزمہریر بقوة أكبر وغضب أعنف حين يُعرف بأن صاحبه قد عاد إلى الحياة أيًضاً.



.. الاحتفاء ..

في ذلك المساء،

ويبنما كانت ألسنة النار تترافق في الموقد، تنشر دفناً لذينما معاً برائحة  
الخطب - ساد القلعة - ولأول مرة منذ وقت طويل ضحلَّ حقيقى انبثق  
من قلوب أنقلتها ثلاثة مهَمَّاتٍ انتهت بنجاحٍ فاق كل التوقعات، نجاحٍ  
دفع بالحكيم إلى اقتراح إقامة حفلٍ مصغر لأجل الاحتفاء بهذه المناسبة  
التي كان يراها تستحق الاحتفاء .. في البداية رفضت تارا الفكرة تماماً،  
لكن بقية الأصدقاء اصطفوا خلف اقتراح الحكيم، مما اضطرها في النهاية  
للرضوخ إلى مطلبهم ولكن بشرطٍ وحيدٍ:

- لا خمور ولا نساء !!!

ورغم احتجاج الحكيم إلا أنه لم يجد هذه المرة من يقف معه؛ فاضطر إلى قبول جزئي بالشرط:

- حسناً، لا خمور ..

فقالت تارا بثبات وكأنها تضع خطأ تحت الشرط الآخر:

- ولا نساء !!

- ولكنني أعرف فتيات صغيرات، يتيمات سيفرحن كثيراً لو أنها عطفنا اللبلة عليهم ودعوناهن لمشاركتنا الاحتفاء.

نورس وقد أشفقت عليهن:

- اسمحي له يا تارا بأن يدعوهن، أرجوكم !!

التفتت تارا نحو الحكيم وقالت:

- وأين هن ؟

- يعملن راقصات في حانة قريبة ..

ارتفعت بعض أصوات الضحكات، بينما قالت تارا:

- لا نساء ولا خمور !!

التفت الحكيم نحو نورس فوجدها وقد قطبت جبينها، فقال على مضض وقد أدرك أنه فقد الداعم الأهم بالنسبة إليه:

- حسناً، كما تشاوفون يا قتلة المتعة.

جلس الجميع في دائرة حول المائدة الحجرية: نورس، عاصف، ساطير، ريحانة، فرج التنين رعد، بينما الحكيم يملأ القاعة ضجيجاً وهو يسرد عليهم أحداث مغامرته الكاذبة: ابتداءً من إنقاذه الشمالي ونورس حين كادت السائرات الثلاث أن يفتكن بهما، ثم كيف فتح باب السردار بذيله، وقاد المهمة حتى الوصول إلى غرفة جومانا، وكيف أنه - ولو لا احترامه لعلاقة صداقته بعاصف - كون تلك المرأة والدته، لكن قد أسقطها في فخ حبه الأبدي .. ورغم علم الجميع بأنه يكذب إلا أنهم كانوا يسألونه عن - أدق - التفاصيل، وكان يرد عليهم بإجابات جاهزة لا تخطر على البال، وكان الكذب كان يجري في جوفه مجرى الهواء والدم ..

كانت ضحكاتهم في ذلك المساء تعلو وتختفت مع استمرار الحكيم في اختلاق بطلاته، بينما في ركن آخر من القاعة، وقف الشمالي قرب إحدى النوافذ، يمسك بيده مشروبه الذي يُحب "كوب من الحليب الدافئ الممزوج بخيوط الزعفران والعسل" وعيناه تحدقان إلى الخارج عبر النافذة، ينظر إلى حيث كان طائر العنقاء [كليل مستقراً على أحد أسوار القلعة يودي واجبات المراقبة دون كلل أو ملل ..

أخذ الشمالي رشة من كوب الحليب، ثم قال يوجه سؤالاً هاماً إلى  
تara حتى لا يشغل بال البقية ويخرجهم من جو المرح المؤقت الذي هم  
فيه:

- كم تبقى أمامنا من وقت على حكم الزمهيرير ١٩

تara وهي تنظر نحو القمر:

- عشرة أيام تقريباً

- أهناك أخبار من العين الخاصة بنا داخل القصر؟

- نعم؛ لقد أبلغني بأنه لاحظ تغيراً واضحاً على سلوك جومانا؛  
وهذا يعني أن حدثكم معها قد بدأ يوئي ثماره، وما هو إلا وقت قليل  
حتى تعود إلى رشدتها وتهرب إلينا.

\*\*

قصر مملكة أبابيل

.. جلاح الحرب ..

كان الليل قد غطى سماء المملكة في ذلك الوقت،  
لكن داخل الجناح العسكري في القصر لم يكن للراحة مكان بعد أن  
وصلت لطاغين أخبار مؤكدة تشير إلى استعداد تحرك أساطير وعاصف  
ضده .. عشرات المخايط مُدت على الطاولة، بينما وقف طاغين متكتئاً  
بيديه على حافتها ومن حوله وقف كبار قادة الإنس والجن يقتربون  
عليه الخطط ..

قال أحد القادة وهو يشير إلى رموز موضوعة فوق الخريطة:

- لقد رصد المستوفون استعداد بعض القبائل للتحرك؛ مما يشير إلى أنهم قد استجابتوا لدعوة أساطير وعاصف، كما وصلتنا أنباء بنشاط غير معناد قرب سلسلة الجبال المحرمة التي تسيطر عليها قبائل الأشواص.

أوما طاغين برأسه وهو يقول:

- كلما كثرت رؤوسهم، كلما زادت فرصتي لي فطعمها جيئا بضررية واحدة.

في تلك اللحظة طرق أحدهم باب المخاج العسكري، فالتفت الرؤوس نلقائيا نحو المستشار "أشور" وهو يدخل من الباب ويسير متقدرا من الطاولة وقد بدا أنه يحمل أخبارا عاجلة، قال وهو يدنو من الملك وبهمس في أذنه:

- إن سيدني الملكة مختبأة.

لم ينم طاغين أن بنى قلق البقية، فهو متساللا:

- منذ متى؟

- لم تشاهد اليوم لي جناحها، والخدم يقولون بأنهم لم يشاهدوها منذ الليلة الماضية.

قال وقد بدا عليه القلق:

- أتعني أنها غادرت القصر؟

- لستُ متاكداً يا سيدى، ولكننى أظن ذلك.

- ارسلوا من يبحث عنها ..

المستشار وهو يغادر " سمعاً وطاعة " بينما قال طاغين وكان  
فطنته جعلته يستدرك شيئاً:

- آشور ..

- أمرك يا جلاله الملك؟

- ارسل من ثق به ليقطع عليها الطريق، في حال أخذتها أقدمها إلى  
الغاية المظلمة.

# النهاية



## نهاية الحفلة

في وقت متأخر من الليل،

وبعد انتهاء الحفلة وذهاب الجميع للخلود إلى النوم .. كان  
هنا لك لحاف نوم يتعدد شخص ما أسفله وهو يحدق إلى السقف  
وفي قلبه ضجيج لا ينام، إنها نورس التي لم تكن نائمة تلك اللحظة  
ولا مستيقظة، بل كانت - بين بين - في تلك المسافة الرمادية  
التي تضيّع فيها الحدود ما بين العقل والحلم، وسؤال واحد يقضّ  
مضجعها: أين ستعيش، بعد أن يتهمي كل شيء؟

هل تعود إلى مالك التنين مع ريحانة وأساطير، أم أنها سوف تظل هنا مع والدها الحقيقي؟ .. ذاك الذي بدأت تشعر نحوه بشعور جميل لا تستطيع أن تسميه ..

نعم؛ لقد أحببت عاصف  
وأحسست بانجذاب فطري نحوه،  
إحساس دافئ لا يُشبه شيئاً عرفته من قبل ..  
إنها لا تفهمه - لا تفهم هذا الإحساس - ولا يهمها أن تفهمه، كل ما كانت تعرفه هو أن رؤيتها له كانت تُشعرها بالطمأنينة، كان حديثه، نظرته، ونبرة صوته حين قال لها: "أعدك بألا أموت" كل تلك الأشياء كانت توقف بداخلها إحساساً خفيّاً بالأمان والانتماء.



!كليل، طائر العلقاء ..

### الجولة الليلية

بدأ الفجر يتسلل ببطء على سماء المملكة،  
وكان النسق الأول للصبح يُلون الضباب بخيوطه الرمادية الأولى بينما  
طائر العنقاء يحلق وحده في الأعلى؛ موديًّا جولته المعتادة مراقبًا الطرق  
ويحمي حدود الغابة المظلمة من أي كمين محتمل، وفجأة توقف وهو  
ينظر هناك:

على الطريق الممتد نحو الغابة المظلمة شاهد شيئاً

كان الشيء الذي شاهده عبارة عن امرأة تركض وهي تلتفت خلفها من حين إلى آخر، بينما هنالك ظلال أربعة داكنة لا يمكن تمييز ملامحها كانت تندفع في أثرها

ومن ذلك الارتفاع الشاهق،  
ومع وجود كل ذلك الضباب الكثيف ..  
كان من الصعب عليه أن يتبيّن بدقة ما الذي كان يحدث؛ فخفض من ارتفاعه ليمنع نفسه رؤية أفضل، وما إن فعل ذلك حتى استطاع أن يرى ملامحها بشكل جيد، وما إن رآها حتى ارتجف جناحاه ودق قلبه بقوة ..

إنها !!

نعم إنها هي !!!



## عاصف

كان يركض وحيداً في أرضٍ محترقة، وثمة ذئب جائعة تطارده  
وامرأة تناديه باسمه من مكان لا يراه وتحذرها مما هو قادم، أراد أن  
يتحدث مع تلك المرأة ولكن صوته كان محبوساً في صدره وكان  
أحلهم قد انتزع منه حالة الصوتية، ثم سمع صوتاً خافضاً يُشبه الطرق  
على الزجاج كان آتياً من خارج العالم .. وهنا فتح عينيه واستوعب  
أن كل ما رآه - الركض، الذئب، صوت المرأة، وعدم قدرته على  
الكلام - كل ذلك كان حلمًا ..

استند على السرير في الغرفة الغارقة في الظلام، والعرق يليل جبينه،  
ولكن صوت الطرق كان ما يزال مستمراً فالنفت نحو النافذة وشاهد  
إكليل يطرق الزجاج بمنقاره، بينما كان يقف على حافة الإطار وعيناه  
تلمعان بقلق، نهض عاصف وفتح النافذة:

- ماذا هناك يا إكليل؟

- رأيتها ..

- رأيت من؟

- امرأة تقترب من الغابة، تركض بخطوات متسرعة، وهناك أربعة  
طلال تطاردها، اعتقاد أنها والدتك.

للحظة لم يتحرك عاصف وظل واقعاً مكانه يحدق في وجه إكليل  
كانه يحاول أن يتتأكد مما سمع، ثم فجأة خرج صوته حاداً بينما انقبض  
قلبه بقوه:

- أنت متتأكد مما تقول ١١٩

- لم أقرب أكثر، لكنني رأيتها من الأعلى، وأستطيع أن أرجع إلى  
حيكبير بأن تلك المرأة التي رأيتها تركض نحو الغابة هي ذاتها جومانا  
ابنة جبار الأباطرة.

## هل يعقل ذلك ١٩

"هل نجح الشمالي والحكيم ونورس في جعلها تستعيد ذاكرتها أخيراً وتذكر ١٩ .. كان هذا السؤال هو ما دار بعقله وهو يرتدي عباءته الداكنة ثم ينظر إلى إكليل ويقول له:

- لا توقظ أحداً

- لكن ..

قاطعه عاصف بحزم قبل أن يكمل:

- قد يُصيّبها الفزع إن رأت جمعاً مئاً بانتظارها، يجب أن أكون أول من يراها ووحدي.

هزّ إكليل رأسه امتثالاً للسمع والطاعة، ثم أضاف:

- سأرشدك إلى المكان، وسأظل هناك، وإن احتاج الأمر سأهاجم من الأعلى ..

أوما عاصف موافقاً ثم أسرع إلى باب الغرفة فتحه بخفة، وتسلى إلى الممر الحجري دون أن يُحدث أي صوت قد يُوقظ به أحداً، هبط سلام الدرج بسرعة؛ متقداماً مواضع الخشب الصدئ حتى لا يُصدر صريراً يكشف تحركه ..

وحيث ملئ الناس المغاربي فنهج وضيق نحو ثغرة، عباءة مُشتّتة  
نحو الأعلى - حيث إكيل - يقوده إلى نعْكَان الذي شاهد فيه  
حومان.

٦٠

في ذلك الوقت،  
كانت نورس جالسة على سريرها،  
ما زالت غارقة في دوامة أفكار لا تهدأ، حين لمحت أحدها بعابر  
برواة القلمة ١١

اقترن من النافذة بسرعة، ففتحتها، فرأى والدها - عاصف - يركض  
كالسهم نحو الغابة .. الهواء البارد حرك خصلات شعرها وعينيها  
اتسعتا بدمعة وهي ترى المخالف الفولاذية قد خرجت من يده وعبد  
البُسرى توحّج باللون الأحمر.

لم تتردد،  
وغادرت القلمة،  
ثم بدأت ترکض خلفه - لا لزواجه - بل لأنها لم تستطع أن تدعه  
يذهب وحده .. لم يكن الفضول ما دفعها، بل كان شيئاً أعمق، شيء،  
يُنبئ الخوف عليه.



## جومانا ابلة جبار الاباطرة

- عودة الذاكرة -

كان نورُ الصباح لا يزال يتحسّس أطرافَ السماء، حين بدأت  
الظلال الأربع تقترب بخطى ثابتة من جومانا، التي كانت ترکض  
بكلّ ما أوتيت من سرعة، محاولةً بلوغ الغابة والاحتماء بتعويذتها  
القديمة؛ تلك التعويذة التي تمنع أيّ دخيل لا يتنمّي إلى نسل  
الأباطرة من الدخول إليها إلا بإذن الحارسة .. لم يكن أمامها للنجاة  
من تلك الظلال المهاجمة سوى ذلك الخيار الوحيد: أن تصل إلى  
الغابة قبلهم.

كانت خطواتها سريعة،

لكن الظلال الأربعة كانت أسرع منها، وكانت تقترب ..

وفي اللحظة التي بدا فيها أن أحدهم قاب قوسين أو أدنى ليمسك بها قبل دخولها الغابة، انشق من بين الأشجار الخضراء الكثيفة صوت مفاجئ .. صوت مخالف تعرّق الهواء، ليقفز عاصف ويُمزق بمخالبه الفولاذية عنق الظل القريب، ثم يستدير نحو الثلاثة الآخرين ويندفع نحوهم في قتال عنيف ..

لم يكونوا جنوداً عاديين ..

كانوا مردة من الغيلان ضخام الجسد، غلاظ القلوب،  
أعينهم معتمة لا يظهر فيها بريق، وجلودهم متشققة كأنها ثدت  
من أحجار البراكين .. اشتباك عاصف معهم، جسده يهاجم ويترافق  
ومخالفه تتصدى لأسلحتهم السوداء .. أحد المردة حاول أن يطوقه  
من الخلف، لكن إكليل هجم من السماء بقوة، ليضرب العارض  
بمخالب من نار؛ فألقى به بعيداً نحو شجرة ضخمة تكسرت من  
شدة الاصطدام ..

استدار عاصف للحظة، ولمع أمه تقف بعيداً وهي خائفة متربدة  
لا تدري إن كان عليها أن تقتسم المعركة لتقاتل أو تواصل الركض،  
فصالح عليها أمراً:

## - ادخلني !! .. احتمي بالغابة !!

ترددت لثانية ثم هزت رأسها، ودخلت دون أن تلتفت خلفها.

\*\*

كان أحد المردة يتلوى على الأرض بعد ضربة إكليل، فيما بقي  
اثنان يتقدمان بثقلٍ وغلٍ، يحيطان بعاصف من الجانبين، يظننان أنه  
لن يتمكن من صدّها معاً.

لكن عاصف لم يكن في مزاج الدفاع، كان غاضباً كما لم يكن من  
قبل؛ فزاد توهج عينيه اليسرى، واشتدت قبضتااه حتى سقطت مخالبه من  
يده وحلت مكانها مخالب أخرى أكثر صلابة وقوة .. ثم انقض على  
الأول بهجوم سريع، حاول المارد أن يتفادى الهجمة ولكن عاصف  
دار حوله كدواة ثم حين أنت اللحظة المناسبة غرز مخالبة في بطنه  
رافعاً جسده عن الأرض قبل أن يُسدد إليه باليد الأخرى طعنة في صدره  
أسقطته بلا حراك !!

استدار نحو الآخر الذي تردد للحظة، وكان ذلك التردد هو حسن  
الطالع بالنسبة ل العاصف الذي استغل ذلك الأمر وقفز عليه بسرعة؛  
فتشده من شعره بقوة جعلت رقبته تمتد وغرز مخالبة عميقاً فيها حتى  
سمع صوت الحنجرة وهي تنهش أتبعها صوت حشرجة عميقة للروح  
وهي تنزع من جسدها.

ظل العاصف واقفاً بعد أن سقط الجميع، ورياح الصباح تداعب  
شعره الطويل وثيابه التي بللتها دماء المردة، نظر نحو الأعلى حيث  
إكليل وصباح عليه:  
- إكليل، ابق عندك لترقب الحدود.

حام طائر العنقاء في الأعلى مراقباً المنطقة؛ خوفاً من اقتراب فوج  
آخر من المردة، بينما شق العاصف طريقه داخل الغابة، وحده، حيث  
دخلت جوماناً منذ لحظات ..



### اللقاء

كان الضباب يزحف بين الجنواع المتشابكة، والأرض تفوح منها رائحة الطين والمطر .. تسلل عاصف بين الأشجار بخطوات بطيئة، حتى أبصرها هناك .. كانت جومانا واقفة في منتصف بقعة مضيئة، شعاع شمس بسيط نافذ من بين الأغصان العالية قد سقط عليها، فبذا المنظر كما لو أن الغابة كانت تحني رأسها نحوها، قال بصوت مختنق:

- أمي !!

التفتت جومانا نحوه وثمة ابتسامة جميلة عليها، نظرت إليه ملوكاً  
بعينيها البُندقيتين قبل أن تقول بصوت حنون:

- آسفة، على كل شيء يا بني ..

ثم فتحت ذراعيها إليه ..

\*\*

في تلك اللحظة،

كانت نورس قد وصلت أخيراً،

واختارت أن تقف بعيداً خلف جذع شجرة ضخمة،

كانت تتنفس بصعوبة بعد أن أنهكتها الركض؛ فقد ضلت الطريق  
وتأهت بين مرات الغابة المتشابكة، قبل أن تهتدى أخيراً إلى هنا  
المكان ..

لقد قررت أن تراقب المشهد بصمتٍ من بعيد، لا تزيد أن تُفسد  
اللحظة بين الأم وولدها .. كانت عيناها تلمعان بسعادة خفية وهي  
ترى والدتها وقد نال ما كان يحلم به: لقاءه بأمه.

\*\*

اقرب عاصف من جومانا ..

وعانقها بقوة، بينما شوق بداخله يتفجر دفعة واحدة ..

لکنه في اللحظة التي عانقها فيها رأت نورس أسوأ منظر تراه في حياتها كلها: لقد رأت يد جومانا وهي ترتفع في الهواء وفي قبضتها تكونت طاقة لامعة من معدن حاد عكس نصله ضوء الشمس المتسلل من بين الأغصان قبل أن تدفعه ليغوص بقوة هائلة في ظهر عاصف الذي شهد والنصل الحاد يغوص عميقاً في لحمه، فارتخت يداه اللتان كانتا تعانقانها، ثم سقط على ركبتيه أرضاً وعيناه تنظران إليها بربك من يحاول أن يفهم لماذا، لكن جومانا لم تكتفي بذلك فحسب بل مدّت كفها الآخر ف تكون فيه نصل آخر من نفس الطاقة غرسه في صدره كما لتأكد من أنه سوف يموت هذه المرة لا محالة، ثم انحنى إليه وهست في أذنه بأخر شيء سوف يسمعه:

- من أجل طاغين.

ظل ينظر إليها، وعيناه تملؤها الدهشة، والخوف، والحب، والندم، المخذلان والأمل، بينما بدأت روحه تنزع للخروج من جسده، وشفاته تنفرجان قاللة بسؤال وحيد:

- هل يُجيب رب أي دعوة بما أمرني؟

كانت هذه المرة الأولى التي يوجه إليها ذلك السؤال وهي تنظر إليه بصمت ولا تجيب .. ورغم كل شيء، إلا أنه ابتسم وعيناه تُغمضان بينما نبضات قلبه تنزاحي شيئاً فشيئاً .. ابتسم لأن وجهها الجميل ذو العيون البُنيّة كان آخر شيء ينظر إليه.

.. هناك

خلف جذع تلك الشجرة،

كانت نورس ترتجف وهي تشاهد منظر نهاية والدها، وصوتها الباكى

يهمس:

- ولكنك وعدتني بـألا تموت !!

ثم أخذت نفسها عميقاً لتطلق صرخة غضب واستغاثة، إلا أن يدا ذات

عروق بارزة امتدت تلك اللحظة لتغلق فمها، وصوت امرأة عجوز يهمس

في أذنها:

- لا تصدقني وعداً يقطعه لكِ رجل.



تستمر أحداث رواية أبابيل في الجزء القادم والأخير ..  
من سلسلة ملحمة الطين والنار ..  
**"الأباطرة"**

**المؤلف: أحمد ال حمدان**

## "قصر مملكة أبابيل"

داخل قاعة حكم المملكة، وتحديداً فوق ملصمة العرش، رکع الملك طاغين  
مطاطاً الرأس أمام شخص مهيبٍ كان يجلس بليات فوق عرش المملكة  
وطاغين يقول له بصوت الخاضع:

- كل شيء سار كما خططت إليك يا سيدى.

جاءه صوت الجالمن فوق العرش:  
- لقد ثبّت إلينا يا طاغين أننا لم نخطئ حين ثبّتنا ملكاً على العرش.  
أبابيل لك، ولن يأخذها الأباطرة؛ طالما أنت في خدمتنا.

همس طاغين دون أن يجرؤ على رفع بصره:  
- أنا في خدمتك، وخدمت سيدنا السرمد إلى الهاية.

للحظة ازاح الظل عن العرش؛ فالكشف وجه الجالمن فوقه؛ لقد كان الشخص هو  
الرجل ذو اللحيم المُبصرة، والذي لم يكن الملك طاغين منذ البداية إلا  
واحداً من عبيده.





# الزمهرير

إن صحيهـ الأقاويل وعادت جومانا إلى الحياة؛ فهذا يعني أن قانوـنا من المحرمات قد كسرـ: الأمر الذي سوف يدفع بالزمهرير إلى التحرك.

